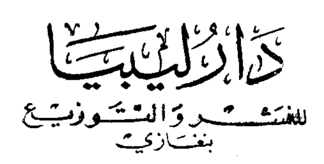
الدرر السنية

في أخبار السلالة الإدريسية

تأليف

مولانا الاستاذ الأكبر العارف بالله مؤسس الطريقة السنوسية
السيد محمد بن علي السنوسي الخطابي الحسني الإدريسي
المولود بمستغانم بالجزائر سنة ١٢٠٢ هـ والمتوفى في الجغبوب بليبيا
سنة ١٢٧٦ هـ نفعنا الله به وبعلومه



طُبِعَ

على نفقة الزوايا السنوسية بليبيا

بإذنٍ من

حفيد المؤلف حضرة مولانا الملك المعظم

محمد ادريس المهدي السنوسي

حفظه الله

الدرر السنية

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين

الحمد لله الواجب الوجود ، المسبب الفضل والجود ، المنزه عن الصاحبة والولد ، المنفرد في ملكه الواحد الأحد ، الذي اصطفى محمداً من خلاصة خلقه فكان فيهم أشرف نسباً وأحقه ، فقد صح عنه في جميع الأخبار ، مما رواه الثقات الاخيار « ان الله اصطفى من بني آدم العرب ، واصطفى من العرب كنانة ، واصطفى قريشا من كنانة ، واصطفى من قريش بني هاشم ، فانا خيار من خيار من خيار » صلى الله عليه وعلى آله واصحابه السادات الابرار ، مظهري دينه ومبلغيه سائر الآفاق وأقاصي الاقطار ، وخصوصا اهل بيته الفحول ، بني علي بضعة البتول ، ينابيع الدين ومنبع المكارم ، فاتحي قواعده ومانحي أفنانه العظائم صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما تعاقب اختلاف الملوين .

أما بعد ، فاعلم أنه ورد في علم التاريخ المشتمل على علم الانساب آثار وآيات واخبار ، مما هو متعارف مشهور ، في كتبه مدون مسطور . قال المقريزي في كتابه قلائد الجمان في التعريف بعرب الزمان ، ما نصه : لا خفاء ان معرفة علم التاريخ المشتمل على علم الانساب من الامور المطلوبة ، والمعارف المندوبة ، لما يترتب عليه من الاحكام الشرعية والمعارف الدينية ، فقد وردت الشريعة باعتبارها في مواضع منها العلم بنسب النبي

صلى الله عليه وسلم وانه النبي القرشي الهاشمي الذي كان بمكة وهاجر منها الى المدينة وتوفي بها فانه لا بد لصحة الايمان من معرفة ذلك ولا يعذر مسلم في الجهل به وناهيك بذلك ، ومنها التعارف بين الناس حتى لا ينسب أحد الى غير آبائه ولا ينسب الى سوى أجداده ، والى ذلك الاشارة بقوله تعالى « يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا » ولولا معرفة الانساب لفات ادراك ذلك وتعذر الوصول اليه . ومنها اعتبار النسب في الامامة التي هي الدعامة العظمى .

فقد حكى الماوردي في الأحكام السلطانية الاجماع على كون الامام قرشياً ثم قال ولا اعتبار بضرار حيث شاع فجورها (١) في جميع الناس فقد ثبت ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الأئمة من قريش قال أصحابنا الشافعيون فان لم يوجد قرشي اعتبر كون الامام كنانيا من بني كنانة أو من خزيمة فان تعذر اعتبر كونه من بني اسماعيل عليه السلام فان تعذر اعتبر كونه من بني اسحاق فان تعذر اعتبر كونه من جرهم لشرفهم بصهارة اسماعيل عليه السلام فقد نصوا أن الهاشمي أولى بالامامة من غيره من قريش فلولا المعرفة بعلم النسب ما ثبت وتعذر حكم الامامة العظمى التي بها عموم صلاح الامة وحماية البيضة وكف الفتنة وغير ذلك من المصالح .

ومنها اعتبار النسب في الزوج والزوجة عند الشافعي حتى لا يكافىء الهاشمية والمطلبية غيرهما من قريش ولا يكافىء القرشية غيرها من العرب ممن ليس بقرشي ولا يكافىء القرشية والكنانية غيرهما من العرب ممن ليس بكناني ولا قرشي على الاصح ، وفي اعتبار النسب في العجم أيضاً وجهان أصحهما الاعتبار فاذا لم يعرف النسب تعذرت هذه الاحكام ومنها مراعاة النسب الشريف في المرأة المنكوحة فقد ثبت في الصحيح أن النبي

---

(١) كذا في الاصل . والذي في نسخة الاحكام السلطانية المطبوعة بمصر سنة ١٣٢٧ «ولا اعتبار بضرار حين شد فجورها في جميع الناس » .

صلى الله عليه وسلم قال تنكح المرأة لاربع لدينها وحسبها ومالها وجمالها فراعى النبي صلى الله عليه وسلم في المرأة الحسب وهو شرف الآباء . ومنها جريان الرق على العرب في أحد قولي الشافعي رضي الله عنه وموافقته فاذا لم يعرف النسب تعذر ذلك الى غير ذلك من الاحكام الجارية هذا المجرى ثم ليعلم انه قد ذهب كثير من أئمة المحدثين والفقهاء كالبخاري الى جواز الرفع في الانساب احتجاجاً بعمل السلف فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه في علم النسب بالمقام الارفع والجانب الاعلى وذلك أدل دليل وأعظم شاهد على شرف هذا العلم وجلالة قدره .

وقد حكى صاحب الريحان والريعان عن أبي سليمان الخطابي أنه قال كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه نسابة فخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فوقف على قوم من ربيعة فقال ممن القوم قالوا من ربيعة قال أي ربيعة انتم من هامها أم من لهازمها قالوا بل من هامها العظمى. قال أبو بكر الصديق من أيها قالوا من ذهل الاكبر قال ابو بكر فمنكم عوف الذي يقال لا حر بوادي عوف قالوا لا قال فمنكم بسطام بن قيس ابو القرى ومنتهى الاحياء قالوا لا قال فمنكم المزدلف الحر صاحب العمامة الفردة قالوا لا قال فمنكم أخوال الملوك من كندة قالوا لا قال فمنكم أصهار الملوك من نجم قالوا لا قال فلستم بذهل الاكبر بل ذهل الاصغر فقام اليه غلام من شيبان يقال له دغفل حين ثقل وجهه فقال ان على سائلنا أن نسأله يا هذا انك قد سألت فأخبرناك ولم نكتمك شيئاً من خبرنا فمن الرجل قال أبو بكر انا من قريش قال بخ بخ أهل الشرف والرئاسة فمن أي الفريقين أنت قال من ولد تيم بن مرة قال الفتى اسكت والله من سواء النقرة فمنكم قصي الذي جمع القبائل من فهر وكان يدعى مجمعاً قال لا قال فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه قال لا قال فمن أهل الندوة أنت قال لا قال فمن أهل السقاية أنت قال لا قال فمن أهل الحجابة أنت

قال لا . واجتذب أبو بكر زمام ناقته فقال الفتى بيتاً (١) :

صادف درء السيل درأ يدفعه　　　بهيضه حيناوحينا يصدعه

اما والله ياأخا قريش لو ثبت لاخبرتك أنك من رعيان قريش ولست من الذوائب فأخبر رسول‌الله صلى الله عليه وسلم بذلك فتبسم فقال عليه الصلاة والسلام يا أبا بكر لقد وقعت من الغلام الاعرابي على باقعة قال يا أبا الحسن ما من طامة الا فوقها طامة . ودغفل هذا هو دغفل بن حنظلة النسابة الذي يضرب به المثل في معرفة النسب ، قدم مرةعلىمعاوية بن أبي سفيان في خلافته فاختبره فوجده رجلا عالماً فقال بم نلت هذا يا دغفل فقال بقلب عقول ولسان سؤول وآفة العلم النسيان .

وممن اشتهر في معرفة الانساب أيضا ابن الكيس من بني عوف بن سعد بن تغلب بن وائل وفيه يقول مسكين بن عامر :

فحكم دغفلا وأرحل اليه　　　ولا تدع المطي الى الكلال
أو ابن الكيس النمري زيداً　　　ولو أمسى بمنخرق السمال

وقد صنف في علم الانساب جماعة من جلة العلماء وأعيانهم كأبي عبيد القاسم بن سلام والبيهقي وابن عبد البر وابن حزم وغيرهم ، وذلك دليل شرفه ورفعة قدره والحامل‌لاصل التاريخ ما قاله الشيخ جار الله المكي في تحقيق الصفا في تراجم بني الوفا ما نصه : وقد ورد في الاثر عن سيد البشر أنه قال من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه ومن قرأ تاريخه فكأنما زاره ومن زاره استوجب رضوان الله وحق على المزور ان يكرم زائره اه فاذا كان هذا في مطلق مؤمن فكيف بخاصة الخاصة وأهل الفضل والمزايا المتراصة فكيف بمن يتعلق بسفينة النجاء ويم البركات ومقاليد الشفاعات

---

(١) هنا في الاصل بياض والقصة مروية في كتاب «سبائك الذهب» المطبوع ببغداد وعنه أخذنا البيت .

كهذه الرسالة الموضوعة في نبذة سرية من أحوال بني صاحب الرسالة ذوي الفضل والخلالة والعلا حائزي قصب السبق في كل ملا المسمـــاة « بالدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية » وما في حكمها مـــن السادات العلوية ممن له ولاية ودولة في الاقطار المغربية مشتملة على مقدمة وست دول :

الدولة الاولى الفاسية وما في ابالتها . الدولة الثانية التلمسانية وما في نواحيها . الدولة الثالثة الغمارية وما في حكمها . الدولة الرابعة السبتية وما في حكمها . الدولة الخامسة الاندلسية ومـــا في حكمها . الدولة السادسة الصحراوية وما في حكمها .

وسترى لكل واحدة بيانا شافياً على ما عند صاحب القرطاس والمغرب وما في العبر لابن خلدون التونسي وما في سلاسل الفصول لابن خلدون التلمساني وما في عمدة الطالب في نسب علي بن أبي طالب لابن عنبة فالمقدمة وفيها فصلان .

الفَصْل الأوَّل

وفيه نوعان

الاول في اصل النسبة الادريسية وتنوع افنانها في أقطار الارض وانتشار سلطانها واختصاص كل بأركانها قال في المغرب كصاحب العمدة ما معناه انه لما انتقلت الولاية من بني أمية لبني العباس ووصلت النوبة لهارون الرشيد حصل منه من الاذية في حق العلويين ما هو معلوم من العباسيين حيث جار الرشيد في حقهم جوراً عظيماً واراد قطع دابرهم بالكلية فهربوا منه الىالاراضي البعيدةمن طاعته فممن هرب منه من الشرفاء الى المغرب الاقصى مولانا ادريس بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ان شهد مجمع الحسين بن علي العابد صاحب فخ فلما قتل الحسين في جماعته بفخ فر ادريس واخوه سليمان ومولاه راشد بن مرشد القرشي أخوه من الرضاعة فلم يزل يجد السير حتى وصل مدينة تلمسان فثبت أخوه سليمان وذهب معه الى تلمسان وأقام بها وسيأتي خبره ، ثم انتقل مولانا ادريس الى طنجة فلم يجد ما يوافقه بها فرجع الى زرهون فوجد عبد المجيد بن مصعب سلطانا وكانت الخلافة له في قبائل البربر فقام فخلع عبد المجيد له الخلافة وترك له الحكم وعقد له البيعة وتركه حاكما وكان عنده ثلاثة من الوزراء عبد المجيد بن مصعب الاوروبي وأخوه عمر

بن مصعب الاوربي الزرهوني وراشد بن مرشد القرشي ثم تزوج مولاي ادريس بنت وزيره عبد المجيد واسمها كنيزه المرضية ذات حسن وجمال وبهاء وكمال واعتدال فحملت منه بالنجل السعيد وهو مولاي ادريس الأصغر .

وسبب موت مولاي ادريس الاكبر انه أتاه سليمان بن جرير النبري ثم الزميري من الشرق بأمر هارون الرشيد بقارورة من المسك مسمومة ولم يزل يجد السير حتى وصل اليه وفرح به ثم دفع له القارورة المسمومة فشمها فطلع السم في خياشمه فمات رحمة الله عليه عام سبعة وسبعين في القرن الثاني .

وفي العمدة أن الامام ادريس شهد مجامع الحسين بن علي العابد صاحب فخ فلما قتل الحسين انهزم حتى دخل المغرب فسم هناك بعد ان ملك وقد وصل الى زرهون وطنجة ومعه مولاه راشد ودعاهم الى الدين فأجابوه وملكوه فاغتم لذلك الرشيد حتى امتنع من النوم ودعا سليمان بن جرير الرقي متكلم الزيدية وأعطاه سما فورد سليمان بن جرير الى ادريس متوسما بالذهب فسر ادريس بن عبدالله ثم طلب عرة فوجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السم وهرب فخرج راشد خلفه فضربه على وجهه ضربة منكرة وفاته وعاد وقد مضى ادريس لسبيله قال ولما مات ادريس وضعت المغاربة التاج على بطن زوجته أم ادريس وولدته بعد اربعة أشهر بعد موت أبيه قال قد كان داود بن القاسم الجعفري أحد كبراء العلماء وممن له المعرفة بالنسب حاضرا قصة ادريس بن عبدالله وسمه وولادة ادريس بن ادريس قال كنت معه بالمغرب فما رأيت أشجع منه ولا احسن وجهاً وقال علي الرضي بن موسى الكاظم رضي الله عنهما ادريس بن ادريس بن عبدالله من شجعان أهل البيت والله ما ترك فينا مثله وقال أبو هاشم داود بن القاسم بن اسحاق بن عبدالله بن جعفر الطيار انشدني ادريس بن ادريس لنفسه شعراً :

لو مال صبري بصبر الناس كلهم	لكل في روعتي وظل في جزعي
بان الاحبة واستبدلت بعدهم	هما مقيما وسلما غير مجتمع
كأنني حين يجري الهم ذكرهم	على ضميري مجبول على الفزع
تأوي الهموم اذا حركتذكرهم	الى جوارح جسم دائم الجزع

ثم بعد أن وضعت امه حملها بعد تمامه سمته على اسم ابيه ادريس وقام به وزراء أبيه وتكفل به راشد بن مرشد القرشي حتى اذا بلغ ثمانية اعوام وقيل اثنتي عشرة سنة وبلغ الحلم وقرأ جميع العلوم وأمر بنيان المدينة البيضاء وأعانه الله على بنيانها لقوله صلى الله عليم وسلم حين عرج على المعراج فرأى بقعة بيضاء تتلألأ نوراً فقال له يا حبيبي يا جبريل ما هذه البقعة البيضاء التي تتلألأ نوراً في المغرب قال له جبريل عليه السلام هذه مدينة لامتك في آخر الزمان تسمى بفاس ينبع العلم من صدور اهلها كما ينبع الماء من حيطانها ثم زوجته أمه الحسنى بنت سليمان بن محمد النجاعي وكانت أمه كاملة العقل والحياء والدين تابعة للكتاب والسنة وروي أن ادريس كان لا يفعل شيئا حتى توافقه الحسنى ثم توفي رحمة الله عليه بعدما استقر بالمدينة وكان سبب موته حبة من العنب الزواعي وسيأتي لذلك مزيد بيان وخلف اثني عشر ولداً محمد وأحمد وقاسم وعمر وعمران وعلي وعيسى ويحيى وحمزة وعبدالله وداود وكثير قال في العمدة وأعقب ادريس بن ادريس بن عبدالله المحض عدة رجال منهم محمد وعمران والقاسم واحمد وعيسى وعمر وداود ويحيى وعبدالله وحمزة ويحيى وعلي وقيل انه اعقب من غير هؤلاء أيضا ولكل منهم ممالك ببلاد المغرب هم فيها ملوك الى الان .

قال في رفع التدليس في ذرية الامام ادريس بعد أن ذكر الائمة الاثني عشر ما نصه فتولى الامام محمد بن ادريس الخلافة بعد موت ابيه وبقي بنوه بفاس متوارثين الملك بعده كما سيأتي وقسم على اخوته المذكورين

البلاد برأي جدته كنيزة بنت عبد المجيد الاوربي فأعطى لعمران جبل الريف وبادس وأحوازهما وأعطى لعمر رجس واحوازه وأعطى لأبي القاسم سبتة وطنجة وأحوازهما ولأحمد الهبط وأحوازها وأعطى لعيسى سلا وأحوازه وأعطى لعبدالله قشتاله وتادلة وأحوازهما وأعطى ليحيى غماة واحوازها وأعطى لداود تلمسان وأحوازها واعطى لاحمد الملقب بكثير مالقة وغرناطة وطرفاً من جبل الفتح واعطى لعلي سجلماسة وأحوازها .

فهذه ساداتنا الاشراف الاثنا عشر فأوى كل واحد منهم الى بلدة واتنسل بها وترك ذريته هناك فاتنسلت ذرية عمران بجبل الريف وبادس وعد منهم العلامة ابن خلدون التلمساني نحو العشرة وهم ما بين زين العابدين والذريان القصبي الآتي ذكره وبين الامام عمران بن ادريس وهم يوسف ابن حسين بن ادريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن محمد بن عبدالله بن حمزه بن علي بن عمران وسيأتي لذلك مزيد في فضلهم فراجعه .

وفي المرآة ما نصه : ولما قسم الامام محمد بن ادريس اعمال المغرب على اخوته فولّى تيساس وأقطارها اخاه عمر وتيساس هذه في شرق تطاون على مسيرة يوم منها في موضع كثير الحجارة والصخر في سفح جبل في غربها تحتها في شمالها جرف كثير الصخر عظيمه على مكسر موج البحر لها بحر بقاع يجلب لها منه جدول ولها بسيط تركبه الجداول من كل جهة فتسقي الزرع والكتان والثمار وأهلها في أمن من القحط وهي قديمة العمران ولم تزل قائمة الى حدود ثمانماية فجلا عنها أهلها بسبب جور فارح بن مهدي واليها من قبل بني مرين فخلت من سكانها وانتقلوا الى القبائل وغيرها ولم يزل سورها ماثلا الى الان قال والقبيلة الحافة بها من جهاتها الثلاث هي قبيلة بني زيات بزاي ثم ياء مثناة تحتانية خفيفة ثم الف مد ثم تاء مثناة فوقية من قبائل بني زيال بياء تحتانية فألف مد فلام من بطون غمارة ويقال يال ونال بالنون مكان الياء اخوان فتفرع يال الى بني زيات وبني منصور وبني بوزوا وتفرع نال بالنون الى بني خالد وبني ورزين وبني قير بالقاف المعقودة وبني مسبح وبني جلا وهم بجيم مفتوحة ثم لام مشددة بعدها الف .

الفصل الثاني

فيما يتعلق بأحوال فتح المغرب أدناه واوسطه وأقصاه

والمراد منهما وراء الاسكندرية غربا الى السوس الاقصى الموالي لساحل البحر المحيط من المعمور والمقصود منه من افريقية الى اخر المعمور وأدناه افريقية وهي ما وراء ديار مصر غربا سميت باسم افريقش بن ابرمة ملك اليمن لانه غزاها فافتتحها فيما قبل الاسلام وبينها وبين مصر ممالك واعمال كثيرة ينبغي ذكرها لتعلق أخبارها بها عند المؤرخين وفي ذلك انواع :

النوع الاول

في ذكر فتح انطابلس وهي برقة وأعمالها

قال ابن عبد الحكيم كان البربر بفلسطين يعني في زمن داود عليه السلام فخرجوا منها متوجهين الى المغرب حتى انتهى الى لوبية وقوبية وهما كورتان من كور مصر الغربية مما يشرب من ماء السماء ولا ينالها النيل فتفرقوا هنالك فتقدمت زنانة ومغيلة الى المغرب وسكنوا الجبال وتقدمت نواية وسكنت ارض (انطابلس) وهي برقة وتفرقت في هذا المغرب وانتشروا حتى بلغوا السوس الاقصى ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت بقوسة مدينة سبرة وجلا من كان بها من الروم من اجل ذلك واقام الافارق وكانوا خدماء للروم على صلح الى من غلب على بلادهم وهو بنو

فارق بن بيصر بن حام فسار عمرو بن العاص في الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلاثة الاف دينار يؤدونها اليه جزية على أن يبيعوا من شاءوا من أبنائهم في جزيتهم ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابي خراج انما كانوا يبعثون بالجزية اذا جاء وقتها ووجه عمرو بن العاص عقبة بن نافع حتى بلغ زويلة قال الطبري فافتتحها بصلح وصار ما بين برقة وزويلة سلما للمسلمين وقال أبو العالية الحضرمي سمعت عمرو بن العاص على المنبر يقول لاهل انطابلس عهد يوفي لهم به .

النوع الثاني

في ذكر فتح طرابلس

قال ابن عبد الحكيم ثم سار عمرو بن العاص حتى نزل على طرابلس في سنة اثنين وعشرين فنزل القبة التي على الشرق من شرقيها فخرج رجل من بني مدلج ذات يوم من عسكر عمرو في سبعة نفر فمضوا غرب المدينة حتى أمعنوا عن العسكر ثم رجعوا فأصابهم الحر فأخذوا على ضفة البحر وكان البحر لاصقاً بسور المدينة ولم تكن فيه ما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة في مرساها الى بيوتهم فنظر المدلجي وأصحابه واذا البحر قد غاض من ناحية المدينة ووجدوا مسلكا اليها من الموضع الذي حسر منه البحر فدخلوا حتى أتوا من ناحية الكنيسة وكبروا فلم يكن للروم مفزع الا سفنهم وأبصر عمرو واصحابه السلة في جوف المدينة فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم فلم يفلت الروم الا بما خف لهم من مراكبهم وغنم عمرو ما كان في المدينة ومن بسبرة متحصنون وهي المدينة العظمى وسوقها السوق القديم فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة طرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة لهم به آمنوا فلما ظفر عمرو بمدينة

طرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سبرة وهم غافلون وقد فتحوا أبوابها لتسرح مواشيهم فدخلوها فلم ينج منهم احد واحتوى أصحاب عمرو على ما فيها ورجعوا الى عمرو قال ثم أراد عمرو أن يوجه الى المغرب فكتب الى عمر بن الخطاب ان الله عز وجل فتح علينا طرابلس وليس بيننا وبين افريقية الا تسعةأيام فان رأى أمير المؤمنين ان يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل فكتب اليه عمر لا انها ليست بأفريقية ولكنها الفرقة غادرة مغدور بها لا يقر بها أحد ما بقيت وكأنه أشار رضي الله عنه بقوله الفرقة وغادرة مغدور بها متفرسا الى ما يقع من النكث بعد الابرام والكفر بعد الاسلام المتكرر من اهلها البربر والروم فقد ذكر ابن خلدون انهم ارتدوا بعد الاسلام ونقضوا بعد الابرام ما يزيد أو يقرب من اثنتي عشرة مرة لذلك تكرر فتوحها وترجم لها بذلك وآخر من فتحها موسى بن نصير وطارق مولاه في خلافة الوليد بن عبد الملك ابن مروان وأولها فتح عبدالله بن سعد بن أبي سرح في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنهما .

النوع الثالث

في ذكر فتوح افريقية

وأولها كان في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه وهي غزوة عبدالله بن سعد بن أبي سرح أخ الامام عثمان رضاعة رضي الله عنهما قال في الاكتفاء ما نصه قال ابن عبد الحكيم ولما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر وأمر عبدالله بن سعد بن أبي سرح كان يبعث المسلمين في جرائد الخيل كما كانوا يفعلون في امرة عمرو بن العاص فيصيبون من اطراف افريقية ويغنمون فكتب عبدالله بن سعد في ذلك الوقتالى عثمان واخبره بقربها من حوز المسلمين واستأذنه في غزوها فندب عثمان الناس الى ذلك بعد المشورة فيه فلمااجتمع الناس أمر عليهم الحارث بن الحكم أن يقدموا

مصر على عبدالله بن سعد فيكون اليه الامر فخرج عبدالله بن سعد اليها وكان عليها ملك يقال له (جرجير) كان هرقل قد استخلفه فخلعه وخرج عنه وكان سلطان ما بين طرابلس الغرب الى طنجة ثغر افريقية ومستقر سلطانه يومئذ بمدينة يقال لها (قرطاجنة الافريقية) فلقي عبدالله جرجير فقاتله فقتله الله وولى قتله عبدالله بن الزبير فيما يزعمون وهرب جيش جرجير وبث عبدالله السرايا وفرقها فأصابوا غنائم كثيرة فلما رأى ذلك رؤساء افريقية سألوه أن يأخذ منهم مالا على ان يخرج من بلادهم فقبل منهم ذلك ورجع الى مصر ولم يول على افريقية أحداً ولا اتخذ بها قيروانا .

وفي كتاب سيف لما وجه عبدالله بن سعد الى افريقية قال له ان فتح الله عليك افريقية فلك مما أفاء الله عليك خمس الخمس فلما انتهى الى افريقية بمن معه لقيهم صاحبها فقاتلهم فقتله عبدالله بن سعد وفتح افريقية سهلها وجبلها واجتمعوا على الاسلام وحسنت طاعتهم وقسم عبدالله على الجند ما أفاء الله عليه بعد ان اخرج الخمس فعزل منه لنفسه خمسة وبعث أربعة اخماسه الى عثمان وضرب فسطاطا في موضع القيروان ووفد وفد الى عثمان فشكوه فيما أخذه من الخمس فقال أنا نفلته (وانما النفل تبصرة وتدريب للرجال) ثم كتب الى عقبة بن نافع بن عبد القيس وعبدالله ابن نافع بن الحصين الفهريين وأمرهما بالمسير الى الاندلس فيمن ندب معهما من الرجال وأمرهما بالاجتماع مع عبدالله بن سعد على صاحب افريقية وبعد ذلك يسيرا الى الاندلس فلما كان الاستيلاء على صاحب افريقية سارا من فورهما الى الاندلس وأتياها من قبل البحر وكان عثمان رحمه الله قد كتب الى من انتدب الى الاندلس (أما بعد فان القسطنطينية انما تفتح من قبل الاندلس انكم ان لم تفتحوها كنتم شركاء من يفتحها في الأجر والسلام) قال كعب يعبر البحر الى الاندلس اقوام يفتتحونها يعرفون بنورهم الى يوم القيامة قال ابن ناجي في معالم الايمان ما نصه

ذكر من نزل القيروان من الصحابة رضي الله عنهم اول جيش نزل القيروان من جيـــوش المسلمين جيش عبدالله بن أبي سرح القرشي العامري في خلافة سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنهما سنة سبع وعشرين ثم جيش معاوية بن خديج السكوني ثلاث مرات ولي ذلك سنة اربع وثلاثين في خلافة سيدنا عثمان أيضا ثم عقبة بن عامر الجهني ثم رويفـــع بن ثابت الانصاري سنة سبع وأربعين ثم عقبة بن نافع الفهري أيضا سنة خمسين وفيها اختط (القيروان) وفي كل جيش من هذه الجيوش تنزل طائفـة من الصحابة بأرض القيروان .

قلت روى الواقدي عن ربيعة بن عباد الدبلي قال أغزانا عثمان رضي الله عنه افريقية فخرجنا مع الناس حتى قدمنا مصر فخرج عبدالله بن سعد وهو أمير الناس بمصر بمن كان معه وبمن قدم عليه من المدينة فكانوا عشرين الفا ونحن نريد بطريق الروم بأفريقية يقال له جرجير كان قد غلب على ما هنالك من ارض المغرب فلما وصل عبدالله من مصر كان يقـدم الطلائع والمقدمات أمامه وكثيرا مـا كنت أكون في الطلائع فوالله أنا بطرابلس اذا مراكب قد رست بالساحل فشددنا عليهم فاقاموا ساعة ثم أسرناهم فكتفناهم وهم مابة حتى لحقنا ابن أبي سرح فقتلهم وقد تحصن منا أهل طرابلس ولم يتعرضوا لنا فأخذنا ما في السفينة فكانت هـذه أول غنيمة أصبناها ونحن في وجهتنا ثم لحق بنا الناس وأقامـوا أياما وكانت السرايا في كل وجهة تأتي بالبقر والشاء والعلف ثم تحاذينا حتـى وردنا افريقية فأقمنا أياما بيننا وبين جرجير ملكهم ندعوه الى الاســلام وكلما دعوناه الى الاسلام نفر ثم استطال وقال لا أقبل هذا أبدا فقلنا له تخرج لنا خراجا في كل عام فقال ولو سألتموني درهما واحدا لم افعل ثم انا تهيأنا للقتال بعد الاعذار اليه منا فهيأنا عبدالله بن سعد فجعـل ميمنة وميسرة وقلبا وسار بأصحابه فقال له رجل من قبط مصر كان معه ان القوم لا يصافونك وهم يهربون فاجعل لهم كمينا وفرقهم في أماكـن

ففعل ذلك عبدالله وغدا بنا على تعبيت (١) والروم قد رفعوا الصليب وعليهم من السلاح ماالله اعلم به ومعهم من الخيل ما لا يحصى فتصاولنا ساعة من النهار وصارت الشمس قدر رمحين أو أكثر ثم حمل عبدالله بالناس وحملنا فكانت الهزيمة عليهم وكر الكمين عليهم من كل مكـان فأكثروا فيهم القتل والاسر فطلبوا الصلح فصالحهم عبدالله بن أبي سرج على خراج وروي عن أسامة بن زيد الليثمي ان الذي صالحهم عليهعبدالله بن سعد ألف ألف دينار .

وذكر بعض المؤرخين أن عبدالله بن سعد غزا افريقية في جماعة من الصحابة فلقي جرجيرا وهو فيماية الف وصالح بن أبي سرح في سبيطلة وهي مدينة على سبعين ميلا من القيروان فقتل جرجيرا وهو في ماية الف وصالح ابن أبي سرح اهل الحصون وأهل المدائن على ماية الف رطل من الذهب قال ابو عثمان سعيد بن عفير في تاريخـه ولما سمعت الروم والازارقة بخروج عبدالله بن سعد ووصوله الى افريقية خرجوا اليـه ومعهم جرجير في جمع كثير من الروم فلما التقىبهم المسلمون بادر جرجير بالبراز فبرز اليه عبدالله بن الزبير ومروان بن الحكم فقتله ابن الزبير ومنهم من قال قتلاه جميعا ثم كانت الهزيمة واتخذ المسلمون ذلك المنزل معسكرا ومنزلا وأصابوا غنائم كثيرة وقسم عبدالله الفيء على الجيش فبلغ سهم الفارس ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف مثقال وتولى قسم الغنيمة عبدالله بن عباس بن عبـد المطلب رضي الله عنهما ونفل عبدالله ابن أبي سرح عبدالله بن الزبير ابنة جرجير لانه قتل جرجيراً أباها وبلـغ الخمس اربعمائة دينار قال قال عبدالله بن الزبير هجـم علينا جرجير في عسكرنا في عشرين وماية الف فاحاطوا بنا من كل مكان وسقط في يد المسلمين ونحن في عشرين الفا فاختلف الناس على ابن أبي سرح فدخل

---

(١) كذا : ولعل الصواب على تعبئة .

فسطاطا له ورأيت عورة من جرجير نظرته بها خلف عسكره على برذون أشهب معه جاريتان له تظللان عليه بريش الطواويس وبينه وبين جرجير أرض بيضاء ليس فيها أحد فخرجت اطلب ابن أبي سرح فقيل قد خـلا في فسطاطه فأتيت حاجبه فأبى أن يأذن لي عليه فأتيته من كسر الفسطاط فدخلت عليه فوجدته مستلقيا على ظهره فلما دخلت عليه فزع فاستوى جالسا فقلت له ايه ايه كل آزق يعوز فقال ما أدخلك عليّ يا ابن الزبير فقلت له اني رأيت عورة العدو فاخرج فاندب الناس قال ومـا هي قال فأخبرته فخرج معي سريعا فقال يا ايها الناس انتدبوا مـع ابن الزبير فاخترت ثلاثين فارسا وقلت لسائرهم أثبتوا على مصافكم وحملت في الوجه الذي رأيت فيه جرجيراً وقلت لاصحابي أحموا ظهري فوالله ما نشبت ان خرقت الصف اليه فخرجت صابراً لله ولا يحسب هو وأصحابه الا أنني رسول اليه حتى دنوت منه فعرف الشر في وجهي فثنا برذونه موليا فادركته بادرا فدفعت بالسيف اليه فاصبت احـدى الجاريتين فقطعتها واحتزت رأسه فنصبته في رمحي وكبرت وحمل المسلمون في الوجه الذي كنت فيه وارفض العدو من كل وجه ومنح الله المسلمين اكتافهم فلما أراد ابن أبي سرح أن يوجه بشيراً الى عثمان امير المؤمنين رضي الله عنه قال أنت اولى ممن ههنا بذلك انطلـق الى أمير المؤمنين وأخبره بالخبر فقدمت على عثمان فأخبرته بنصر الله وفتحه ووصفت له أمرنا كما كان وروي عن عبدالله بن نافع وعبد الملك بن حبيب انعبدالله ابن الزبير وصل من افريقية الى المدينة في شهر وذكر الحسن بن سعيد الخراط أنه وصل الى المدينة من سبيطلة في ثمانية عشر يوما وكان يومئذ ابن بضع وعشرين سنة فلما وصل عبدالله بن الزبير الى المدينة واخبر عثمان رضي الله عنه بما كان من الفتح أمره عثمان ان يقوم بذلك خطيبا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنا وهبت لك ذلك فقام أمير المؤمنين عثمان خطيبا في الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (ايها

الناس ان الله فتح عليكم افريقية وهذا عبدالله بن الزبير يخبركم خبرها ان شاء الله) وكان عبدالله رضي الله عنهالى جانب المنبر فقام فقال (الحمد لله الذي ألف بيننا بعد الفرقة وجعلنا متحابين بعد البغضة الذي لا تجحد نعماؤه ولا يزال ملكه له الحمد كما حمد نفسه وكما هو أهله) الى آخر خطبته المشهورة قال وأقام ابن أبي سرح بسبيطلة وهو الامير على عسكره والحاكم بينهم فلما رأى الروم الذين بالساحل ما حل بجرجير وأهل سبيطلة غارت أنفسهم وتجمعوا وكاتب بعضهم بعضا واستغلوا ضرب ابن أبي سرح فخاف منهم بما معه من الغنائم فكتب الى خليفته بمصر أن يندب اليه مراكب في البحر ويجعل فيها غنائم المسلمين فوصل كتابه الى مصر وأخذ خليفته فيما أمره به واتصل بالروم قصد ابن أبي سرح اياهم واستقباله حربهم فخافوه وراسلوه ودار بينهم تشاجر فجعلوا له جعلا على أن يرتحل بجيشه ولا يتعرضوا لشيء معه فاجابهم الى ذلك ووجهوا اليه ماية قنطار من الذهب فقبضها منهم وانصرف عنهم راجعا الى مصر بعد أن أقام بافريقية سنة وشهرين فلما وصل الى طرابلس وافته المراكب فجعل فيها أثقال جيشه ونفذ هو ومن معه الى مصر سالمين ووجه الى عثمان رضي الله عنه بالاموال التي معه من الخمس وغيره فوقعت الفتنة على أثر ذلك واستشهد عثمان رضي الله عنه وولي بعده علي رضي الله عنه وبقيت افريقية على حالها الى ولاية معاوية فلما ولي معاوية عزل عبدالله بن أبي سرح عن مصر وافريقية وولى معاوية بن خديج الكندي وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ذلك في سنة أربعين فأراد معاوية غزو أفريقية فأغزى معاوية بن خديج فخرج معاوية من مصر وهو عامل معاوية عليها سنة خمس واربعين ومعه عبدالله بن الزبير وجماعة من الصحابة وغيرهم من التابعين وكان معه ايضا عبد الملك بن مروان ويحيى والاكدر بن حمام اللخمي وكريب بن ابزة بن الصباح وخالد بن ثابت الفهري وأشراف من جند مصر حتى وصل الى افريقية

وقصد (جلولا) وعليها عامل لجرجير الرومي الذي كان ملك سبيطلة فنزل بجيشه على (قروية) وهي قروان افريقية فدخل منها الى جبل يقال لها القرن قال فلما وصلوا اليها امتنعوا منه وتحصنوا فحاصرهم حتى فتحها في قصة طويلة فغنم كل ما كان فيها ثم أنفذ الغنائم الى معاوية ابن أبي سفيان بالشام وقال أبو بكر المكي قال أبو العرب ان معاوية بن خديج غزا افريقية ثلاث غزوات أما الاولى فهي سنة أربع وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان وكانت تلك الغزوة لا يعرفها كثير من الناس وأما الثانية فهي في سنة خمس واربعين من الهجرة وقال محمد بن يوسف الوراق القيرواني ان معاوية بن خديج غزاها سنة أربع وثلاثين وهي أول غزواته ثم غزاها عقبة بن نافع بن عبدالقيس الفهري سنة اثنتين واربعين ثم غزاها معاوية بن خديج وهي (خرب) كلها وغزا معاوية جزيرة صقلية في مائتي مركب وأصاب بها غنائم كثيرة وانصرف الى (قمونية) وقسم عليهم فيأهم وبعث بالخمس الى معاوية بن أبي سفيان وهو اذ ذاك خليفة وهذه الغزوة هي غزوة معاوية بن خديج الثانية وكانت سنة خمس وأربعين وقيل سنة احدى وخمسين اه كلام الوراق .

قال المالكي لما وصلت الغنائم الى معاوية بن أبي سفيان أعاد عليها معاوية ابن خديج بجيوش الشام ومصر الى افريقية وكان ذلك سنة خمسين ومعه عبد الملك بن مروان فوصل الى افريقية واحتفر الابار التي تسمى اليوم (آبار خديج بباب تونس) وانما احتفرها اذ كان عسكره هناك ثم غزا منها وغنم غنائم كثيرة من نواحيها ورجع قافلا الى قمونية وبنى بناحية القرن مساكن وسماها قيروانا وموضع القيروان غير مسكون ولا معمور ثم رحل معاوية بن خديج من افريقية الى معاوية بن أبي سفيان فرفع الغنائم اليه ثم عزله معاوية من مصر وولى عليها سلمة بن مخلد الانصاري فوجه سلمة خالد بن ثابت الفهري الى افريقية وكان من التابعين فخرج في محرم سنة أربع وخمسين فانتهى الى مواضع منها وأصاب غنائم كثيرة ثم عزله

سلمة وولى عليها أبا المهاجر بجيش من قبله فوصل الى افريقية فأخذ عقبة ابن نافع الفهري فحبسه وضيق عليه فبلغ خبره معاوية فكتب الى أبي المهاجر يأمره بتخليته ويعنفه فيما صنع فأطلقه أبو المهاجر وأرسله برسل من قبله حتى أخرجه من قابس فمضى وهو حنق على أبي المهاجر فدعا الله عز وجل أن يمكنه منه فلم يزل ابو المهاجر خائفا من دعائه وقال هو عبد لا ترد له دعوة . ثم ان أبا المهاجر صالح بربر افريقية وفيهم كسيلة الاوروبي وأحسن اليه واتخذه صديقا وصالح عجم افريقية وخرج بجيوش من العرب ففتح كل ما مر به حتى انتهى الى العيون التي تسمى اليوم (عيون أبي المهاجر) نحو تلمسان ولم يستخلف على القيروان أحدا ينظر فيها لان أكثرهم خرج معه ولم يبق الا شيوخ ونساء وأطفال ثم رجع اليها فأقام بها اهـ كلام المالكي . وقال محمد بن يوسف الوراق ان عقبة بن نافع الفهري غزا افريقية غزوته الثانية في سنة ست واربعين من الهجرة فافتتح كثيرا من حصونها وأثخن في قتل الروم والبربر واختط مدينة القيروان وتحول بها أياما ثم قدم ابو المهاجر مولي سلمة بن مخلد الانصاري الى افريقية سنة خمس وخمسين فعزل عقبة وقيده وحبسه وأخرب ما كان اختطه وبناه بالقيروان وأختط مدينة (تاكروب) بجوف افريقية سنة خمس وخمسين على نحو ميلين وجد في بنائها وتشييدها ولم يزل عقبة في حبسه حتى أتاه كتاب الملك الخليفة معاويـــة بن أبي سفيان يأمره باطلاقه .

قال المالكي ولما سرح عقبة من وثاقه توجه الى معاوية بن أبي سفيان فوجده قد توفي وولي بعده يزيد فدخل وأخبره بما صنـــع أبو المهاجر بالقيروان وما حل به منه وقال فتحت افريقية وبنيت مسجد الجامع فبعث عبيداً الانصاري فاهانني وأساء عزلتي فغضب يزيد وقال ادركوه قبل أن يخربها . ورد عقبة اليها وأزال ولاية سلمة عنها وأقره بمصر وذلك في سنة اثنتين وستين من الهجرة فقدم عقبـــة عليها في عشرة الاف فارس

فوصل الى القيروان فأخذ أبا المهاجر وحبسه وقيده وأخـذ منه ما وجد بيده من الاموال فبلغ ماية الف دينار ذهبا وجدد بناء القيروان وشيدها ونقل اليها الناس فعمرت وعظم شأنها وعلا قدرها وأعز الله بها الاسلام وأقر بها أعين الانام ثم ان عقبة خرج بأصحابه وبكثير من أهل القيروان الى المغرب واستخلف عليها عمر بن علي القرشي وزهير بن قيس البلوي وخرج بأبي المهاجر معه موثوقا ولما خرج عقبة دعا بأولاده فقال لهم اني بعت نفسي من الله ولا أدري ما يقضي علي في سفري ثم قال (يا بني اني أوصيكم بثلاث خصال فاحفظوها ولا تضيعوهـا اياكم أن تملأوا صدوركم شعرا وتتركوا القرآن املأوا صدوركم من كتاب الله فانه دليل على الله وخذوا من كلام العرب ما تهذبون به ألسنتكم ويدلكم على مكارم الأخلاق ثم انتهوا عما وراءه وأوصيكم ان لا تداينوا ولو لبستم العباء فان الدين ذل بالنهار وهم بالليل فدعوه تسلم لكم أقداركم وأعراضكم وتبقى لكم الحرمة مع الناس ما بقيتم ولا تقبلوا العلـم من المغرورين المرخصين يحملونكم دين الله ويفرقون بينكم وبين الله ولا تأخذوا دينكم الا من اهل الورع والحيطة فانه أسلم لكم ومن احتاط سلم ونجا فيمن نجا ثم قال عليكم سلام الله وأرى ان لا تروني بعد يومي هذا ثم قال اللهم تقبل نفسي في رضاك واجعل الجهاد رحمتي من دار كرامتي عندك) ثم سار لا يدافعه أحد حتى انتهى الى (باغي) والروم يهربون من طريقه يمينا وشمالا فحاصرها وقد اجتمع فيها الروم فقاتلهم وحاصرهم حصارا شديدا ثم انهزم عددهم فقتلهم قتلا ذريعا وغنم أموالهم ثم كره أن يقيم عليهم فرحـل عنهم ونزل على (تلمسان) وهي من أعظم مدائنهم وانضم اليها من حولها فخرجوا اليه في عدد لا يعلمه الا الله تعالى فقاتلهم حتى ظن المسلمون انه الفناء فضرب الله في وجوه الروم فقاتلهم الى باب الحصن وأصاب الناس منها غنائم كثيرة ثم ترك القيام عليها فرحل يريد الزاب فسأل عن

أعظم مدائنه فقيل له مدينة يقال لها (آدانة) وهي دار ملكهم وكان حولها ثلاثماية وستون قرية كلها عامرة فلما بلغهم قدوم المسلمين عليهم هربوا الى حصنهم والى الجبال فلما قدم عقبة نزل على واد منها على ثلاثة اميال أو أكثر قليلا فبلغوه عند الوادي في وقت المساء وكان وقت نزوله يكره قتالهم بالليل فتواقف القوم الليل كله لا راحة لهم ولا فترة ولا نوم فسماه الناس الى اليوم وادي السهر لانهم سهروا فيه عليه فلما أصبح عقبة صلى الصبح ثم أمر المسلمين بقتالهم فقاتلوهم فقال ما رأي المسلمون قتالا مثله قط حتى يئس المسلمون من أنفسهم ثم أعطاهم الله تعالى الظفر فانهزم الروم وقتل فرسانهم وأهل النكاية والبأس منهم واستولت الهزيمة على بقيتهم وفي هذه الغزوة ذهب الروم من (الزّاب) وذلوا فكره عقبة المقام عليهم وقد تحصنوا فرحل منها يريد المغرب حتى نزل (تاهرت)فاستغاث الروم بالبربر فأجابوهم ونصروهم فقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وقال (أيها الناس ان اشرافكم وخياركم الذين رضي الله عنهم وأنزل عليهم كتابه بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان على من كفر بالله الى يوم القيامة فهم اشرافكم والسابقون منكم للبيعة باعوا انفسهم من رب العالمين بجنته بيعة رابحة وانتم اليوم في دار غربة وانما بايعتم رب العالمين فقد نظر اليكم في مكانكم هذا ولم تبلغوا هذه البلاد الا طلبا لرضاه واعزازا لدينه فابشروا فكلما كثر العدو كان أخزى لهم وأذل ان شاء الله تعالى وربكم عز وجل لا يسلمكم فاصبروا والقوهم بقلوب صادقة فان الله تعالى جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه) فالتقى المسلمون معهم فاقتتلوا قتالا شديدا فلم يكن لهم بقتال العرب من طاقة فولوا هاربين فقتلهم المسلمون قتلا ذريعا فأبادوا فرسان البربر وتفرق جمعهم وأقيالهم وقليل من نجا منهم .

ثم رحل حتى نزل طنجة الغربية فنزل على بحر وهو بحر الاندلس فقيل

له ذاك بحر لا يرام وعليه ملك عظيم الشان وما أظنك تقدر أن تجوز هذا البحر فقال لهم دلوني على رجال البربر والروم فقيل له قد تركت خلفك الروم وقد افنيتهم وما أمامك الا البربر وهم في عدد لا يعلمه الا الله وهم انجاد البربر فسألهم عن موضعهم فقالوا له بالسوس الادنى فأمر عقبة الجيش بالرحيل على بركة الله تعالى وعونه فرحل يريد السوس الادنى فلقي البربر في عدد لا يعلمه الا الله تعالى فانهزموا وقتلهم قتلا ذريعا وامعنت خيل المسلمين في البلاد ثم رحل الى السوس الاقصى فاجتمع عليه البربر في عدد لا يحصى فاقتتلوا قتالا شديدا حتى كثر القتلى من الفريقين ثم ان الله عز وجل بمنه وكرمه وفضله ضرب في وجوههم فهزمهم المسلمون وقتلوهم وغنموا أموالهم وسبوا نساءهم فبلغنا أن الجارية منهم بلغ ثمنها بالمشرق الف دينار ثم هربوا بين يديه ثم رحل يريد البحر المحيط فانتهى اليه واقحم فيه فرسه لا يقف بين يديه احد ولا يرومه بشيء ثم نادى بأعلى صوته وهو يشير بسوطه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال بعض اصحابه على من تسلم يا ولي الله فقال على قوم يونس من وراء هذا البحر ولولا هذا لوقفت بكم عليهم ثم رفع يديه الى السماء وقال اللهم اشهد أني قد بلغت المجهدة ولولا هذا البحر لمضيت في البلاد اقاتل من كفر بك حتى لا يعبد أحد من دونك ثم انصرف راجعا يريد افريقية وداخل البربر منه رعب عظيم وتفرقوا في الجبال فلما دنا منهم أمر أصحابه أن يتفرقوا فوجاً فوجاً الى افريقية فلما انتهى الى ثغر افريقية وهي طنجة وبينها وبين القيروان ثمانية ايام أذن لمن بقي معه بالانصراف الى القيروان وقال وهو متياسر عن طنجة فلما انتهى اليها نظره الروم في خيل يسيرة فقرب اليها لينظر اليها ويعرف قدر ما يكفيها من الخيل فيقطع ذلك اليها وخيوله متياسرة عن طنجة فلما انتهى اليها نظر الروم الى قلة من معه من الخيل فقالوا في قلة هذه الخيل قتل أهل الارض كلهم وظنوا ان ذلك كان هو عسكره فأغلقوا باب حصنهم دونه واقبلوا يرمونه بالحجارة وهم

مع ذلك يشتمونه وكل ذلك وهو يدعوهم الى الله عز وجل والى رسوله فلما توسط البلاد نزل وبعث الروم الى كسيلة الاوربي فأعلموه بقلة من معه فخرج له جمع من الروم والبربر وتسارعوا اليه ، ثم زحف اليه ليلا حتى نزل بالقرب منه واختلط بعسكر عقبة واقام كذلك حتى اصبح فلما رأى عقبة استعد له وأمر اصحابه أن لا يركب منهم أحد ويئس المسلمون من انفسهم وقاتلوا المشركين قتالا شديدا حتى بلغ البلاء وتكاثرت فيها الجراح وتكاثر عليهم العدو فاستشهد عقبة رضي الله عنه وجميع من معه رضي الله عنهم واستشهد معه ابو المهاجر وكان موثوقا في الحديد وقيل ان كسيلة الاوربي انما اتى قاصدا الى أبي المهاجر لانه كان صديقا له فلما التحم القتال بين الفئتين قتل أبو المهاجر معهم ولم يعلم به وقيل ان أبا المهاجر حارب كسيلة مع البربر حتى ظفر به فعرض عليه الاسلام فأسلم فأحسن اليه أبو المهاجر وكان في عسكر المسلمين حتى عزل ابو المهاجر وقدم عقبة فلما أراد أن ينهض الى طنجة قال أبو المهاجر ليس بطنجة عدو لك لان الناس قد اسلموا وهذا رئيس البلاد يريد كسيلة فابعث معه واليا فأبى عقبة الا أن يخرج بنفسه فخرج فنزل ماسة بمكان من السوس الاقصى فبنى بها مسجدا ثم أتى بذود وغنم للعسكر فذبح الذود فأمر عقبة كسيلة أن يسلخ مع السلاخين فقال له كسيلة أصلح الله حال الامير هؤلاء فتياني وغلماني فقهره عقبة فقام كسيلة مغضبا فكان كلما دحس في الشاة مسح لحيته بما علق بيده من بلل تلك الشاة ، وجعل العرب يمرون بهوهويمسح ويقولون له يا بربري ما هذا الذي صنعت فيقول هذا يصلح الشعر فقال بعض مشائخ العرب كلا ان البربري يتوعدكم فقال ابو المهاجر لعقبة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتألف جبابرة العرب مثل الاقرع بن حابس التميمي وعقبة بن زيد الفزاري وأنت تجيء الى رجل من خيار قومه في دار عزه قريب عهد بالكفر فتقسي قلبه توثق من الرجل والأخيف فتكه ، فتهاون عقبة فلما انصرف انكث

البربري ما كان عليه واقبلت النفرة الى عقبة فقال له أبو المهاجر عاجلـه قبل أن يخرج يجمع أمره فزحف الى عقبة فتنحى بين يديـه وهو في خمسين ألفاً ونحن في خمسة آلاف لان المعسكر افترق فغشي كسيلة عقبة بقرب (ثمودة) في كثرة لا يعلمها الا الله تعالى عز وجل فنزل عقبة عن فرسه فركع ركعتين وقال اطلقوا أبا المهاجر ثم قال له عقبة قم بأمر المسلمين وأنا أغتنم الشهادة فقال له ابو المهاجر وانا اغتنم ذلك فكسر كل واحد منهما غمد سيفه وكسر المسلمون اغماد سيوفهم وقاتلوا حتى قتلوا رضي الله عنهم اجمعين وقيل ان عقبة أمر بتخلية أبي المهاجر فأعجله القتـال فقاتل وهو موثوق بالحديد وذكر أن أبا المهاجر تمثل بقول أبي محجن حيث يقول :

كفى حزنا أن تطعن الخيل بالقنا وأترك مشـدوداً عليّ وثاقيـا
اذا قمت عناني الحديد واغلقت مصارع أبواب تضم المناديـا

وروي عن وهب بن منبه وشهر بن حوشب أن هذه البقعة التي يقال لها ثمودة كان النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عن سكناها وقال (سوف يقتل بها رجال من امتي على الجهاد في سبيل الله تعالى ثوابهم وثواب أهل بدر واحد واشوقاه اليهم منها يحشرون يوم القيامة) وروي أن عقبه مر بعبدالله ابن عمرو بن العاص وهو بمصر في وقت عودته الى افريقيا فقال له عبدالله لعلك من الجيش الذين يدخلون الجنة برحالهم قـال فمضى بجيشه حتى قاتل البربر وهم كفار فقتلوا اجميعا قال المالكي فلما استشهد عقبة وأصحابه جمع كسيلة أهل المغرب وزحف بهم يريد القيروان فانقلبت افريقية نـاراً وعظم البلاء على المسلمين ومضى كسيلة بالعساكر حتى جـاوز القيروان فخرجت العرب منها هاربة ولم تكن لهم في حربه طاقة لعظم ما اجتمع عليه من الروم والبربر وأسلموا القيروان وبقي بها أصحاب العيال ومن ثقل من التجار وأهل الذمة فحار الناس ولـم يدروا كيف يصنعون فأرسلوا الى

كسيلة يسألونه الامان ووثقوا بدعوة عقبة رضي الله عنه ، فأجابهم الى ذلك ودخل القيروان الى الموضع الذي كان فيه عقبة فنزله واقام بها أميراً وبقي المسلمون تحت يده ومضى الذين هربوا حتى قدموا على يزيد فوجدوه قد مات .

وذكر أبو العرب ان زهير بن قيس البلوي خليفة عقبة لما بلغه ما جرى على عقبة رعب رعباً شديداً عظيماً وأراد الانصراف الى مصر فأتاه ابن حيان الحضرمي فقال له لا تفعل فانها هزيمة الى مصر فكان أول من برز وضرب خباءه مبارز للعدو فلما رأى زهير عزمه عزم معه وكان مع المسلمين في عسكرهم تبيع ابن امرأة كعب الاحبار فقال له زهير لمن تراها قال أراها لرجل من العرب من غسان وانت رجل من بيلي فقال أنا والله من العرب وأنا والله من غسان جنى جدي جناية في زمنه فلجأ الى بيلي فغلب عليه نسبهم فقال عند ذلك لتبيع علامة الفتح لنا فقال يطيش من أصحابك شخص فيستشهد فلما تنادت الخيل طاش رجل من موادي اليمن فقتل وكان اللقاء بنصر أبي عبيد ويقال ان تبيعا قال لزهير علامة صاحب الفتح ان يفتض ذلك اليوم بكرا قال فأدنى اليه زهير رأسه وقال انه لم يجف بعد وانا طهرت من افتضاض بكر الساعة فقال له تبيع اخرج على بركة الله وعونه فثبت زهير بالقيروان حتى زحف عليه كسيلة البربري وخرج الروم من حصونهم ونقضوا العهد ووافق جمعهم عيد الاضحى فاعتد زهير هو ومن معه وكانوا ستة آلاف من البربر وأربعة آلاف من العرب فلما رأى زهير ما حل به من البربر والروم بعث اليهم وقال انا واياكم أهل كتاب وقد حضرنا عيد نعظمه فأخروا حربنا حتى نقضي العيد فأجابوه الى ذلك فلما انقضى العيد زحف كسيلة وقاتله قتالا شديدا فانهزم كسيلة وقتل من اصحابه ما لا يحصى ومضى اليه تلك الجموع وهرب الروم وتفرقت جموعهم ، فأقام زهير يسيرا بالقيروان ثم خرج الى مصر فوصل الى (نوبية ومراقية) وذلك في سنة خمس وستين فوجد يزيد قد مات

وعبدالله بن الزبير خليفة بمكة ومروان بن الحكم أميراً بالشام فاجتمع المسلمون الى مروان بن الحكم فسألوه أن يبعث الجيوش الى افريقية لخلاص من فيها من المسلمين من يد كسيلة وأن يقرها للاسلام كما كانت في ايام عقبة فقال لهم ومن يوجد مثل عقبة فاتفق رأيه ورأي المسلمين على زهير بن قيس البلوي رضي الله عنه وكان من رؤساء العابدين وأشراف المهاجرين فوجه اليه عبد الملك بن مروان يأمره بالخروج على أعنة الخيل فيمن معه من المسلمين لغزو افريقية حتى يعود اليها الاسلام كما كان فلما اتصل ذلك بزهير سره ذلك وسارع الى الجهاد وكتب الى عبد الملك يخبره بقلة من معه من الرجال وقلة الاموال فأرسل عبد الملك رجالا من العرب واشرافهم يحشرون عليه الناس من مدائن الشام وأفرغ عليهم الاموالفتسارع الناس الى الجهاد واجتمع منهم خلق كثير فأمرهم ان يلحقوا بزهير فلما وصلوا اليه خرج بهم الى افريقية فلما دنا من القيروان نزل بقرية يقال لها قلشانة وكان ذلك في سنة تسع وستين فبلغ ذلك كسيلة وكان في خلق عظيم من الروم والبربر فدعا كبارهموأشرافهم وشاورهم في أمره وقال لهم اني رأيت أن أرحل الى ممس فأنزل عليها لاني أخاف اذا التقينا مع القوم والتحم القتال ان يركبنا من في القيروان المسلمين فنهلكولكن ننزل بعسكرنا على (ممس) لان ماءها كثير وهو يحمل عسكرنا فان هزمناهم دخلنا معهم طرابلس وان هزمونا كان الجبل منا قريبا فتحصنا به . فأجابه الناس الى ذلك فرحل الى ممس فنزل بها فبلغ ذلك زهيراً وكان ينتظره أن يخرج اليه من القيروان فلما نزل كسيلة ممس رحل زهير بعسكره فنزل القيروان وأقام بها ثلاثة ايام حتى استراح وأراح أصحابه خيلهم ونظروا الى ما يعمل كسيلة فاذا به يريد قتالهم فزحف اليه زهير يوم الاربعاء صباحا فسار نهاره أجمع حتى أشرف على عسكر كسيلة في آخر النهار فأمر الناس بالنزول فنزلوا وبات الناس على مصافهم فلما أصبح زهير صلى الصبح غلسا ثم زحف اليه بمن معه فالتقى

الفريقان فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثر البلاء في الفريقين جميعا فضرب في وجه كسيلة فانهزم هو وأصحابه وقتلوا قتلا ذريعا وأثخن العرب فيهم القتل وقتل كسيلة بممس ولم يجاوزها وتمادت العرب في طلب اصحابه حتى سقوا خيلهم من ملويه (واد بطنجة) وأفنوا رجال الروم وفتح سقنبارية وقلاعها ثم رحل الى القيروان وقد فزع منه جميع الروم والبربر . ثم ان زهيراً رأى في افريقية رفاهية العيش وملكا عظيما فأبى المقام وقال انما قدمت للجهاد ولم أقدم لحب الدنيا وكان رضي الله عنه من رؤساء العابدين فراوده أصحابه على المقام بافريقية فأبى ورجع الى المشرق ونزل ببرقة وكانت له بها وقائع كثيرة مع المشركين وكان لما بلغهم أن زهيراً خرج غازيا الى افريقية لقتال الروم والبربر وأيقنوا أنه خرج من برقة أمكنهم ما يريدون فخرجوا اليها في مراكب كثيرة وقوة عظيمة فأغاروا على برقة فأصابوا منها سبيا كثيرا وقتلوا وافسدوا وذهبوا فوافق ذلك قدوم زهير من افريقية الى برقة فأخبروه بالذي حل بهم من الروم فأمر عسكره أن يمضي على الطريق وعدل هو الى الساحل في خيل يسيرة من فرسان أصحابه وأنجادهم وطمع أن يدرك شيئاً من سبي المسلمين فلما انتهى الى الساحل أشرف على الروم فاذا هم في خلق لم يقدر أن يرجع واستغاثه ذراري المسلمين وصاحوا والروم يدخلونهم في المراكب وعسكر الروم في البر فنادى زهير في اصحابه انزلوا رحمكم الله فنزل المسلمون وبرز الروم لقتالهم فالتقى الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا حتى عانق بعضهم بعضاً وتكاثر عليهم الروم فاستشهد زهير وكل من معه من المسلمين رضي الله عنهم ولم يفلت منهم الا رجل واحد فادخل الروم خيلهم وسلاحهم وسبيهم الذي كان معهم في المراكب .

فلما وصل الخبر الى عبد الملك بن مروان اشتد عليه وعلى المسلمين ذلك وكانت المصيبة بزهير مثل المصيبة بعقبة بن نافع وأصحابه رضي الله عنهم فسأل عبد الملك بن مروان اشراف المسلمين أن ينظروا الى افريقية

من يؤمنهم من عدوهم ويبعث الجيوش اليهم فقال عبد الملك ما أعلم أحداً أكفى بافريقية من حسـان بن النعمان الغساني فبعثه عبد الملك أميراً على افريقية سنة تسع وستين في جيش فيـه ستة آلاف وهو أول من دخـل افريقية من أهل الشام في زمن بني أمية فخرج حسان بجيوشه حتى وصل افريقية فسأل أهل افريقية عن أعظم ملوك افريقية فقالوا صاحب (قرطاجنة) فرحل اليه حسان وفي قرطاجنة من الروم ما لا يعلمـه الا الله وهي على شاطىء البحر وتسمى (ترشيش) وهي من مدينة القيروان على مائة ميل فسار حسان حتى نزل على مدينة ترشيش ووجه خيله الى قرطاجنة فلم يكن فيها بحر فضيق عليهم حسان وتواقف القوم فاقتتلوا قتالا شديدا فقتل رجالهم وفرسانهم واجتمع رأي الروم أن يهربوا في البحر وكانت لهم سفن كثيرة فتحملوا فيها فمنهم من هرب الى صقلية ومنهم من هرب الى الاندلس فدخلها حسان بالسيف فسباها وغنم ما فيها وقتل الرجال وأرسل الى ما حولها من العمران فاجتمعوا اليه مسرعين خوفا منه فأمرهم بهدم قرطاجنة وقطع القناة عنها ثم اجتمع عليه الروم وعقدوا عليه عسكرا عظيما لا يعلمه الا الله تعالى وامراؤهم البربر وذلك بموضـــع يسمى (صقفورة) فزحف اليهم حسان فقاتلهم قتالا شديدا وأصيب من اصحابه رجال كثيرون رضي الله عنهم ثم ان الله تعالى بمنه وفضله واحسانه ضرب في وجوه الروم والبربر فانهزموا بعد بلاء عظيم فقتلهم حسان قتلا عظيما واستأصلهم وحمل بأعنة الخيل عليهم فما ترك في بلادهم موضعا الا وطئه بخيله ولجأ بقية الروم خائفين هاربين الى مدينة (باجة) فتحصنوا فيها وهرب البربر الى اقليم (بونه) وأتى حسان البحر فاحتفره وجعل دار الصناعة وأخرج البحر اليها ثم انصرف الى مدينة القيروان فاقام بها حتى برئت جراح أصحابه ثم سأل حسان عن أعظم ملك بافريقية وعمن اذا قتل خافت افريقية لقتله فقيل له ليس بأفريقية أعظم قدراً ولا أبعد صيتاً ولا أشد ضرباً من امرأة يقال لها (الكاهنة) وهي في جبل أوراس وجميع من

بأفريقية يهابها اليوم لها سامعون مطيعون فان قتلتها يئس الروم والبربر بأفريقية فانها لهم ملجأ فلما سمع ذلك حسان عزم على غزوها فخرج اليها بجيوشه فلما بلغ موضعا يقال له (مجانة) نزل به وكانت قلعة مجانة لم تفتح فتحصن بها الروم فمضى وتركهم وبلغ الكاهنة بأمره فزحفت من جبل أوراس في عدة لا يعلمها الا الله تعالى فنزلت بمدينة (باغاي) فأخرجت من بها وهدمتها وظنت أن حساناً يريدها حصناً يتحصن به ثم اقبل حسان حين بلغه الخبر الى واد يقال له مكناسة فقيل له انها قد اقبلت في عدد لا يحصى فقال لهم دلوني على ما يسع العسكر الذي أنا فيه فمالوا به الى نهر فنزل عليه ورجعت اليه الكاهنة حتى أتت الى اسفل النهر فنزلت عليه فكان يشرب هو وأصحابه من أعلى النهر وتشرب هي من أسفله فلما دنا بعضهم من بعض وتوافقت الخيل أبى حسان أن يقاتلها بالليل فوقف كل فريق على مصافهم فلما أصبحوا زحف بعضهم الى بعض واقتتلوا قتالا شديداً فعظم البلاء وظن المسلمون الفناء وانهزم حسان بعد بلاء عظيم وقتل من العرب خلق كثير فسمي ذلك النهر نهر البلاء فأتبعته الكاهنة بمن معها حتى خرج من حد قابس فأسلم افريقية ومضى على وجهه وأسرت من اصحابه ثمانية رجال وقيل انها أسرت ثمانين رجلا منهم يزيد بن خالد العبسي وكان رجلا مذكوراً فلما فصل حسان من قابس كتب الى أمير المؤمنين بخبر ما نزل بالمسلمين وبخبر الكاهنة وطفق يرفق في سيره طمعا فيمن نجا من أصحابه أن يلحقوا به ثم أن أمير المؤمنين عبد الملك كتب اليه بلغني أمرك وما لقيت ولقي المسلمون فحيث ما لقيك كتابي هذا فأقم ولا تبرح حتى يأتيك أمري فلقيه كتابه وهو نازل بالموضع الذي يقال له اليوم قصور حسان فابتنى هناك قصرا لنفسه وأقام بذلك الموضع هو ومن معه ثلاث سنين وملكت الكاهنة افريقية كلها .

وكانت الكاهنة حين اسرت أصحاب حسان اساءت اسرتهم الا رجلا واحدا وهو يزيد بن خالد العبسي تبنته الكاهنة ثم عمدت الى دقيق شعير

مفلق فأمرت به فلت بزيت والبربر تسمي ذلك (بسيسة) ثم دعت يزيد بن خالد وابنين لها فأمرتهم فأكل ثالثهم قالت لهم انتم الآن قد صرتم اخوة وذلك عند العرب من أعظم العهد في جاهليتهم اذا فعلوه ثم ان حسانا بعث رسولا الى يزيد وهو عند الكاهنة فأتاه فقال ان حسانا أرسلني اليك وهو يقول لك ما منعك من الكتب الينا بخبر الكاهنة فكتب يزيد كتابا الى حسان مع رسوله في خبزة ملة قد أنضجها ثم رفعها الى الرسول ليخفي الكتب وليظن ناظره انه زاد للرجل فلم يغب شخص الرسول عنهم حتى خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهي تقول يا معشر بني ذهب ملككم ودنا هلاككم فيما يأكل الناس فكررت ذلك ثلاث مرات ومضى الرسول حتى قدم على حسان بالكتاب وفيه كل ما يحتاج اليه من خبر الكاهنة يقول فيه ان البربر يعقدون عساكرهم بالنهار ويفترقون بالليل وليس لهم حزم في الرأي وانما ابتلينا بأمر أراده الله واكرم به من أراد منا بدرجة الشهادة فاذا نظرت في كتابي هذا فاطو المراحل وجد السير فان الامر اليك ولست أسلمك ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم.

ثم ان يزيد كتب بعد ذلك الى حسان بخبر الكاهنة وعمد الى قربوص فنقره ووضع فيه الكتاب وطبق عليه القربوص وأخفى مكان النقر منه ثم حمل رسولا على دابة بالكتاب فلما فصل الرسول خرجت الكاهنة ناشرة شعرها وهي تقول قد دنا هلاككم في شيء من نبات الارض وهو بين خشبتين وكانت من أعلم أهل زمانها بالكهانة ومضى الرسول حتى قدم على حسان فلما بلغ الكاهنة أن حسانا مقيم بقصوره لا يبرح قالت للبربر والروم انما طلب حسان من افريقية المدائن والذهب والفضة والشجر ونحن انما نريد المراعي والمزارع فما نرى لكم الا خراب افريقية ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة وقرى متصلة واخربت ذلك كله الكاهنة فخرج من النصارى ثلاثمائة رجل يستغيثون بحسان فيما نزل بهم من خراب الحصون وقطع الشجر وكان قد وجه اليه عبد الملك بن مروان رسولا يأمره

بالنهوض الى افريقية قبل أن تخربها الكاهنة فوافق ذلك وصول الروم اليه وقدوم رسول يزيد بن خالد اليه فخرج بجميع عسكره الى افريقية فخرجت الكاهنة ناشرة شعرها فقالت يا بني انظروا ماذا ترون في السماء فقالوا نرى شيئا من سحاب أحمر فقالت لهم لا والله الا وهج خيل العرب أقبلت اليكم ثم قالت ليزيد بن خالد الذي كانت أسرته من المسلمين انما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم أما انا فمقتولة ولكن أوصيك بأخويك هذين خيراً تريد ولديها فانطلق بهما الى العرب وخذلهما اماناً فانطلق بهما يزيد الي العرب ولقي حساناً وهو مقبل يريد الكاهنة فأخبره خبرهما وأخذ لهما أمانا وكانت مع حسان جماعة من البربر فولى عليهم الاكبر من ولدي الكاهنة وأكرمه وقربه .

ثم مضى حسان ومن معه يريد الكاهنة فوصل الى قابس فلقيته الكاهنة في جيوش عظيمة فقاتلهم حسان وهزمهم الله وهربت الكاهنة منهزمة تريد قلعة (بشر) تتحصن بها فأصبحت القلعة لاصقة بالارض فذهبت تريد جبل اوراس ومعها صنم عظيم من خشب كانت تعبده فجعل بين يديها على جمل فتبعها حسان حتى قرب من موضعها فلما كان الليل قالت الكاهنة لابنيها اني مقتولة وأري رأسي تركض به الدواب يمضي به الى المشرق من حيث تطلع الشمس واراه موضوعا بين يدي ملك العرب الذي بعث الينا بهذا الرجل فقال لها يزيد بن خالد وولداها فاذا كان الامر هكذا فارحلي وخلي له البلاد فقالت وكيف افر وانا ملكة الملوك لا تفر من الموت فأقلد قومي عاراً الى آخر الدهر فقالوا لها ألا تخافين على قومك الموت فقالت اذا انا مت فلا أبقى الله أحداً منهم في الدنيا فقال لها يزيد ابن خالد وولداها فما نحن صانعون فقالت أما أنت يا يزيد فتنال ملكاً عظيماً مع الملك الذي يقتلني ثم قالت لهم اركبوا واستأمنوا فركب يزيد ابن خالد وولداها بالليل متوجهين الى حسان فلما أصبح حسان زحف الى الكاهنة واقبلت الكاهنة زاحفة اليه فلقيت أعنة الخيل يزيد وولديها

فسلموا عليهم ومضوا بهم الى حسان فدخل يزيد بن خالد على حسان وأخبره بما قالت الكاهنة وانها وجهت ولديها فأمر بهما حسان فأدخلهما عسكره ووكل بهما اقواما وقدم يزيد بن خالد على أعنة الخيل فالتقى القوم ووضعوا السلاح ووقع الصبر حتى ظن المسلمون أنه الفناء فانهزمت الكاهنة وقتلت عند بئر سماها الناس (بئر الكاهنة) فنزل حسان على البير الذي قتلت فيه ويقال انها قتلت عند (طبرقة) فعجب الناس من خلقتها وكانت الاترجة تجري فيما بين عجيزتها واكتافها .

ثم ان الروم تحزبوا على قتال حسان واجتمعوا اليه وقاتلوه فهزمهم الله تعالى فخافه البربر فأمنوه فلم يقبل اماناتهم حتى يعطوه من جميع قبائلهم اثني عشر الف فارس تكون مع العرب برسم الجهاد فأجابوه الى ذلك واسلموا على يديه فعقد لولدي الكاهنة بعد اسلامهما لكل واحد منهما ستة آلاف فارس من البربر والياً عليهم واخرجهم مع العرب يفتتحون افريقية ويقتلون الروم ومن كفر من البربر فمن ذلك صارت الخطط بافريقية للبربر فكان يقسم الفيء بينهم والاراضي فحسنت طاعتهم له ودانت له افريقية ودون (الدواوين) ثم قدم القيروان فأمر بتجديد بناء مسجد الجامع فبناه بناء حسنا وجدده وذلك في شهر رمضان المعظم من سنة اربع وثمانين من الهجرة ثم رحل يريد قرطاجنة فانتهى الى طنجة فوجه أبا صالح مولاه الى قلعة زغوان فنزل بموضع (فحص ابي صالح) وبه سمي فقاتل أهلها ثلاثة ايام فخلى حسان عسكره (بطنفزة) ثم رحل الى زغوان في خيل مجردة فافتتحها صلحا وانصرف الى طنفزة ثم سار الى قرطاجنة فنزل بموضع دار الصناعة وحسان هذا هو الذي خرق البحر اليها وجعلها (دار صناعة) فأخرج اليها الماء واجراه من البحر اليهافخرج الى حسان اهل قرطاجنة باجمعهم فحاربوه حربا شديدا فهزمهم الله عز وجل بين يديه وملك حسان رضي الله عنه حصن (تونس) وقرطاجنة فلما رأت الروم شدته وقهره لهم وعلموا انهم لا قدرة لهم به ولا طاقة

سألوه الصلح وان يضع عليهم الخراج فاجابهم حسان الى ذلك ووافقهم عليه فأدخلوا عند ذلك ثقلهم في مراكب كانت معدة عندهم في البحر وهربوا ليلا بأجمعهم من باب يقال له باب النساء وحسان رضي الله عنه لا علم عنده بما فعلوه من هروبهم وتركوا مدينتهم خالية لا أحد بها ونزلوا بجزيرة صقلية ومضى بعضهم الى بلاد الاندلس ، فدخل عند ذلك حسان الى المدينة وبنى مسجدا وخرب بناءهم ورحل عنها راجعا الى مدينة القيروان حرسها الله تعالى واقام بها وعمرها المسلمون وبنوا بها المساكن وانتشروا فيها وكثروا وأمنوا من اعدائهم وقطع الله شوكتهم واقر الله تعالى بها اعينهم وعلموا أن الله عز وجل قبل دعوة عقبة بن نافع فيما دعا لها وولى حسان بن النعمان الغساني على صدقات الناس والساعي عليهم حنش بن عبدالله الصنعاني التابعي رضي الله عنه .

ثم ان حسان بن النعمان لما تهدمت (١) بلاد افريقية وأمن على أهلها رحل بمن معه من المسلمين والغنائم والاموال قاصدا عبد الملك بن مروان ومعه خمسة وثلاثون الف فارس وكان معهم من الذهب ثمانون الف دينار وقد جعل حياطة عليها مع قرب الماء واستقامت افريقية كلها وأمن أهلها وقطع الله عز وجل ملكة الكافرين فصارت القيروان دار اسلام وجميع من بافريقية الى وقتنا هذا والى آخر الدهر ان شاء الله تعالى وذلك ببركة من اختطها ودخلها من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم اجمعين .

ذكر فتح موسى بن نصير

وهو آخرها وأثبتها الموالي لفتح الامام ادريس الاكبر رضي الله عنه واليه الاشارة بقول الامام ابن غازي :

---

(١) كذا . ولعل الصواب تمهدت

وفتح الغرب لسوس الاقصى موسى وطارق بما لا يحصى
وجاءنا ادريس عـــام قعـــب وبنيت فاس في عام قضـــــب

والفاتح المذكور هو ابو عبدالرحمن موسى بن نصير اللخمي بالولاء صاحب فتح الاندلس كان من التابعين رضي الله عنهم وروي عن تميم الداري رضي الله عنه وكان عاقلا كيسا شجاعا ورعا تقيا لله تعالى لـــم يهزم له جيش قط وكان والده نصير على حرس معاوية بن أبي سفيان وكانت منزلته عنده مكينة ولما خرج معاوية لقتال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يخرج معه فقال له معاوية ما منعك من الخروج معي ولي عندك يد لم تكافئني عليها فقال لم تمكنني ان اشكرك بكفر من هو أولى بشكري فقال ومن هو فقال الله عز وجل فقال وكيف لا أم لك فقال وكيف لا أعلمك هذا فاغضض وامض قال فأطرق معاوية مليا ثم قال استغفر الله ورضي عنه وكان عبدالله بن مروان أخو عبد الملك بن مروان واليا علـــى مصر وافريقية فبعث اليه ابن اخيه الوليد بن عبد الملك ايام خلافته يقول له أرسل موسى بن نصير الى افريقية وذلك سنة تسع وثمانين من الهجرة .

وقال أبو عبدالله الحافظ عبد الحميد في كتاب جذوة المقتبس ان موسى بن نصير تولى افريقية سنة سبع وتسعين فأرسله اليها فلما قدمها ومعـــه جماعة من الجند بلغه ان بخارج البلاد جماعة خارجين فوجه اليهم ولده عبدالله فأتاه بماية ألف رأس من السبايا ثم وجه ولده مروان الى جهـــة اخرى فأتاه بمائة الف رأس قال الليث بن سعد فبلغ الخمس ستين الف رأس وقال ابو شعيب الصدفي لم يسمع في الاسلام بمثل سبايا موسى ابن نصير ووجد أكثر مدن افريقية خالية لاختلاف الايدي وكانت البلاد في قحط شديد فأمر الناس بالصلاة واصلاح ذات البين وخرج بهم الى الصحراء ومعه سائر الحيوانات وفرق بينها وبين اولادها ووقع البكـــاء والضجيج فأقام على ذلك الى منتصف النهار ثم صلى وخطب بالناس ولم

يذكر الوليد بن عبد الملك فقيل له ألا تدعو لامير المؤمنين فقال هذا مقام لا يدعى فيه الا لله عز وجل فسقوا حتى رووا .

ثم خرج موسى غازيا وتبع البربر وقتل منهم قتلا ذريعاً وسبا سبياً عظيما وسار حتى انتهى الى السوس الادنى لا يدافعه احد فلما رأى بقية البربر ما نزل بهم استأمنوا اليه وبذلوا له الطاعة فقبل منهم وولى عليهم والياً واستعمل على طنجة واعمالها مولاه طارق بن زياد البربري ويقال انه من الصدف وترك عنده تسعة عشر الف فارس من البربر بالاسلحة والعدد الكاملة وكانوا قد اسلموا وحسن اسلامهم وترك موسى خلقا يسيرا من العرب لتعليم البربر القرآن وفرائض الاسلام ورجع الى افريقية ولم يبق في البلاد من ينازعه من البربر ولا من الروم فلما استقرت له القواعد كتب الى طارق وهو بطنجة يأمره بغزو بلاد الاندلس في جيش من البربر ليس فيه من العرب الا نذر يسير فامتثل طارق أمره وركب البحر من سبتة الى الجزيرة الخضراء من بلاد الاندلس وصعد الى جبل يعرف اليوم بجبل طارق نسب اليه لما حصل عليه وكان صعوده اليه يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنين وتسعين للهجرة في اثني عشر الف فارس من البربر خلا اثني عشر رجلا وذكر عن طارق أنه كان نائما في المركب وقت التعدية وانه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الاربعة رضي الله عنهم يمشون على الماء حتى مروا به فبشره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح وأمره بالرفق بالمسلمين والوفاء بالعهد ذكر ذلك بن بشكوال المقدم ذكره في حرف الحاء في تاريخ الاندلس . وكان صاحب طليطلة ومعظم بلاد الاندلس ملك يقال له (لدريق) .

ولما احتل طارق الجبل المذكور كتب الى موسى بن نصير اني فعلت ما أمرتني به وسهل الله سبحانه في الدخول . فلما وصل الكتاب الى موسى ندم على تأخره وعلم أنه ان فتح نسب الفتح اليه دونه فأخذ في جمع

العساكر وولى على القيروان ولده عبدالله وتبعه فلم يدركه الا بعد الفتح وكان لدريق المذكور قد قصد عدوا له واستخلف في المملكة شخصا يقال له (تدمير) والى هذا الشخص تنسب بلاد تدمير بالاندلس فلما نزل طارق بالجبل الذي فتحه كتب تدمير الى لدريق الملك أنه وقع بأرضنا قوم لا ندري من السماء هم أم من الارض فلما بلغ ذلك لدريق رجع عن مقصوده في سبعين ألف فارس ومعه العجول تحمل الاموال والمتاع وهو على سريره بين دابتين عليه قبة مكللة بالدر والياقوت والزبرجد فلما بلغ طارقا دنوه قام في أصحابه فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم حث المسلمين على الجهاد ورغبهم في الشهادة ثم قال (أيها الناس أين المفر والبحر من ورائكم والعدو امامكم فليس لكم والله الا الصدق والصبر واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الايتام في مآدب اللئام وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته واقواته موفورة وانتم لا وزر لكم غير سيوفكم ولا أقوات الا ما تستخلصونه من أيدي اعدائكم وان امتدت بكم الايام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم امرا ذهبت ريحكم وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن انفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية فقد القت به اليكم مدينته المحصنة وان انتهاز الفرصة فيه لممكن لكم ان سمحتم بأنفسكم للموت واني لم احذركم أمراً انا عنه بنجوة ولا أحملنكم على خطة ارخص متاع فيها النفوس الا ابدأ فيها بنفسي واعلموا انكم اذا صبرتم على الأشق قليلا استمتعتم بالأرفه الألذ طويلا فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه اوفر من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان من بنات اليونان والرافلات في الدر والمرجان والحلل المنسوجة بالعقيان المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك من الابطال عربانا ورضيكم لملوك هذه الجزيرة اصهاراً واختاناً ثقة منه بارتياحكم للطعان واستماحكم بمجالدة الابطال والفرسان ليكون

حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمته واظهار دينه بهذه الجزيرة وليكون مغنمها خالصا لكم من دون المسلمين سواكم والله تعالى ولي انجادكم على ما يكون لكم ذكر في الدارين واعلموا أني أول مجيب الى ما دعوتكم اليه واني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم (لدريق) فقاتله ان شاء الله تعالى فاحملوا معي فان هلكت بعده فقد كفيتـم امره ولن يعوزكم بطل عاقل تسندون أمركم اليه وان هلكت قبل وصولي اليـه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه واكتفوا المهم من فتح هذه الجزيرة بقتله فانهم بعده يخذلون) (١) .

فلما فرغ طارق من تحريض اصحابه على الصبر في قتـال لدريق وأصحابه وما وعدهم من النيل الجزيل انبسطت قواهم وتحققت آمالهم وهبت ريح النصر عليهم وقالوا لقد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه فاحضر اليه فاننا معك وبين يديك فركب طارق وركبوا وقصدوا منـاخ لدريق وكان قد برز بمتسع من الارض فلما تراءى الجمعان نزل طارق وأصحابه فباتوا ليلتهم في حرس الى الصبح فلما أصبح الفريقان ركبوا وعبوا كتائبهم وحمل لدريق على سريره وقد رفع على رأسه رواق ديباج يظله وهو مقبل في غابة من البنود والاعلام وبين يديه المقاتلة والسلاح وأقبل طارق وأصحابه عليهم الزرد ومن فوق رؤوسهم العمائم البيض وبأيديهم القسي العربية وقد تقلدوا السيوف واعتقلوا الرماح فلما نظر اليهم لدريق قال أما ولله ان هذه الصور التي رأيناها في بيت الحكمـة ببلدنا فداخله منهم رعب ونحن نتكلم عن بيت الحكمة آخر فلما رأى طارق لدريقاً قال لاصحابه هذا طاغية القوم وحمل أصحابه معه فتفرقت المقاتلة بين يدي لدريق فخلص اليه طارق وضربه بالسيف على رأسه فقتله

---

(١) في الاصل تحريف كثير في هذه الخطبة . وقد اصلحناها بالمقابلة على ما في نفح الطيب (طبعة مصر سنة ١٣٠٢) المجلـد الاول ، الصفحة ١١٢

على سريره فلما رأى أصحابه مصرع ملكهم التحم الجيشان وكان النصر للمسلمين ولم تقف هزيمة اليونان على موضع بل كانوا يسلمون بلداً بلداً ومعقلا معقلا فلما سمع بذلك موسى بن نصير المذكور اولا عبر الجزيرة بمن معه ولحق بمولاهطارق فقال له يا طارق انه لن يجازيك الوليد بن عبد الملك على بلائك بأكثر من أن يبيحك بالاندلس فاستبحها هنيئا مريئاً فقال له طارق أيها الامير والله لا أرجع عن قصدي هذا ما لم أنته الى البحر المحيط وأخض فيه بفرسي فلم يزل طارق يفتح وموسى معه الى أن بلغ (جليقية) وهي على ساحل البحر المحيط .

وقال الحميدي في جذوة المقتبس ان موسى نقم على طارق اذ غزا بغير اذنه وسجنه وهم بقتله ثم ورد عليه كتاب الوليد باطلاقه فأطلقه وخرج معه الى الشام وكان خروج موسى من الاندلس وافدا على الوليد يخبره بما فتح الله سبحانه وتعالى على يديه وما معه من الاموال (في سنة أربع وتسعين للهجرة) وكانت معه مائدة سليمان بن داود التي وجدت في (طليطلة) على ما حكاه بعض المؤرخين فقال كانت مصنوعة من الذهب والفضة وكان عليها طوق لؤلؤ وطوق ياقوت وطوق زمرد وكانت عظيمة بحيث أنها حملت على بعير قوي فما سار الا قليلا حتى تفسخت قوائمه وكان معه تيجان الملوك الذين تقدموا من اليونان وكلها مكللة بالجواهر واستصحب ثلاثين ألف فارس ويقال ان الوليد نقم عليه أمراً فلما وصل اليه بدمشق أقامه في الشمس يوما كاملا في يوم صائف حتى خر مغشياً عليه . وقد أطلنا هذه الترجمة كثيرا لكن الكلام انتشر فلم يمكن قطعه . مع اني تركت الاكثر وأتيت بالمقصود ، ولما وصل موسى الى الشام ومات الوليد بن عبد الملك وقام من بعده سليمان أخوه (وحج في سنة سبع وتسعين للهجرة) وقيل سنة تسع وتسعين فحج معه موسى بن نصير ومات في الطريق (بوادي القرى) وقيل بمر الظهران على اختلاف فيه وكانت ولادته في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

قال ابن خلكان وأصل بيت (الحكمة) ان اليونان وهم الطائفة المشهورة بالحكمة كانوا يسكنون ببلاد الشرق قبل عهد الاسكنــــدر فلما ظهرت الفرس واستولت على البلاد وزاحمت اليونان على ما كان بأيديهم من الممالك انتقل اليونان الى جزيرة الاندلس لكونها طرفاً في آخر العمارة ولم يكن لها ذكر يوم زال ملكهم ولا ملكها أحد من الملوك ولا كانت عامرة وكان أول من عمر فيها واختطها (اندلس بن يافث بن نوح عليه السلام) فسميت باسمه ولما عمرت الارض بعد الطوفان كانت صــورة المعمور عندهم على شكل طائر رأسه المشرق والجنوب والشمال رجــلاه وما بينهما بطنه والمغرب ذنبه فكانوا يزدرون المغرب لنسبته الى أخس أجزاء الطائر وكانت اليونان لا ترى اشتغال الامم بالحروب لما فيها من الاضرار والاشتغال عن العلوم التي كان أمرها عندهم أهم الامور فلذلك انحازوا من بين يدي الفرس الى الاندلس فلما ساروا اليها أقبلوا على عمارتها بشق الانهار وبنوا المعاقل وغرسوا الجباب والكروم وشيــدوا الأمصار وملأوها حرثاً ونسلا وبنيانا فعظمت وطابت حتى قال قائلهــم لما رأوا بهجتها ان الطائر الذي صورت العمارة على شكله وكان المغرب ذنبــــه كان (طاووساً) معظم جماله في ذنبه فاغتبطوا بها أتم اغتباط واتخذوا دار الملك والحكمة بها مدينة (طليطلة) لانها وسط البلاد .

وكان أهم الامور عندهم تحصينها عمن يتصل به خبرهــا من الامم فنظروا فاذا ليس ثم من يحسدهم على رغد العيش الا أرباب الشظف والشقا (؟) وهم طائفتان العرب والبربر فخافوهم على جزيرتهم المعمورة فعزموا ان يتخذوا لدفع هذين الجنسين من الناس طلسما فرصــــدوا أرصاداً . ولما كان البربر بالقرب منهم وليس بينهم الا (تعدية البحر) ويرد عليهم منهم طوائف منحرفة الطباع خارجة عن الاوضاع ازدادوا نفوراً وكثر تحذرهم من مخالطتهم في نسل أو في مجاورة حتى لا يثبت

ذلك في طبائعهم ويصير بعضها مركبا في غرائزهم فلما علم البربر عداوة الاندلس لهم أبغضوهم وحسدوهم فلا تجد أندلسيا الا مبغضا بربريا ولا بربريا الا مبغضا اندلسيا الا أن البربر أحوج الى أهل الاندلس من أهل الاندلس الى البربر لكثرة وجود الاشياء بالاندلس وعدمها ببلاد البربر .

وكان بنواحي غرب جزيرة الاندلس ملك يوناني بجزيرة يقال لها (قادوس) وكانت له ابنة في غاية الجمال فتسامع بها ملوك الاندلس وكانت جزيرة الاندلس كثيرة الملوك لكل بلدة او بلدتين ملك فخطبها كل منهم ولكن خاف ابوها من تزويجها لواحد من اسخاط الباقين فتحير في امره واحضر ابنته المذكورة وكانت الحكمة مركبة في طباع القوم ذكرهم واناثاهم وكذلك قيل (ان الحكمة نزلت من السماء على ثلاثة اعضاء من اهل الارض) : (على أدمغة اليونان وأيدي اهل الصين وألسنة العرب) فلما حضرت بين يديه قال يا بنية اني قد أصبحت في حيرة من أمري . قالت ما حيرك ؟ قال خطبك جميع ملوك الاندلس ومتى أرضيت واحدا أسخطت الباقين فقالت أجعل الامر الي تخلص من اللوم فقال وما تصنعين قالت اقترح لنفسي أمراً فمن فعله كنت زوجته ومن عجز عنه فليس يحسن به السخط قال وما الذي تقترحين قالت أقترح أن يكون ملكاً حكيماً قال (نعم الذي اخترته لنفسك) وكتب في أجوبة الملوك الخطاب الآتي : « اني قد جعلت الامر اليها فاختارت من الازواج الملك الحكيم » فلما وقفوا على الاجوبة سكت عنها كل من لم يكن حكيماً . وكان في الملوك رجلان حكيمان فكتب كل منهما اليه اني أنا الملك الحكيم فلما وقف على كتابيهما قال يا بنية بقي الامر على اشكاله وهذان ملكان حكيمان أيهما أرضيته أسخطت الاخر قالت سأقترح على كل واحد منهما أمراً يأتي به فأيهما سبق الى الفراغ مما التمسته تزوجت به قال وما الذي تقترحين عليهما ؟ قالت انا ساكنون هذه الجزيرة واننا محتاجون الى رحى

تدور بها واني مقترحة على أحدهما ادارتها بالماء العذب الجاري اليها من ذلك البر ومقترحة على الآخر أن يتخذ لــــه طلسما يحصن به جزيرة الاندلس من البربر فاستظرف أبوها اقتراحها وكتب الى الملكين بما قالته ابنته فأجابا الى ذلك وتقاسماه على ما اختارا وشرع كل واحد في عمل ما اختاره من ذلك .

فأما صاحب الرحى فانه عمد الى خرز عظام اتخذها من الحجارة ونضد بعضها الى بعض في البحر المالح الذي بين جزيرة الاندلس والبر الكبير في الموضع المعروف (بزقاق سبته) وسدد الفروج التي بين الحجارة مما اقتضته حكمته وأكمل تلك الحجارة من البر الى الجزيرة وآثاره باقية الى اليوم (في الزقاق الذي بين سبته والجزيرة الخضراء) واكثر اهل الاندلس يزعمون أن هذا أثر قنطرة كان الاسكندر قد عملها يعبر الناس عليها من سبتة الى الجزيرة والله أعلم أي القولين أصح ، فلما صح تنضيد الحجارة للملك الحكيم جلب عليها الماء العذب من موضوع عال في الجبل بالبر الكبير وسلطه على ساقية محكمة البناء وبنى بجزيرة الاندلس رحى على هذه الساقية .

وأما صاحب الطلسم فانه أبطأ عمله بسبب انتظار الرصد الموافق لعلمه غير أنه عمل أمراً وأحكمه وابتني بنيانا مربعاً من حجر أبيض على ساحل البحر في رمل حفر أساسه الى أن جعله تحت الارض بمقدار ارتفاعــه فوق الارض ليثبت ، فلما انتهى البناء المربع الى حيث اختار صور مــــن النحاس الاحمر والحديد المصفى المخلوطين بأحكم الخلط صورة رجــل بربري له لحية وفي رأسه ذؤابة من شعر قائم في رأسه جعــودة متأبط صورة كساء جمع طرفيه على يده اليسرى بأرطب تصوير وأحكمه وفي رجليه نعل وهو قائم من رأس البناء بمقدار رجليه فقط وهو شاهق فــي الهواء طوله ينيف عن ستين ذراعا وهو مجرد الأعلى الى أن ينتهي الى ما

سعته قدر ذراع وقد مد يده اليمنى بمفتاح قفل قابضاً عليه كأنه يقول لاعبور . وكان من تأثير هذا الطلسم في البحر الذي تجاهه انه لم ير قط ساكناً ولا كانت تجري فيه قط سفينة بربري حتى سقط المفتاح من يده وكان الملكان العاملان للرحى والطلسم يتسابقان الى التمام من عملهما اذ كان بالسبق يستحق التزويج وكان صاحب الرحى قد فرغ لكنه يخفي أمره عن صاحب الطلسم حتى لا يعلم به فيبطل الطلسم وكان يود عمل الطلسم حتى يحظى بالمرأة والرحى والطلسم فلما علم باليوم الذي يفرغ فيه صاحب الطلسم في آخره أجرى الماء بالجزيرة من أوله وادار الرحى وأشهر ذلك فاتصل الخبر بصاحب الطلسم وهو في اعلاه يصقل وجهه وكان الطلسم مذهبا فلما تحقق أنه مسبوق ضعفت نفسه فسقط من اعلى البناء ميتا وحصل صاحب الرحى على المرأة والرحى والطلسم وكان من تقدم من ملوك اليونان يخشى على جزيرة الاندلس من البربر للسبب الذي قدمنا ذكره فاتفقوا وعملوا طلسمات في أوراق اختاروا ارصادها وأودعوا تلك الطلسمات تابوتاً من الرخام وتركوه في بيت (بمدينة طليطلة) وركبوا على ذلك البيت باباً واقفلوه وتقدموا الى كل ملك منهم بعد سابقه أن يلقي على ذلك الباب قفلا تأكداً لحفظ ذلك البيت فاستمر أمرهم على ذلك .

ولما حان وقت انقراض دولة اليونان ودخول العرب والبربر الى جزيرة الاندلس وذلك بعد مضي ستة وعشرين ملكاً من ملوك اليونان من يوم عملهم الطلسمات بمدينة طليطلة وكان الملك (لدريق) المذكور السابع والعشرين من ملوكهم فلما جلس في ملكه قال لوزرائه وأهل الرأي من دولته قد وقع في نفسي من أمر هذا البيت الذي عليه ستة وعشرون قفلا وأريد أن افتحه لانظر ما فيه فانه لم يعمل عبثا قال أيها الملك صدقت انه لم يعمل عبثا ولا أقفل سدى بل المصلحة أن تلقي أنت عليه قفلا اسوة بمن تقدمك من الملوك وكانوا آباءك واجدادك فلم يهملوه فلا تهمله وسر

سيرهم فقال ان نفسي تنازعني الى فتحه ولا بد لي منه فقالوا ان كنت تظن فيه مالا فقدره ونحن نجمع لك من اموالنا نظيره ولا تحدث علينا بفتحه حادثا لا نعرف عاقبته فأصر على ذلك وكان رجلا مهاباً فلم يقدروا على مراجعته وأمر بفتح الاقفال وكان على كل قفل مفتاحه معلقا فلما فتح الباب لم ير في البيت شيئا سوى مائدة عظيمة من ذهب وفضة مكللة بالجواهر وعليها مكتوب (هذه مائدة سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام) ورأى في ذلك البيت تابوتا وعليه قفل ومفتاحه معلق ففتحه فلم يجد فيه سوى رق وفي جانب التابوت صور فرسان مصورة بأسماع (كذا) محكمة التصوير على أشكال العرب ومن تحتهم الخيل العربية وبأيديهم القسي العربية وهم متقلدو السيوف المحلاة معتقلو الرماح فأمر بنشر ذلك الرق فاذا فيه متى فتح هذا البيت وهذا التابوت المقفلان بالحكمة دخل القوم الذين صورهم في التابوت الى جزيرة الاندلس وذهب ملك اليونان من أيديهم ودرست حكمتهم فهذا بيت الحكمة المقدم ذكره فلما سمع لدريق ما في الرق ندم على ما فعل وتحقق انقراض دولتهم فلم يلبث الا قليلا حتى سمع ان جيشا وصل من المشرق جهزه ملك العرب ليفتح بلاد الاندلس انتهى .

الدولة الاولى الدولة الادريسية

الزرهونيــة والعباسية

وقد علمت مما تقدم في المقدمة ان اول هذه الدول الشريفة كان مقدم الامام ادريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اول ملوكها وقام من بعده خلفاؤه الثلاثة مولاه راشد بن مرشد الزبيـــدي وأخوه من الرضاعة وصهره عبد المجيد الاوربي وأخوه عمر الى أن استحق القيام بها ولده (مولانا ادريس الاصغر) فوليها وهو ثاني الخلفاء وتولى الخلافة

من بعده ولده الامام محمد بن ادريس وهو ثالث الخلفاء وتولى الخلافة من بعده ولده مولانا علي وهو رابع الخلفاء . قال العلامة العراقي في سياق كلام له ما نصه وذلك ان سيدي محمد بن مولانا ادريس باني (فاس) هو أكبر اولاده الاثني عشر هو الخليفة من بعده وكان استيطانه بفاس الى ان توفي بها ودفن مع أبيه وأخيه بشرقي جامع الشرفاء (من حضرة فاس في شهر ربيع الثاني سنة احدى وعشرين ومائتين) واستخلف ولده علياً في مرضه الذي توفي فيه وهو الملقب بحيدرة وأمه حمدة واسمها رقية بنت اسماعيل بن منصور بن مصعب . وسنه يوم بويع تسعة اعوام واربعة أشهر . فسار في الناس بسيرة آبائه الكرام في تلك الايام الى ان توفي بها في شهر رجب من سنة أربع وثلاثين ومائتين ودفن مع ابيه محمد وجده ادريس وعمه عمر في الموضع المذكور واستخلف اخاه يحيى وأعقبهم أولاد عمه بفاس وأولاد القاسم وما زالوا يتداولون الخلافة الى ان جاء من أخرجهم منها أوائل المائة الرابعة زمن (ابن ابي العافية) وقال في المغرب ما نصه ولما دخل مولانا ادريس الاكبر المغرب الاقصى وجد أهله على ثلاث فرق (يهود ونصارى ومجوس) ودعاهم الى دين الله وعبادته وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فأجابوه لذلك واتبعوه خفافاً وثقالا الى أن بويع له بالسمع والطاعة واتباع الكتاب والسنة وذلك يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان من سنة اثنين وسبعين ومائة فكثرت اتباعه وظهر دين الله وأغزى من القبائل من لم يجبه الى الاسلام فعظم أمره وبلغ خبره الى هارون الرشيد فبعث اليه من بغداد سليمان بن جرير ليخدمه وينسب اليه لكونه من وطنه واهل بلده فحن اليه ادريس واقبل عليه وقربه لاجل ذلك وصار ابن جرير المذكور يعرف الاوطان وصار يعرف الناس من أنه في العراق سيد وفاضل وماجد وأنه كان عند أهل العراق في شأن عظيم ودرجة رفيعة ومقام كريم فاستحسن منه السيد ادريس فعله وادبه فأدناه وقربه فكان يخلو معه الى ان وجد فيه الفرصة فسمه في تفاحة كان

!ستعد له بها من عند هارون الرشيد مدبرة فمات السيد ادريس حين شمها وخرج هارباً فتبعه راشد فلحق به فضربه ومنع منه ونجا الى أن وصل بغداد وقد رآه رجل من فاس في حمام بغداد وهو مقطوع اليد وفي رأسه شجة قال والسيد ادريس توفي في أوائل شهر ربيع الاول سنة سبعة وسبعين ومائة فكانت أمارته خمس سنين وستة أشهر بعد سبعين وماية وترك زوجته حاملا فاجتمعت القبائل واعيان القوم على عبده راشد وأمروه ان يتصرف على حاله كيف كان في حياة سيده الى أن تضع الزوجة حملها فأجابهم لذلك الى ان وضعت الزوجة حملها فزاد عندها ولد فتسمى على اسم والده مولانا ادريس وبقي راشد يدبر امره مع أشياخ القبائل الى أن وصل من السنين احدى عشرة سنة وحفظ كتاب الله العزيز فأمر راشد باحضار أهل المغرب واعيان القبائل فحضر الناس بكثرة فاتفقوا على بيعة مولانا ادريس بن ادريس .

وكان ذلك في عام ثمانية وثمانين وماية ، وفي تلك السنة اسس السيد ادريس (مدينة فاس) وانجلبت اليها الناس من كل مكان فأول من عمر فيها من أحوازها أهل زرهون ومغيلة وأهل سائس واهل المطاوسدنية ولواقت وسفرو وابن يارغة وهوارة وغيرهم من القبائل والجبال فأتت الناس اليها من كل ناحية ومكان وكانت أيامه نفعنا الله به أيام هدنةورخاء وخصب وفرح وسرور وكان مسددا في أموره واحواله وكان حازما لا يغفل عن مصالح الدين والدنيا وكان يأمر الناس بهما ويحضهم على العمارة وانجلبت اليه الناس من مشرق ومغرب وانزرعت في قلوب الناس محبته من نسبه وسيرته الى أن توفي رحمه الله ودفن (في زرهون) بازاء أبيه في (وليلي) اسم البقعة التي دفن فيها وذلك في سنة ثلاث عشرة ومايتين فكانت أيامه (وعدة سنينه ستة وثلاثين سنة) (وكان سبب موته عنبة شرقت له في حلقه فمات من حينه فكفن وحملوه الى زرهون فدفن بوليلي بازاء أبيه) وأما القبر الذي هنا في فاس في مسجد الشرفاء فهو

قبر السيد محمد بن ادريس الاصغر رحمه الله . وخلف رحمه الله اثني عشر من الاولاد وتولى بعده ولده محمد وقسم لأخوته البلاد وكانوا تحت طوعه وكان هو اكبرهم ومن بعد ما فرقهم اختل أمرهم وقاموا على بعضهم بعضا وكثر الهرج وقتل بعضهم بعضا وتفصيل ذلك في كتاب القرطاس ثم توفي الامام محمد في ربيع الثاني سنة احدى وعشرين ومايتين فكانت ايامه بعد أبيه ثمانية اعوام ثم تولى بعده ولده علي من تسع سنين فكانت ايامه صغيرة وتوفي عام اربع وثلاثين فكانت أيامه ثلاث عشرة سنة وولي أخوه يحيى وهو الذي أمر ببناء القرويين وأمر ببناء الحمامات ثم ولي الملك علي بعد وفاة يحيى ثم قام عليه عبد الرزاق الخارجي الاندلسي من ناحية غياثه وتبعه اناس من البربر كثيرة وأخذ مواطن وقرى فخرج اليه علي الادريسي فقاتله فانهزم علي ودخل عبدالرزاق الى فاس فملك عدوتها وكان اكثر سكانها أهل الاندلس الذين خرجوا من أرضهم ونفاهم بنو امية وكانوا في العدوة منهم ثمانية آلاف رجل فاستصحب بها عبد الرزاق فرجع اليه يحيى الاندلسي بعد ما انهزم علي وقاتل معه وحدثت بعد قتله حروب كثيرة اختصرنا على ذكرها وتولى ملك فاس يحيى وقتل من الاندلس أقواماً كانوا في عصبة عبد الرزاق الخارجي وكان السيد يحيى المذكور ملك فاسا وأحوازها وكان حاذقاً شجاعاً كريما غالبا عادلا وكان افضل الادارسة الى ان قام عليه أبو مصلة المكناسي وهو قائد عبدالله الشيعي القائم بأمر افريقية وذلك في سنة خمس وثلاثمائة فخرج يحيى لقتاله فالتقى الجمعان فهزم يحيى ودخل لفاس مهزوماً وانحصر فيها وطال حصاره الى ان صالحه يحيى وبايع لعبدالله الشيعي صاحب افريقية فارتحل عن فاس ابو مصلة قائد الشيعي ورجع الى القيروان فلما عزم على الرجوع ارسل الى موسى بن أبي العافية وكان ذا مال وجاه وماشية وكان نازلا على حوزة تازة وصنع مع قائد الشيعي ابن مصلة خيرا كثيرا وقاتل معه يحيى فلما ارتحل ابو مصلة عن فاس ارسل

الى موسى بن ابي العافية وقدمه على امور المغرب كلها وعمالة الغرب كلها تحت يديه وأما السيد يحيى فلما بايع الشيعي صاحب افريقية اشترط عليه قعوده في فاس فقط ولا له أمر ولا نهي على غيرها في عمالة أهل المغرب لاجل خدمته وقتاله مع صاحب افريقية فصار يتصرف في المغرب ويجمع خراجه وصار السيد يحيى يحضر أحواله ويضرب على يده فكتب به الى أبي مصلة واعلمه بفعل يحيى فتحرك اليه ثانية اخرى من افريقية وذلك في سنة تسع وثلاثمائة فخرج اليه يحيى ليتلقاه مع جموعه فقبضه أبو مصلة وأوثقه في الحديد ودخل به مقيداً لفاس وأخذ ما عنده من الذخائر والاموال ولما اخذ ما عنده سرحه وأنبذه الى (أزيلا) وكان فيها ابن عم له يعيش فيها فأرسله اليه واقتطعه عن جموعه واقتصرنا عن حديث طويل ثم اراد الرجوع الىافريقية ليشتكي ما أصابه من أبي مصلة وما فعل به موسى بن ابي العافية وسجنه ثم هرب الى افريقية ومات فيها جوعا بعد حديث طويل فعندذلك قدم ابو مصلة على موسى بن أبيالعافية وصار يتصرف في أحوال المغرب ثم ان السيد الحسن دخل لفاس معبعض رجاله مستخفيا وهو من الادارسة وقام فيها وذلك في سنة عشر وثلاثماية فبايعه فيها نفر من اصحاب موسى بن ابي العافية فكانت بينهم حروب فمات بين الفريقين نحو أربعة آلاف وانهزم بن أبي العافية ورجع السيد الحسن لفاس دون عسكره فقبضه عامل افريقية وكان مضروباً على يديه حين دخل الحسن دون عسكرهلانه فني في القتال مع ابن ابيالعافيةوقبضه العامل وأوثقه في الحديد وأرسل الى موسى بن أبي العافية فأصبح بفاس وأرسل الى العامل ليمكنه من الحسن ليقتله فأبى العامل فأطلقه بالليل ليهرب الى الغد ويختفي فطاح من السور وانكسر ومات بعد ثلاثة أيام وبعد ان مات الحسن تولى ابن أبي العافية فاسا وذلك سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة فصار يبحث عن الأدارسة ليقتلهم فهربوا منه وارتحلوا الى كل جبل فصار يتصرف في أوامر المغرب باديه وحاضره وبايع صاحب افريقية

فأرسل اليه قائده حمدان ثم مات ثم ارسل موسى الى صاحب قرطبة امير المؤمنين الناصر لدين الله وبقي على أمره عاملا على فاس واختصرنا على كلام طويل الى ان مات بن أبي العافية وتولى أولاده بعده شيئاً بعد شيء على اذن الشيعي لانهم نقضوا بعد ابيهم بيعة الناصر لديـن الله صاحب قرطبة وصارالأدارسة الذين تبقوا بعد وفاة الحسن بايعوا الشيعيصاحب افريقية وانحزموا الى قتال ابن ابي العافية وكانت بينهم حروب كثيـرة ووقائع يطول ذكرها الى ان تولى فاس من تحت الشيعي صاحب افريقية وهو من الادارسة السيد القاسم وتولى أيضاً بعده من الادارسـة أبو العيش وبعده الحسن وهو آخرهم واقتصرنا في حديثهم والبقاءلله الواحد القهار انتهى .

وقد أشار الى مضمون هذا في الاقنوم بقوله « ذكر دولة الأدارسة»:

قد جاء راشد بادريس الامـــام … وفي وليلي عام قعب قد أقـــام
وامتد ملكــــه الى أن وصـــلا … الى الرشيــد فلذاك أرســـلا
من سمه فمـــات عام زعـــق … وقام راشـــد بأمر الخلـــق
وكان قـــد ترك حملا وضعـــا … ولده ادريس منـــه بويعـــا
وهو ابن احدىعشرة من السنين … واختط عـــام قضب فاس المعيـــن
ومات في ريب وبعـــد وليـــا … ولـــده محمـــد توفيـــا
سنة ركا ثـــم بعـده علـــي … ومـــات في ولد وبعـــده ولـــي
يحيى الحفيد بعـــده أو الحسن … وقام موسى عـــام سيح فامتهـــن
محمـــد أحسنهم من بعـــده … وعام جص اختبى في لحـــده
وعادت الدولـــــة للادارسة … من بعـــد أن صيروها دارســـة
بعد محمد تولـــى القاســـم … ثـــم ابو العيش الاخير منهـــم
وهو ابنه فانقرضت ذي الدولة … في عســـه فمن بهـــم للملـــة

هذا اجماله وأما تفصيله فينبغي ان يذكر ذلك على وجه يستدعي بيان سبب قدومه وما لقي في قدومه وبيعته وغزواته وفتوحاتـه الى وفاتـه وسبب موته وقيام خلفائه من بعده وبيان سيرته الحميدة وأوصافه الجزيلة المجيدة وقيام حفيده من بعده على سنن أبيه وجده رضي الله عنهم أجمعين وعنا بهم آمين على فصول مرتبة بنقول مهذبة ا هـ .

الفصل الاول

في سبب قدومه وما لقي فيه وبيعته وغزواته الى وفاته

فأعلم انه قد قال أبو الحسن بن أبي زرع في كتابه الأنيس المطرب روض القرطاس في سبب اتيان مولانا ادريس للمغرب ان أخاه النفس الزكية محمد بن عبدالله الكامل قام بالحجاز على أبي جعفر المنصور عام خمس واربعين ومائة منكراً فأرسل اليه أبو جعفر جيشاً عظيماً فهزم النفس الزكية وقبض على جماعة من أصحابه وفروا الى بلد النوبة الى ان قام المهدي بعد موت المنصور فأرسل اليه فظهر النفس الزكية بمكة فبويع بالموسم وتبعه أهل مكة والمدينة وأهل الحجاز وكان له ستة أخوة وهم يحيى وسليمان وابراهيم وعيسى وعلي وادريس فبعث عليا الى افريقية فأجابه بها خلق كثير من البربر وبقي هناك الى ان توفي وبعث يحيى الى خراسان فأقام بها الى ان قتل أخوه محمد ففر الى الديلم فأسلم على يديه خلق كثير ودعا لنفسه فبايعه خلق كثير وقوي أمره وذلك في خلافة الرشيد فلم يزل يبعث اليه الرشيد بالجيوش ويحتال عليه حتى أتاه بالأمان فأقام عنده الى ان مات مسموماً في زمن الرشيد وبعث سليمان الى مصر داعياً فلما اتصل به قتل أخيه محمد سار الى بلاد النوبة ثم الى السودان ثم وصل الى تلمسان من بلاد المغرب فنزلها واستوطنها في أيام أخيه ادريس فكان له بها أولاد كثيرون فكل حسنى هناك من نسل سليمان بن

عبدالله وقد دخل أكثر أولاده الى المغرب والسوس الأقصى وأما النفس الزكية فلما قويت شوكته بمكة قاتل المهدي في عسكر عظيم من الحجاز واليمن وغيرهما على ستة أميال من مكة فقتل النفس الزكية بعد قتال شديد وانهزم جيشه وقتل منهم كثير في يوم السبت في ذي الحجة سنة تسع وستين ومائة وفر أخوه أبراهيم الى البصرة فأقام بها ولم يزل يحارب أعداءه حتى قتل وفر أخوه مولانا ادريس مستتراً من مكة حتى وصل مصر مع مولاه راشد فلقيهما رجل من أهل الخير والدين والمحبة لأهل البيت فاستأمناه على سرهما فاعطاهما الامان فأخبراه فأكرمهما وأقاما عنده مدة واخبره راشد بانه يريد المغرب بلاد البربر قائلا انه بلدنا لعله يأمن فيه وهذا يدل على ان أصل راشد من المغرب وقد قال صاحب الاستبصار راشد أصله من البربر من قبيلة (اوريد) اه قيل أنه سبي مع أبيه في غزوة موسى بن نصير ثم قفل مع أبيه الى المشرق وهو صغير ثم اتى مع ادريس ودله على المغرب ثم اتصل خبرهما بعامل مصر علي بن سليمان الهاشمي فبعث الى الرجل فقال انه قد رفع الي خبر الرجلين اللذين عندك وان امير المؤمنين قد كتب الي في طلب الحسنين والبحث عمن وجد منهم وقد بعث عيونه على الطرقات وجعل الرصاد في أطراف البلاد فلا يمر احد منهم حتى يعرف ويعرف صحة نسبه وحاله ومن أين قدم والى أين يسير واني أكره ان اتعرض لدماء اهل البيت وان ينالهما اذى بسببي فلك ولهما الامان سر اليهما واعلمهما بمقالي وقل لهما يخرجان من عملي لئلا يصل خبرهما الى المهدي فيخرجكم من يدي وقد اجلت لكم في الخروج ثلاثة ايام . فسار الرجل واعلمهما فعزما على الخروج الى المغرب فاشترى الرجل لهما راحلتين ولنفسه اخرى وصنع لهما زادا يبلغهما الى افريقية وقال لراشد اخرج مع الرفقة على الجادة واخرج أنا مع مولانا ادريس على طريق غائض اعرفه لا تسلكه الرفاق وموعدنا (مدينة برقة) انتظرك حيث آمن عليك من الطلب فقال الرأي ما رأيت . فخرج راشد مع الرفقة على

الجادة في زي التجار وخرج مولانا ادريس مع الرجل في البرية حتى وصلا
مدينة برقة فقعدا فيها حتى وصل راشد ثم جدد الرجل لهما هنالك زادا
يبلغهما وودعهما وانصرف راجعا الى مصر . وقال النتسي انه اتى مصر مع
مولاه راشد فأقام مستخفيا بها فانتهى خبره الى صاحب البربر بها وهو
واضح مولى صالح بن منصور الحميري وكان متشيعاً فأتى الموضع الذي
كان فيه مختفيا فلم ير اصلح له من ان يحمله على البربر الى المغرب ففعل
فبلغ ذلك هارون الرشيد فأخبر ان الذي أجازه الى المغرب واضح المذكور
(فأمر به فضرب عنقه وصلب) . قال في (الانيس) وسار ادريس مع
مولاه راشد الى افريقية يجد السير حتى وصلا الى القيروان فأقاما بها
مدة قال وكان راشد من أهل النجدة والشجاعة والحزم والقوة والعقل
والدين والنصيحة لاهل البيت رضي الله عنهم فعمد الى ادريس حين خرج
من القيروان والبسه مدرعة صوف خشينة وعمامة غليظة وصيره كالخادم
له يأمره وينهاه كل ذلك خوفا عليه وحياطة . فلم يزل على ذلك حتى وصلا
مدينة تلمسان فاستراحا بها اياماً ثم ارتحلا منها نحو بلاد طنجة فسارا حتى
عبرا (وادي ملوية) ودخلا السوس الادنى حده من (وادي ملوية الى
وادي ام الربيع) وهو أخصب بلاد المغرب وأعظمها بركة فدخلا طنجة
واقاما مدة فلم يجد مولانا ادريس بها مراده فخرج مع مولانا راشد حتى
نزلا بمدينة (وليلي)قاعدة جبل زرهون وكانت وليلي متوسطة خصيبة
كثيرة المياه والغراس والزيتون وكان لها سور عظيم وهي بلدة قديمة
البناء ويذكر انها من بنيان القبط وهي معروفة الان (بقصر فرعون) ولما
وصل مولانا ادريس اليها نزل على صاحبها الامير اسحاق بن محمد بن
عبد المجيد الاوربي المعتزلي فأقبل على مولانا ادريس واكرمه وبالغ في
بره فأظهر له ادريس امره وعرفه نسبه فوافقه على حاله وانزله معه بداره
فتولى خدمته والقيام بشؤونه وكان دخول مولانا ادريس المغرب ونزوله

على عبد المجيد في غرة ربيع أول سنة اثنين وسبعين ومائة فأقام عنده ستة اشهر .

وأما بيعته وغزواته فانه لما دخل شهر رمضان من السنة المذكورة جمع عبد المجيد اخوته قبائل اوربة فعرفهم بنسب ادريس وفضله وقرابته من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرفه وعلمه دينه والفضائل المجتمعة فيه فقالوا الحمد لله الذي اتانا به وشرفنا بجواره ورؤيته فهو سيدنا ونحن عبيده نموت بين يديه فما تريد منا ؟ قال تبايعونه فقالوا سمعاً وطاعة ما منا من يتوقف عن بيعته وما يريد فبايعته قبائل اوربة وكانوا في ذلك الوقت اعظم قبائل بالمغرب واكثرها عددا وأشدها قوة وبأسا واحدها شوكة فكانوا هم انصاره الاولين ثم بعد ذلك قبائل زناته واصناف قبائل البرابرة من اهل المغرب منهم زواغة وزارة ولماية وسدراته وغياثه ونفزة ومكناسة وغمارة فبايعوه ودخلوا في طاعته ولما استقام أمره أخذ جيشا عظيما من وجوه قبائل زنانة واوربة وصنهاجة وهوارة وغيرهم فخرج غازياً الى بلاد (تامسنا) كما يأتي بيان ذلك وذكر بعض اهل العلم ان عبد المجيد تاب من اعتزاله على يده وحسنت توبته وفي تاريخ دخوله المغرب يقول الامام ابن غازي رحمه الله تعالى :

وجاءنا ادريس عـــام قعب الى وليلي بأقصى المغرب

اذ قام مدة على المهدي الخ

وما زال رضي الله عنه يدعو الى الله عز وجل ويقاتل على اعلاء كلمة الله الى أن طهر الله المغرب من انواع الكفر والضلال كما يتبين بعد ثـم انه لما استتم أمر مولانا ادريس رضي الله عنه تجهز غازياً الى بلاد (تامسنا) فنزل اولا مدينة (شالة) ففتحها ثم فتح بعدها مدائن سائر بلاد تامسنا ثم سار الى بلاد (تارلا) ففتح معاقلها وحصونها وكان اكثر هذه البلاد على دين النصرانية ودين اليهوديةوالمجوسية والاسلام بها قليل فأسلم جميعهم

علي يديه ثم رجع الى مدينة (وليلي)فدخلها في آخر شهر ذي الحجة من سنة اثنين وسبعين ومائة فأقام شهر المحرم مفتتح سنة ثلاثة وسبعين ومائة واستراح الناس ثم خرج برسم غزو من بقي بالمغرب من البربر على دين النصرانية واليهودية والمجوسية وكان قد بقي منهم بقية متحصنون في المعاقل والجبال والحصون المنيعة فلم يزل يجاهدهم ويستنزلهم حتى دخلوا في الاسلام طوعاً وكرهاً وفتح بلادهم ومعاقلهم واباد من أبى الاسلام منهم بالقتل والسبي ودمر بلادهم ومعاقلهم منها حصون مندلاوة وحصون (مديونة) وبطلولة وقلاع (غياثة) وبلاد (بارز) ثم رجع من هذه الغزوات الى مدينة وليلي فدخلها في النصف من جمادي الاخير سنة ثلاث وسبعين المذكورة فأقام النصف من رجب حتى استراح الناس ثم خرج في النصف الاخير من رجب المذكور برسم غزو مدينة (تلمسان) ومن بها من قبائل (مغراوة وبني يفرن) فوصل مدينة تلمسان ونزل بخارجها فأتاه اميرها محمد بن حرز المغراوي فطلب امانة فأمنه وبايعه محمد بن حرز وجميع من معه بمدينة تلمسان فدخلها ادريس صلحاً فأمن اهلها وبنى مسجدها وأتقنه وصنع به منبرا وكتب عليه (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا ما أمر به ادريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وذلك في شهر صفر سنة اربع وسبعين ومائة ثم رجع الى وليلي وتوفي بها كما يأتي بيانه ان شاء الله تعالى فاستبان من هذا انه أسلم على يديه أهل المغرب وانه هو الذي اتاهم بالايمان وقد علم انه رضي الله عنه توفرت فيه شروط الخلافة علماً ونسباً .

اما الشرط الاول الذي هو العلم فقال الامام ابن زكري في همزيته :

كان بحراً من العلوم فحقت منه فينا خلافة ودعاء

قال في شرحها يأتي بعد هذا البيت دليل علمه تفصيلا واما الدليل الجملي فهو رضي الله عنه من تابع التابعين مع شدة قربه من مولانا رسول

الله صلى الله عليه وسلم وقد علم أن علماء الصحابة والتابعين أعلم من أكابر علماء من تأخر عنهم من العصور كما قال الشيخ السنوسي وغيره فما بالك بمن كان منهم من ابناء مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبذلك تعلم أنه قدتوفرت فيه شروط الخلافة ولا يرد عليه اصلا خلع بني العباس والخروج عليهم فانه عهد اليه أخوه محمد النفس الزكية بالامامة كما عهد الى اخوته سليمان وابراهيم ويحيى (والنفس الزكية انعقدت له الامـامة قبل بني العباس) فقد ذكر غير واحد انه لما تزلزلت قواعـد ملك بني امية وضعف، أمرهم اجتمع اهل البيت بالمدينة وبايعوا بالخلافة (للنفس الزكية) وحضر هذا العقد ابو جعفر المنصور العباسي قال في كتاب ترجمان العبر فبايع المنصور فيمن بايع من اهل البيت واجمعوا على ذلك لتقدمهفيهم بما علموا له من الفضل عليهم ولهذا كان مالكوابوحنيفة رحمهما الله تعالى ورضي عنهما يرجحان امامته على بني العباس لان بيعة النفس الزكية كانت في عنق أبي جعفر بالحجاز ويريان امامته أصح مـن امامة ابي جعفر لانعقاد هذه البيعة من قبل اهـ وقد قيل ان سبب ضرب ابي جعفر للامام مالك انه أفتى بان بيعة ابي جعفر لا تلزم لانها علـى الأكراه وهذه رواية الاكثر وانظر الحطاب في شرح ديباجة المختصر. وقال حذاق المالكية الامامة تنعقد بعد الامام الاول وان لم يشاور أهـل الحل والعقد وان ذلك حكم ماض حكم به على المسلمين على ان الامام مولانا ادريس رضي الله عنه من أئمة الاجتهاد فقد فعل ما أداه اليـه اجتهاده فهو مأجور على كل حال . وقد تقدم عن سيدي موسى الزياتي انه من التابعين وليس ببعيد وعليه أجاز بعض القدماء من أهل العلم الذيـن مدحوه حيث قال :

زرهون أشرف ما في الأرض من بقع   اذ فيه قبر عظيـم من ذوي كـرم
وذاك قبر الأمام التابعي الـــذي   من آل بيت الرسول سيد الامـم
ادريس أجمل خلق الله فيـــه اذن   وهو الأمام لهم في الحشر بالعلـم

ومن قال بتفضيل زرهون لدفن مولانا ادريس به الامام العارف بالله تعالى سيدي موسى بن عبدالله الكيساني العمراني اذ قال زرهون أفضل البقاع في الغرب لانه حل فيه ادريس وثوى فيه حيا وميتا فحاز زرهون التفضيل من اجله فكما طابت طيبة بحلول رسول الله صلى الله عليه وسلم حياً وميتاً كذلك طاب زرهون ايضا بحلول ادريس حيا وميتا وممن قال بتفضيله العلامة الكبير سيدي محمد السبتي رحمه الله تعالى .

واما الدليل التفصيلي فقد قال الامام ابن زكري في شرح قوله من همزيته :

« نفع مولاه راشد لابنه اد ريس فيـــه امـــاء »

ما نصه : هذا دليل علم سيدنا ومولانا ادريس بن عبدالله على سبيـــل التفصيل وبيانه انه لما شب ولده مولانا ادريس الاصغر رضي الله عنه علمه مولى ابيه راشد العلوم العقلية والنقلية من فقه وحديث وتفسير ولغـــة وبلاغة وغيرها حتى علوم السياسة الى ان تمهر فيها فاذا كان علم المولى التابع الخادم فما ظنك بعلم السيد المتبوع المخدوم وما استفاد ذلك راشد الا منه ولا أخذ الا عنه وقد تقدم ان منشأ راشد وأصله من المغرب مـــن البربر وهو راشد بن منصت الاوربي وانه سبي مع ابيه في غزوة موسى بن نصير وقفل مع ابيه الى المشرق وهو صغير ثم أتى مع مولانا ادريس ودله على المغرب .

وأما الشرط الثاني الذي هو النسب فقد بلغ العلم بشرفه وصحة نسبه وانه ادريس بن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم مبلغ التواتر المفيد للقطع واليقين واستفاض على ألسنة الخاصة والعامة استفاضة بلغت

أعلى مراتب الاستفاضة واقوى انواع التواتر انعقد على ذلك الاجماع
وذكر ذلك وصرح به جماعة من فحول أهل العلم واكابرهم كمصعب بن
ثابت بن عبدالله بن الزبير بن العوام لقي مالكا وروى عنه كتاب الموطأ
وغيره وخرج له النسائي وابن ماجه وغيرهما فانه ذكر ادريس بن عبدالله
وقدومه المغرب وذكر ولده مولانا ادريس قبل وفاة مصعب هذا بسبع
وعشرين سنة وعاش مصعب ثمانين سنة أو ما يقرب منها والحافظ ابن
حزم والقاضي عياض في المدارك حين ذكر المحمودية والامام التجيبي
ذكر ادريس وولده واخبارهما والامام الجزنائي في كتابه والامام العارف
بالله سيدي الشيخ زروق في كناشته فانه ذكره وذكر آباءه ورفع نسبه
الى النبي صلى الله عليه وسلم والامام الولي الصالح موسى بن عبدالله
الزياتي والامام التنسي في كتابه (الدر والعقيان) والامام الكبير العلامة
الشهير ابو زيد عبد الرحمن بن خلدون والامام المسعودي وابن الخطيب
التلمساني وابن السكاك المكناسي والامام العلامة ابو العباس احمد
الونشريسي والامام ابن غازي وقد سبق شيء من نظمه والامام الشاطبي
وشيخ الجماعة الامام ابن القصار والامام التوزري المصري في شرح
الشقراطة وغيرهم ويكفي في القطع بصحة هذا النسب الكريم انتساب
القطبين الكريمين والغوثين الجامعين الشهيرين امامي طريقة الفتح
والوصول الى انقراض الدنيا مولانا عبد السلام بن مشيش ومولانا أبي
الحسن الشاذلي نفعنا الله بهما واعتماديهما عليه .

الفصل الثاني

في سبب وفاة سيدنا ومولانا ادريس رضي الله عنه

وذلك انه لما اشتهر ذكره وعلا صيته وامره وفشا خبر غزواته وفتوحاته ودخول الناس في طاعته واستجابتهم دعوته طوعا وكرها وتسخير القلوب له ، خاف الرشيد ان يعظم امره حتى يصل اليه لما يعلم من كماله وفضله وحب الناس له فاغتم لذلك غماً شديداً فبعث الى وزيره المدبر لمملكته يحيى بن خالد البرمكي يستشيره فيه وقال انه من ولد علي بن ابي طالب وابن فاطمة بنت رسول لله صلى الله عليه وسلم وقد قوي سلطانه وكثرت جيوشه وعلا شأنه واشتهر اسمه وظهرت فتوحاته وقد فتح تلمسان وهي باب افريقية (ومن ملك الباب يوشك ان يدخل الدار) وقد عزمت ان ابعث له جيشاً عظيماً لقتاله ثم تفكرت في بعد البلاد وطول المسافة وتنافي المغرب عن المشرق ولا طاقة لجيوش العراق الى الوصول الى السوس من ارض المغرب فرجعت عن ذلك وقد هالني امره فأشر عليَّ برأيك ، فقال يحيى بن خالد يا أمير المؤمنين من الرأي ان تبعث اليه رجلا ذا حزم ومكر ولسان واقدام وجرأة يقتله وتستريح منه ، فقال الرأي ما رأيت فمن يكون الرجل ؟ قال يا أمير المؤمنين اعرف في جيشي رجلا اسمه سليمان بن جرير من أهل الحزم والاقدام والفتك والشجاعة والعلم بالجدل والدهاء نبعثه اليه فقال اسرع بذلك فخرج الوزير الى سليمان بن جرير فعرفه المقصود

وما يراد منه ووعده على ذلك الرفعة والمنزلة العالية فاعطاه اموالا جليلة وتحفاً مستظرفة وجهزه بما يحتاج اليه فخرج من بغداد يجد السير مظهراً النزوع الى ادريس فيمن نزع متبرئاً من الدعوة العباسية ومنتحلا للطلب حتى وصل الى المغرب فقدم على مولانا ادريس بمدينة (وليلي) بعد رجوعه من تلمسان فسلم عليه فسأله الامام مولانا ادريس عن اسمه ونسبه ومن أي البلاد قدم وما سبب قدومه الى المغرب فذكر له انه من بعض موالي أبيه وأنه اتصل به خبره فأتاه برسم خدمته لاجل محبته وولايته لاهل البيت فأنس به مولانا ادريس وسكن الى قوله وسر به سرورا عظيما وحل من قلبه بمنزلة رفيعة فكان لا يقدر ان يأكل الا معه لانه لم يجد في بلاد المغرب من يأنس به ويستريح اليه غيره وذلك لجهل اهل المغرب وجفاء طباعهم ولما ظهر له في سليمان المذكور من النبل والادب والفصاحة والبلاغة . فقال في المسالك سليمان الجريري رجل من ربيعة كان متكلماً يرى رأي الزيدية وكان حلواً شجاعا أحد شياطين الانس فكان اذا جلس مع الامام مولانا ادريس بين رؤساء البرابرة ووجوههم يذكر فضائل اهل البيت وعظيم بركاتهم ويقيم الدليل على امامة مولانا ادريس ويأتي في ذلك بالحجج البينة والبراهين القاطعة وباحاديث واخبار فأحبه ادريس وكان لا يأكل ولا يشرب الا معه فلم يزل يرتقب الفرصة ويعمل في قتله الحيلة فلا يجد الى ذلك سبيلا من اجل مولانا راشد الذي لا يزايله ولا يفارقه الى ان قدر الله تعالى أن غاب راشد ذات يوم في بعض شؤونه فدخل عليه سليمان بن جرير فوجده وحده فجلس بين يديه على عادته يتحدث معه ملياً فلم ير راشداً فانتهز الفرصة فقال يا سيدي جعلت فداك اني جئت من المشرق بقارورة طيب أتطيب بها اني لما رأيت هذه البلاد ليس بها طيب رأيت ان الامام أولى بها فخذها تتطيب بها فقد آثرتك بها على نفسي وهي من بعض ما يجب لك علي ثم أخرجها من وعاء ووضعها بين يديه فشكره مولانا ادريس ثم أخذ القارورة ففتحها وشمها ولما تحصل مراده منه وتمت

حيلتهفيه جعل يده في الارض وخرج كأنه يريد قضاء حاجة الانسان فسار الى منزله وركب فرساً من عتاق الخيل وسباقها كان قد أعدها لذلكوخرج يطلب النجاة وكانت القارورة مسمومة فلما استنشقها مولانا ادريس صعد السم الى دماغه فغشي عليه وسقط في الارض على وجهه ولا يفهم ولا يعقل ولا يعلم احد مابه ولا ما اصابه واتصل خبر غشيته بمولاه راشد فأقبل مسرعاً فدخل عليه ووجده يجود بنفسه وقد اشرف على الموت وهو لا يقدر يبين الكلام فقعد عند رأسه متحيراً في امره ولا يعلم ما به حتى قطع سليمان بنجرير مسافة من الارض وأقام مولانا ادريس في غشيته الى آخر النهار وتوفي رحمة الله عليه وكانت وفاته مفتتح شهر ربيع الاخر سنة سبع وسبعين وماية فكانت امارته خمسة اعوام‌وسبعة اشهر . وقال النوفلي ثلاثة اعوام وستة اشهر فلما توفي نظر راشد الى سليمان بن جرير فلم يجده فأخبر انه لقي على اميال كثيرة فعلم حينئذ أنه سمعه فركب في جمع كثير من البربر وخرج في طلبه وجد السير طول ليله وتقطعت الخيل في أثره فلـم يلحقه من القوم الا راشد وحده أدركه وهو يجوز وادي ملويه فصاح به راشد وشد عليه بالسيف فقطع يده اليمنى وشجه فيرأسه ثلاث شجات وجرحه في جسده ولا يصيب له مقتلا وكبى جواد راشد ففر سليمان بن جرير حتى وصل العراق فأخبر بعض الناس أنه لقيه ببغداد مشلولة يده اليمنى وبرأسه وجسده أثر الجراحات وقد برئت . قـال النوفلي حدثني من رآه بعد قدومه العراق مكنعاً (« والمكنع »كمعظم المقطوع اليد) وقال لما اتى سليمان الرشيد ولاه بريد مصرهم وما ظنك برجل تجاسر على جانب النبوءة وتجرأ على حرمة مولانا علي وسيدتنـا فاطمة والحسنوقتل امام المسلمين وخليفة سيد المرسلين لاجل حظ دنيوي وقدر الله نافذ لا محالة والويل كل الويل لمن قدر الشر على يديه ورجع راشد الى وليلي فأخذ في جهاز مولانا ادريس فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه (بصحن رابطة باب وليلي ليتبرك الناس بقبره وزيارة تربته) واما

يحيى بن خالد صاحب هذا الرأي الفاسد آل أمره الى ان سجن طويلا وقتل شر قتلة وشتت شمل جميع أقاربه وفرق جمعهم وسبي نساؤهم وذراريهم ودار عليهم الزمان بضروب الامتحان الى ان ألقوا على المزابل كالقمامات وهكذا عادة الله فيمن آذى اهل البيت وقصد نكايتهم ينعكس وباله عليه .

وقد علم ما وقع بقاتلي الحسين رضي الله عنه واجمال قصته أنه لما مات معاوية وأفضت الخلافة الى يزيد ووردت بيعته على الوليد بن عتبة وكان الوليد عاملا لمعاوية على المدينة أرسل الوليد الى الحسين والى عبدالله بن الزبير ليلا فأتي بهما فقال بايعا فقالا شلت يمينك لا نبايع سراً ولكنا نبايع على رؤوس الناس اذا أصبحنا فرجعا الى بيوتهما وخرجا من ليلتهما الى مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب وعزل يزيدالوليد بسبب ذلك حيث كف عن الحسين وابن الزبير وأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوال وذا القعدةوخرج يوم التروية يريد الكوفة وذلكانأهل الكوفة أرسلوا اليه ليبايعوه وليمحو عنهم ما هم فيه من الجور فنهاهابن عباس وبين له غدرهم وقتلهم لأبيه وخذلانهم لأخيه وقال فان أبيت فلا تذهب بأهلك فأبى فبكى ابن عباس وقال واحبيباه وقال له ابن عمر نحو ذلك فبكى ابن عمر وقبله ما بين عينيه وقال استودعك الله (من قتيل) ونهاه ابن الزبير ايضا وكان أخوه الحسن قد قال له عند احتضاره اياك وسفهاء الكوفة ان يستخفوك فيخرجوك ويسلموك فتندم ولات حين مناص وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وقد أخرج البغوي في معجمه من حديث أنس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال استأذن ملك القطر ربه انه يزور النبي صلى الله عليه وسلم فأذن له وكان في يوم أم سلمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا ام سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل أحد فبينما هي على الباب اذ دخل الحسين

فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه قال نعم قال ان أمنك ستقتله وان شئت أريك المكان الذي يقتل به فأراه فجاء (بسهلة) او تراب أحمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها . قال ثابت كنـــا نقول انها (كربلا) وأخرجه أيضا ابو حاتم في صحيحه وروى أحمد نحوه وروى عبد بن حميد وابن أحمد نحوه ايضاً لكن فيه ان الملك جبريل فان صح فهما واقعتان وزاد الثاني انه صلى الله عليه وسلم شمها وقال ريح كربلاء (والسهلة بكسر أوله رمل حسن ليس بالرقاق الناعم) في رواية الملا وابن أحمد في زيادة المسند قالت ثم ناولني كفاً من تراب احمر وقال ان هذا من تربة الارض التي يقتل بها فمتى صار دماً فاعلمي انه قد قتل قالت أم سلمة فوضعته في قارورة عندي وكنت أقول ان يوماً يتحول فيه دمــاً ليوم عظيم وفي رواية عنها فاصبته يوم قتل الحسين وقد صار دما وفي رواية اخرى ثم قال يعني جبريل ألا أريك تربة مقتله فجاء بحصيـــات فجعلهن رسول الله صلى الله عليه وسلم في قارورة قالت أم سلمة فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول :

أيها القائلون جهلا حسبنـــا فابشروا بالعذاب والتذليـــل
قد لعنتم على لسان ابن داود وموسى وحـــامل الانجيـــل

قالت فبكيت وفتحت القارورة فاذا الحصيات قد جرت دماً واخرج ابن سعد عن الشعبي قال مر علي رضي الله عنه بكربلا عند مسيره الى صفين وحاذى قرية على الفرات وسأل عن اسم هذه الارض فقيل كربلا فبكى حتى بل الارض من دموعه ثم قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقلت ما يبكيك قال كان عندي جبريل آنفاً وأخبرني أن ولدي الحسين يقتل بشاطىء الفرات بموضع يقال له كربلا ثـم قبض جبريل قبضة من تراب شمني اياه فلم أملك عيني أن فاضت ورواه أحمد

مختصراً عن علي وروى الملا أن علياً مر بموضع قبر الحسين فقال (ها هنا مناخ ركابهم وها هنا موضع رحالهم وها هنا مهراق دمائهم فتية من آل محمد يقتلون شهداء تبكي عليهم السماء والارض) وكان مما بعثه على الخروج مخافة ان يستباح حرم مكة بسببه فلما نهاه ابن عباس قال لان أقتل بمكان كذا وكذا أحب الي من ان يستحل الحرم بي قال ابن عباس فذلك الذي سلى نفسي عنه ولما نهاه ابن الزبير قال له مثل ذلك وفي رواية انه قال لابن الزبير ان ابي حدثني ان لمكة كبشا تستحل به حرمتها فما أحب أن أكون انا ذلك الكبش ولاقتل خارجها بشبرين أحب الي من أن اقتل خارجها بشبر واحد ولما سار الحسين لقي مسيره الفرزدق الشاعر مقبلا من الكوفة فقال له بين لي خبر الناس فقال (أجل على الخبير سقطت يا ابن رسول الله صلى لله عليه وسلم) قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني أمية والقضاء ينزل من السماء والله يفعل ما يشاء . وروي ان الحسين رضي الله عنه أنشده :

وان تكن الدنيا تعـــد نفيســة ... فان ثواب الله أعلى وأنبـــل
وان تكن الابدان للموت انشئت ... فقتل امرىء في الله بالسيف أفضل
وان تكن الارزاق قسما مقدراً ... فقلة حزم المرء في الكسب أجمـل
وان تكن الاموال للترك جمعهـا ... فما بال متروك به المرء يبخـــل

ولما بلغ كربلا والتقى الجمعان حمل عليهم وسيفه مصلت في يده وأنشأ يقول :

انا ابن علي الحبر من آل هاشم ... كفاني به فخراً اذا حين افخـــر
وجدي رسول الله افضل من مشى ... ونحن سراج الله في الناس يزهـر
وفاطمة امي سلالـة أحمــــد ... وعمي يدعى ذا الجناحين جعفـــر
وفينا كتاب الله أنزل صادقـــاً ... وفينا الهدي والوحي بالخير يذكر

وقد وافق رضي الله عنه بهذه الابيات ما أثنى عليه به رسول الله صلى

الله عليه وسلم فقد اخرج ابو الشيخ بن حبان في كتاب السنة الكبير عن ربيعة السعدي قال أتيت حذيفة رضي الله عنه فسألته عن أشيـاء فقـال اسمع مني وع وابلغ الناس اني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم كما تراني وسمعته باذني هاتين وقد جاء الحسين بن علي رضي الله عنهما فجعله على منكبه وجعل الحسين يغمز بعقبه في سرة النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت كف رسول الله صلى الله عليه وسلم الطيبة وقد وضعهـا على ظهر قدم الحسين وهو يغمز بهـا سرة نفسه لئلا ينبهر وينقطع نفسه من الكلام ثم قال : (أيها الناس هذا الحسين بن علي خير الناس جداً وخير الناس جدة ، جده رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم وجدته خديجة سابقة نساء العالمين الى الايمان وهذا الحسين بن علي خير الناس خالا وخير الناس خالة ، خاله القاسم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وخالته زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم وضعه على منكبـه فدرج بين يديه ثم قال صلى الله عليه وسلم يا أيها الناس هذا الحسين بن علي جداه في الجنة وابوه في الجنة وامه في الجنة واخوه في الجنة وعمه في الجنة وعمته في الجنة وخاله في الجنة وخالته في الجنة ثم قال ايها الناس انه لم يعط احد من ورثة الانبياء الماضين ما اعطي الحسين بن علي خلا يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم يا ايها الناس ان الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وذريته فلا تذهبين بكم الاباطيل) وكان معه في ذلك الموقف نيف وثمانون نفسا وكان معه أربعون فارساً ومائة راجل وأعداؤه عشرون الفاً فثبت ثباتاً باهراً وقاتل قتالا لم يسمع بمثله وقتل عددا كثيرا من ابطالهم وشجعانهم ثم قتل رحمه الله عليه تعالى ورضي عنه وقتل معه اخوته وبنيه وبني اخيه الحسن ومن أولاد جعفر وعقيل تسعة عشر رجلا وقيل احد وعشرون قال الحسن البصري ما كان على وجه الارض يومئذ لهم شبيه ولولا ما كادوه به من أنهم حالوا بينه وبين الماء لم يقدروا عليه . وكان موته في يوم عاشوراء عام احدى

وستين ، أخرج أبوالشيخ عن يعقوب بن عثمان قـال كنت في ضيعتي فصليت العتمة ثم جلسنا جماعة ثم ذكروا الحسين فقال رجل ما أعان احد على قتله الا اصابه قبل ان يموت بلاء ومعنا شيخ كبير فقال انا ممن شهده وما أصابني أمر اكرهه الى ساعتي هذه قال فأطفىء السراج فقام ليصلحه فأخذته النار فجعل ينادي النار والقى نفسه في الفرات ينغمس فيه فأخذته النار حتى مات . وقال السدي أنا والله رأيته كأنه حممة واخرج منصور بن عمار عن أبي محمد الهلالي قال اشترك منا رجلان في قتل الحسين فابتلى احدهما بالعطش فكان لو شرب راوية ما روي وابتلى الآخر بطول ذكره فكان اذا ركب الفرس يلويه على عنقه كأنه حبل . ونقل سبط ابن الجوزي عن الواقدي عن ابن الرماح قال كان بالكوفة شيخ اعمى قد شهد قتل الحسين فسألناه عن ذهاب بصره فقال كنت في القوم وكنا عشرة غير اني لم اضرب بسيف ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم فلما قتل الحسين رجعت الى منزلي وأنا صحيح وعيناي كأنهما كوكبان فنمت تلك الليلـة فأتاني آت في منامي فقال أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت مالي ولرسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذني وانطلق بي الى مكان فيه جماعة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حـاسر عن ذراعيه وبيده سيف وبين يديه نطع واذا أصحابه العشرة مذبوحون (١) بين يديه فسلمت عليه فقال لاسلم الله عليك ولا حياك يا عدو الله الملعون اما استحيت مني تهتك حرمتي وتقتل عشيرتي ولم ترع حقي قلت يا رسول الله ما قاتلت قال نعم ولكنك كثرت السواد واذا بسطت عن يمينه فيه دم الحسين فقال اقعد فجثوت بين يديه فأخذ امرودا أحماه ثم كحل به عيني فاصبحت أعمى كما ترون .

وحكى هشام بن محمد عن القاسم بن الاصبغ قال لما جيء برأس الحسين

(١) كذا في الاصل ولعل الصواب (موجودون) اهـ مصححه.

وأصحابه الى الكوفة اذا بفارس من احسن الناس وجها قد علق في لبب فرسه رأس غلام كأنه القمر ليلة تمامه والفرس يمرح فاذا طأطأ رأسه لحق الرأس بالارض فقلت له رأس من هذا قال رأس العباس بن علي قلت وانت من ؟ قال حرملة بن الكاهن الاسدي قال فلبثت اياما واذا بحرملة ووجهه اسود من النار فقلت رأيتك يوم حملت الرأس وما في العرب أنضر وجها منك وما أرى اليوم اقبح ولا اسود وجها منك فبكى وقال منذ حملت الرأس الى اليوم ما تمر علي ليلة الا واثنان يأخذان بضبعي ثم ينتهيان بي الى نار تتأجج فيدفعاني فيها وأنا أنكص فتسعفني كما ترى ثم مات على أقبح حال . والعباس هذا قتل مع الحسين هو وشقيقه عثمان وجعفر وعبدالله امه أم البنين بنت حزام بن خالد الوحيدية ثم الكلابية وقتل معه أيضا أبو بكر بن علي امه ليلى بنت معود بن خالد النهشلي ومحمد بن علي قتل معه أيضا امه ام ولد .

وبيان القضية ان المختار بن ابي عبيد تبعته طائفة من الشيعة وقتل من شهد قتل الحسين بأقبح القتلات ولم يبق واحد من الستة الاف الذين قاتلوا الحسين مع عمر بن سعدبن ابي وقاص وقتل عمر بن سعد وخص شمر بن ذي الجوشن بمزيد نكال وأوطئت الخيل صدره وظهره وذلك أن شمر هذا قبحه الله هو الذي تولى قتل الحسين وجرأهم على ذلك وذلك أن عمر بن سعد كان عاملا لابن زياد فوجهه ابن زياد لقتل الحسين ومعه ستة آلاف فبعث عمر للحسين يطلب الاجتماع به في خلوة لكراهية قتاله فاجتمعا فقال عمر ما جاء بك فقال اهل الكوفة فقال اما عرفت ما فعلوا معكم فقال (من خدعنا في الله انخدعنا له) فقال فما ترى الان قال دعوني أرجع فاقيم بمكة او آتي المدينة او اقيم ببعض الثغور فقال اكتب الى ابن زياد فكتب اليه فهم باجابته لذلك فقال شمر بن ذي الجوشن الكلام لا يقبل منه حتى ينزل على علي حكمك فقال ابن زياد نعم ما رأيت وكتب الى ابن سعد اني لم ابعثك لتكون شفيعا عندي فان نزل علي حكمي

ووضع يده في يدي فابعث به الي وان أبى فأقتله واصحابه واوطىء الخيل صدره وظهره ومثل به وان ابيت فاعتزل علمنا وسلمه الى شمر بن ذي الجوشن ودفع الكتاب الى شمر وقال ان فعل ما آمر به والا اضرب عنقه وأنت الامير على الناس فلما وصل شمر قال له ابن سعد لا اهلا بك والله ولا سهلا يا ابرص لقد رددته عما كان في عزمه وبعث الى الحسين فأخبره فقال والله لا وضعت يدي في يد ابن مرجانة ابداً فقاتلوه وناداه شمر الساعة ترى الهاوية فقال الحسين الله اكبر أخبرني جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت كأن كلبا أبقع ولغ في دماء اهل بيتي وما أخالك الا اياه ثم ان سنان بن انس النخعي وشمر بن ذي الجوشن اشتركا في قتل الحسين وكان شمر ابرص فاما سنان فجاء الى ابن زياد وقال :

أوقر ركابي فضة وذهبـــا   أنــي قتلــت الملك المحجبـــا
قتلت خير النـــاس أماً واباً   وخيرهم اذ ينسبــون نسبـــا

فقال حيث علمته كذلك فلم قتلته ؟ واما شمر ففعل به المختار ما سبق وقد شكر الناس أولا للمختار انتصاره لاهل البيت لكنه أنبأ في الاخير عن خبث وكذب على اهل البيت فزعم انه يوحى اليه وكان علي بن الحسين يلعنه ويقول كذب على الله وعلينا . واليه تنسب الطائفة الكيسانية فانه كان يلقب بكيسان وكان يزعم ان محمد بن الحنيفة هو المهـدي وكان سليمان بن صرد وهو من الصحابة ممن كاتب الحسين في القدوم الـى الكوفة فيما ذكره ابن عبد البر ثم انه لم يقاتل معه فندم هو ومن معه بعد موت الحسين على خلافه وقالوا ما لنا توبة الا ان نقتل أنفسنا في الطلب بدمه فخرجوا الى الشام وولوا امرهم سليمـان بن صرد وسموه أمير التوابين وانما قصدوا الشام لان ابن زياد الآمر بقتل الحسين لما بلغه موت يزيد هرب من الكوفة الى الشام فانتهى الى مروان بن الحكم فخرج اليهم ابن زياد المذكور في ثلاثين الفاً وكان أصحاب سليمان أربعة آلاف فاقتتلوا اياما ثم التقوا يوما فكان النصر لسليمان في اول النهار

ولابن زياد في اخره ثم قتل سليمان وهو ابن ثلاث وتسعين سنة وافترقوا ثم مات مروان ثم نزل ابن زياد الموصل في ثلاثين الفاً فجهز اليه المختار ابراهيم بن الاشتر في طائفة سنة تسع وستين فالتقى بابن زياد فقتل ابن زياد على الفرات في يوم عاشوراء وكان من غرق من اصحابه اكثر ممن قتل وبعث الاشتر برأس ابن زياد مع رؤوس اصحابه الى المختار فالقيت مع موضع رأس الحسين واصحابه ونصب رأس ابن زياد في المكان الذي نصب فيه رأس الحسين ثم ألقاها في اليوم الثاني في الرحبة وروى الترمذي عن عقبة عن عمارة بن عمير قال لما جيء برؤوس عبدالله بن زياد وأصحابه نصبت في المسجد فانتبهت والناس يقولون قد جاءت فاذا حية قد جاءت تتخلل الرؤوس حتى دخلت في منخري عبدالله بن زياد ثم مكثت هنيهة ثم خرجت فذهبت حتى تغيبت ثم قالوا قد جاءت ففعلت ذلك مرتين أو ثلاثاً وروى الحافظ محمد بن اسحق بن منده عن عبدالملك ابن عمير قال لقد رأيت في هذا القصر عجباً ، يعني قصر الامارة بالكوفة ، دخلت على عبدالله بن زياد وهو على سرير والناس عنده سماطان وعلى يمينه ترس وعليه رأس الحسين ثم دخلت على المختار في ذلك السرير والناس عنده سماطان وعلى يمينه ترس عليه رأس عبدالله بن زياد ثم دخلت على مصعب بن الزبير في ذلك الموضع على ذلك السرير والناس عنده سماطان وعلى يمينه ترس عليه رأس المختار ثم دخلت على عبد الملك بن مروان في ذلك الموضع على ذلك السرير والناس عنده سماطان وعلى يمينه ترس عليه رأس مصعب . هذا بعض ما حصل لهم في الدنيا وأما ما يحصل لهم في الآخرة من أليم عذابه وعظيم عقابه ما لا يحويه ولا يحصيه كتب فقد قال سليمان بن يسار وجد حجر مكتوب عليه :

لا بد أن ترد القيامة فاطم   وقميصها بدم الحسين ملطخ
ويل لمن شفعاؤه خصماؤه   والصور في يوم القيامة ينفخ

قال السمهودي وهو شاهد لما اخرجه ابن الاخضر في العترة الطاهرة

من حديث علي الرضى عن ابيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن ابيه علي زين العابدين عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال (رسول الله صلى الله عليه وسلم تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بدم فتتعلق بقائمة من قوائم العرش فتقول يا عدل احكم بيني وبين قاتل ولدي فيحكم لابنتي ورب الكعبة) وعن محمد ابن سيرين قال وجد حجر قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بثلاثمائة سنة مكتوب عليه بالسريانية فنقلوه للعربية فاذا هو :

أترجو أمة قتلت حسيناً ... شفاعة جده يوم الحساب

واخرج ابن الجراح من طريق ابي لهيعة عن أبي قتيل قال لما قتل الحسين بعث برأسه الى يزيد فنزلوا اول مرحلة فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم حديد فكتبت سطراً بدم (أترجو امة قتلت حسيناً الخ) البيت المتقدم فهربوا وتركوا الرأس .

الفصل الثالث

في نشأة نجله البدر المنير

وتربيته بأتم أدب وأوفى توقير وقيام وزرائه به من بعده الى استكمال قيامه باعباء الخلافة وبيعته واستكمال متابعة ابيه في علومه وتصرفاته وسننه .

ففي المطرب الانيس قال محمد بن عبد الملك الوراق في كتابه المقباس والبكري والبرنسي وغيرهم ممن اعتنى بتاريخ الادارسة ان الامامادريس ابن عبدالله لما توفي لم يترك ولدا مولودا الا انه ترك جارية من البربر اسمها كنيزة حاملا منه في الشهر السابع من حملها فجمع راشد رؤساء القبائل ووجوه الناس بعد فراغه من دفن مولانا ادريس فأخبرهم ان ادريس لم يترك ولدا الا حملا بجاريته كنيزة وهي في الشهر السابع من حملها وقال لهمفان رأيتم أن تصبروا حتى تضع حملها فان كان ذكراً ربيناه فاذا بلغ مبلغ الرجال بايعناه تبركاً بأهل البيت وذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم وان كان جارية نظرتم لانفسكم من ترضونه لذلك قالوا أيها الشيخ المبارك ما لنا رأي الا ما رأيت فانك عندنا عوض من ادريس تقوم بأمرنا كما كان مولانا ادريس وتصلي بنا وتحكم بيننا بما يقتضيه الكتاب والسنة حتى تضع الجارية فان وضعت غلاما ربيناه وبايعناه وان وضعت جارية نظرنا في أمرنا على انك أحق الناس به لفضلك ودينك وعلمك فشكرهم راشد على ذلك ودعا لهم وانصرفوا فقام بأمر البربر حتى تمت

للجارية اشهر حملها فوضعت غلاما أشبه الناس بوالده ادريس فأخرجه راشد الى رؤساء البربر حتى نظروا اليه فقالوا هذا ادريس بعينه كأنه لم يمت فسماه ادريس باسم أبيه وقام بأمره وأمر البرابرة وكفله حتى فطم وشب وأدبه أحسن أدب وأقرأه القرآن فحفظه وله من السنين ثمانية اعوام ثم علمه العلم كما يأتي قلت في هذا دليل على نصح راشد رضي الله عنه للامة ولذرية مولانا رسول الله صلى الله علينا وسلم في امته فجزاه الله أحسن الجزاء .

وولد سيدنا ادريس رضي الله عنه في يوم الاثنين من شهر رجب الفرد الحرام عام سبعة وسبعين ومائة وكانت صفته الخلقية صفة والده رضي الله عنه كأنه هو قال في الانيس كانت صفة ادريس بن ادريس كصفة أبيه كان ابيض اللون مشرباً بحمرة تام القد جميل الوجه اقنى الانف مليح العينين واسع المنكبين شثن الكفين أفلج أبلج أدعج فصيحاً بليغاً أديبا عالماً بكتاب الله قائماً بحدود الله راويا للحديث عارفا بالفقه والسنة والحلال والحرام وفصل الاحكام ورعا تقيا جوادا كريما حازما بطلا شجاعا شهما مقداما له عقل راجح وذهن راشح واقدام في مهمات الامور اه (البياض المشرب بحمرة هو الذي مازجته الحمرة وهو لون جده صلى الله عليه وسلم كما سبق والدعج شدة سواد العين مع سعتها والقنا ارتفاع قصبة الانف مع احديداب في وسطه والقد القامة والبهجة الحسن والاستواء الاعتدال والبلج عرف ما بين الحاجبين من الشعر والفلج في الاسنان انفراج ما بين الثنايا وهو من أوصاف الملاحة واسباب الفصاحة والمحيا الوجه والصولة القوة والتمكن والاعتلاء والظهور) .

ومن شجاعته رضي الله عنه ما ذكر في روض القرطاس قال داود بن القاسم بن عبدالله بن جعفر الاوربي شهدت ادريس بن ادريس رضي الله عنه في بعض غزواته (للخوارج الصفرية من البربر) فلقيناهم وهم ثلاثة اضعافنا فلما تقارب الجمعان نزل مولانا ادريس فتوضأ وصلى ركعتين

ودعا الله تعالى ثم ركب فرسه وتقدم للقتال فقاتلناهم قتالا شديداً فكان مولانا ادريس يضرب في الجانب مرة ثم يكر الى الجانب الثاني فلم يزل كذلك حتى ارتفع النهار فرجع الى رايته ووقف بازائها والناس يقاتلــون بين يديه فطفقت انظر له واديم الالتفات اليه وهو تحت ظلال البنــود يحرض الناس ويشجعهم فأعجبني ما رأيت من شجاعته وقوة جأشه فالتفت الي وقال يا داود ما لي اراك تديم النظر الي فقلت ايها الامام اعجبني منك خصال ما رأيتها لغيرك قال ما هي يا داود قلت أولها ما رأيت من حسنك وثبات قلبك وجمالك وطلاقة وجهك وما خصصت به من البشر عند لقاء عدوك قال ذالكم بركة جدنا صلى الله عليه وسلم ودعائه لنا وصلاته علينا ووراثة عن أبينا علي بن ابي طالب رضي الله عنه قال قلت واراك تبصق بصاقاً مجتمعاً وأنا اطلب قليل الريق في فمي فلا أجده قال يا داود ذلك لاجتماع عقلي وقوة جأشي عند الحرب وعدم ريقك من طيش لبك وافتراق عقلك ولما خامرك من الرعب قال داود فقلت أيها الامير وانا أيضا أتعجب من كثرة تقلبك في سرجك وقلة قرارك في مكانك قال ذلك مني زعم الى القتال وعزم صداقة وهو أحسن في الحرب ثم أنشأ يقول :

أليس ابونا هاشم شــد ازره ... وأوصى بنيه بالطعان وبالضرب
فلسنا نمل الحرب حتى تملنا ... ولا نشتكي مما يؤول الى النصب

فتعجب الناظر اليه رضي الله عنه من طلاقته وبشره وعدم تغير حسنه وتأثر جماله عند محاربة اعدائه وقتالهم قبل ظهور امارات الفتح وبشائر الظفر وانه لخليق بالتعجب فان ذلك من المواطن التي تنقبض فيها النفوس وتشمئز القلوب وتضيق الصدور وتبدل الاخلاق لا سيما رئيس القوم وكبير الجيش الذي عليه المدار واليه الملجأ والفرار ومن ثم اجاب رضي الله عنه بأن ذلك ليس من طوق البشر ومما يتعارفه الناس أهل القوى والقدر وانما (هو مدد جاء من حضرة الرسالة) وهو معنى قوله ذلك بركة جدنا صلى الله عليه وسلم وما اجاب به في مسألة الريق هو عين الحق فقد قال

السهيلي في الروض قلة الريق من الحصر وهو ضيق الصدر وكثرته من قوة النفس وثبات الجأش قال العلامة ابن زكري في شرح همزيته ما نصه (ولما تمهر مولانا ادريس في العلوم وبلغ احدى عشرة سنة وبلغ في هذا السن مبلغ الرجال تأهل بذلك للخلافة واستوفى فيها الشروط) قال البكري والبرنسي وغيرهما لما كمل لادريس من العمر احدى عشرة سنة ظهر من ذكائه ونبله وعقله وفصاحته ما اذهل عقول الخاصة والعامة فاخذ له راشد البيعة على سائر البرابر ثم لما توفي راشد وباشر ادريس القضاء والفصل بين الناس بنفسه وقام بأمور باقي الاحكام والشرائع حتى قدم اليه عامر بن سعيد القيسي فاستقضاه كما يأتي وكان لما بويع قام بأشراط البيعة وصعد المنبر وخطب فقال (الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأتوكل عليه . وأعوذ به من شر نفسي ومن شر كل ذي شر واشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله . المبعوث الى الثقلين بشيراً ونذيراً . وداعيا الى الله باذنه وسراجاً منيرا . صلى الله عليه وسلم وعلى آل بيته الطاهرين الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . ايها الناس أنا الذي قد وليت هذا الامر . الذي يضاعف للمحسنين فيه الاجر . وللمسيئين الوزر ونحن والحمد لله على قصد جميل فلا تمد الاعناق الى غيرنا . فان الذي تطلبونه من الحق انما تجدونه عندنا) فمن تأمل هذه الخطبة واعطاها حقها من النظر ظهر له من فصاحة الامام ادريس وبلاغته ومعرفته بطريق الوعد والوعيد وقصده النصح للامة وذكر الامر والنهي وايثاره رضي الله عنه على هوى النفس ما يبهر العقول ويحير الباب الفحول هذا كله وهو ابن احدى عشرة سنة واشار بقوله وليت الى أنه لا رغبة له في ذلك ولا شره منه اليه واشار بقوله الذي يضاعف الخ الى ما ورد في الاحاديث من ثواب أئمة العدل ومضاعفة اجورهم لما يقومون به من حفظ الامةوكف شر الفتنة عنهم واعانتهم على المصالح الدينية والدنيوية ومن وزر اهل الجور ومضاعفة العقوبة لهم لما يترتب

على جورهم من المفاسد الدينية والدنيوية في حق الخاصـــة والعامة (والاحاديث في هذا المعنى كثيرة) واشار بقوله ونحن الخ الى تطييب نفوس المؤمنين وادخال السرور عليهم بتعريفهم بقصده وطويته انه لم يضمر لهم الا الخير ولم يسع لهم الا في الصلاح ثم عن التشوق الى الغير لئلا تفترق كلمتهم ويختل امرهم وليكونوا من المؤثرين لذرية مولانارسول الله صلى الله عليه وسلم فيستحقون رضاه ووجه رجحان التمسك بهـم والاهتداء بهديهم بقوله فان الذي تطلبونه من الحق الخ قال ذلك لما علمه من نفسه من التصميم على المبالغة في النصح للخلق والعزم على بذل السعي لهم في المصالح مع ما عنده من العلم بذلك وقد سبقه الى مثل هذه المقالة والده فانه لمابويع بالمغرب خطب الناس وقد قال (أيها الناس لا تمـد الاعناق الى غيرنا فان الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا) ثم قال ذكر غير واحد ان راشداً لم يمت حتى اخذ البيعة للامام مولانا ادريس بالمغرب وان الامام مولانا ادريس لما كمل له من العمر احدى عشرة سنة ظهر من ذكائه ونبله وقوة جأشه وثبات جنانه على صغر سنه فتسارع الناس الى بيعته وازدحموا عليه يقبلون يده فبايعه كافة قبائل أهل المغرب فاتصل خبره بابراهيم بن الاغلب عامل افريقية فحاول قتل راشد وذلك سنة ثمان وثمانين ومائة فقام بأمر ادريس بعده ابو خالد بن يزيد بن الياس العبدي فأخذ له البيعة على جميع قبائل البربر بعد (قتل راشد بعشرين يوما) وسار رضي الله عنه بسيرة سلفه الصالح بنشر العدل واظهار الحق والتزام الاستبانة وأقام السنة ونصر الشريعة والنصح لله ولرسولـــه وللمؤمنين وأعلى منار الدين وشهر شرائع الاسلام فاستقام امره وتمهد له الملك وعظم سلطانه وقويت جنوده واتباعه وفدت عليه الوفود مـــن البلدان وقصده الناس من كل ناحية ومكان فأقام بقية سنة ثمان وثمانين التي بويع فيها يعطي الاموال ويصل الوفود ويستميل الرؤساء والاشياخ وفي سنة تسع وثمانين ومائة وفد عليه وفود العرب من افريقيــة وبلاد

الاندلس في نحو خمسمائة فارس فسر بوفادتهم واجزل صلاتهم ورفع منازلهم واستوزر منهم عمير بن مصعب الازدي وكان من فرسان العرب وساداتها ولمصعب آثار عظيمة في الاندلس ومشاهد في غزو الروم كثيرة واستقضي منهم عامر بن سعيد بن محمد القيسي وكان رجلا صالحاً ورعاً سمع مالكا وسفيـان الثوري وروى عنهمـا كثيراً ثم خرج الى الأندلس برسم الجهاد ثم جاز الى العدوة فوفد منها على ادريس فيمن وفد عليهمن العرب ولم تزل الوفود ترد من العرب والبربر من جميع الآفاق وفي سنة اثنين وتسعين ومائة وفد عليه جماعة من الفرس من العراق فأنزلهم بناحية عين علون وكانت اذ ذاك ارضاً ذات ماء وكلخ وبسباس وأشجار بريـة وكان بها عبد اسود اسمه علون يقطع الطريق هنالك قبل بناء مدينة فاس وكان الناس يتحامونها ولا يمرون بها ولا يسلكونها من اجل علـون المذكور والتفاف الاشجار وهدير المياه والانهار وكثرة الوحوش المؤذية فكان الرعاة يتحامونها بمواشيهم ولا يسلكها الا الجماعة من الناسفعرف الامام مولانا ادريس بخبر علون حين شرع في بناء عدوة الاندلس فأمر بالقبض عليه فخرجت الخيـل في طلبه فقبض عليـه فأتي به اليـه فأمر بقتله وصلبه على شجـرة هنالك كانت علـى رأس العين وكان رضي الله عنـه ملازماً للحق في تصرفاته جاريا على قانـون الشريعة في احكامه لا يعدل عن الحق ولا ينحرف عن السنة فألف الناس منه ذلك حتى عمهم الهناء وأمنوا الجور فكان يأخذ الجزية وزكاة الاموال على منهاج الحق ثم يصرف ذلك الى مستحقيه وكانت تأتيه الغنائـم في غزوات اصحابه فيقسم الاربعة الاخماس على المجاهدين ويصرف الخمس في مصارفه . وفي عام سبع وتسعين ومائة خرج الى بلد نفيس وبلـد المصامدة فوصل اليهما فدخل مدينة نفيس ومدينة اغمات وفتح بلاد سائر المصامدة وأسلم على يديه خلق كثير كانت بقيت بعد أبيه اخترمته المنيـة قبل أن يصل اليها وحصلت له منها غنائم كثيرة ففرقها ولا أبقى منها قليلا

ولا كثيرا الا قدر الكفاف لاهله وقد تقدم قوله (ان الذي تجدونه من الحق عندنا لا تجدونه عند غيرنا) (تنبيه) تقدم ان قاضيه كان ممن قرأ على مالك بن انس وسفيان الثوري فالظاهر انه كان على مذهب أحدهما ويحتمل انه كان على مذهب الاوزاعي لقول القاضي عياض في المدارك ان اهل المغرب والاندلس كانوا قبل ان يصل اليهم مذهب مالك على مذهب الاوزاعي ورأي الكوفيين فلما اتى اصحاب مالك بمذهبه رفع ذلك من المغرب اه ويحتمل أنه كان مجتهدا مستقلا لم يتقيد بمذهب احدهما وكان كذلك جماعة من الاكابر ثم بعد ذلك وقع التقيد بالمذاهب •

ثم أنه رضي الله عنه بعد ان غزا ما لم يصله ابوه من بلـــدان المغرب وعمرانه واسلم بدعوته من بقي من اهل الشرك بالمغرب ولا بقي الا من رضي بذمة المسلمين واداء الجزية لهم نشر العلوم واوضح الحق ببيان الشريعة والحقيقة ومهد الجمع بينهما حتى عرفت اصول الدين وفروعه وتبين كمال الايمان على ما هو عليه فثبت الدين في المغرب وتقرر وصارت شجرته فيه أصلها ثابت وفرعها في السماء فعلم ببركته أهل المغرب بعد ان جهلوا وعملوا بعدما ضيعوا واقبلوا بعدما اعرضوا واتصلوا بعدمـــا انفصلوا وقربوا بعدما انقطعوا واستأنسوا بعدما استوحشوا وعزوا بعدما ذلوا وغلوا بعدما رخصوا وعلوا بعدما سفلوا فسبحان من أحيا به وبأبيه بعد الموت وتداركهم ببركتهما قبل الفوت . ولما تمهد ملك مولانا ادريس ابن مولانا ادريس جدد من معالم الدين ما بلي واظهر ما خفي وأحضر ما غاب وغير وأحيا ما درس واندثر فكان رضي الله عنه بشارة جده صلى الله عليه وسلم في قوله (لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) او الى قيام الساعة وهم بالغرب أو المغرب على اختلاف رواته كما سيأتي ولا ظهر حصول هذه المزية العظمى الا بعد وروده رضي الله عنه ارض المغرب ومن يوم سطع نوره بالمغرب لا يزيد الدين به الا ظهورا واتضاحا فصار بحلوله شمسا مشرقة وغرب

منه به سائر غياهب الجهل والضلالات لشروق الدين والعبادات قال العلامة ابن زكري في شرح قوله من همزيته :

زال عن غربنا غروبه لمـــا اشرقت فيه منكـــم الاضواء

ما نصه انما سمي الغرب غرباً ومغرباً لان الشمس تغرب في ناحيةوجهته كما قال سيدنا كعب الاحبار رضي الله عنه مخبرا بذلك ابن عباس لما سأله عن مغرب الشمس قال أجدها تغرب في ماء وطين بالمغرب وسمي الشرق شرقاً ومشرقاً لان الشمس تشرق من ناحيتـــه وجهته ولذا قال الشاعر :

ففي الشرق من أجل الشروق مسرة وفي الغرب من أجل الغروب كروب

ولما كان المغرب في زمن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وزمن الخلفاء الراشدين مملوءاً كفراً ومغمورا جهلا لم يدخله الايمان ولم يبلغه الفتح كان كأنه قد غرب وفقد واضمحل بالغروب المعنوي الذي هو غيبة شمس الايمان والمعرفة وهو اقوى من الحس فلما منّ الله على اهله بقدوم مولانا ادريس رضي الله عنه ونفعنا به آمين ففتحه ودعا اهله الى الله وهداهم الله على يديه وببركته زال عنه ذلك الغروب والفقر فأحياه الله بالايمان وفتح بصائر اهله واشرق فيهم شموس المعارف والعلوم كمـــا سيأتي فتبدل غروبه بالشروق وخفاؤه بالظهور ونكارته بالمعرفة (وذلك مدد منه صلى الله عليه وسلم) وفيض من بحر فضله واشراق من عظيم نوره وبين الغرب والغروب التجنيس الناقص وبين الغروب والاشراق الطباق ثم قال :

لا غرابة انهذا الغرب شرقاً (١) لشموس المعانـــي في ضيـــاء

---

(١) كذا في الاصل ، وهو غير مستقيم . ولعل الصواب: « ليس بدعا ان عاد ذا الغرب شرقا » الا ان قول مؤلف الكتاب بعد احـــد عشر سطرا «وبين غرابة وغرب التجنيس » يدل على ان أصـــل البيت كما هو هنا ، فتأمل .

ولما قدم مولانا ادريس رضي الله عنه المغرب ودعا اهلـــه الى الله وارشدهم الى دينه فاستجابوا له وحبب الله لهم الايمان على يده خرجت ظلمة الكفر واشرق فيه نور الايمان وتجلت شموس المعرفة فصار الغرب شرقا لشروق شمس المعاني بطلوعها فيه وعم شعاعها ولا غرابة في ذلك وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فكم من موضع عبدالله فيه بعد الاشراك وكم محل رحم الله اهله بعد الغضب وقربهم بعد البعد ورضي الله عنهم بعد السخط وفرج عنهم بعد الشدة ووصلهم بعد القطع وانظر مسجد سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم فقد كان موضعه مقبرة للمشركين فنبشها وجعل فيها مسجده ولا غرابة أيضا في صيرورته شرقا بقدوم سيدنا ومولانا ادريس لشدة قربه من مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعرفته بسنته وارثه اياه في الدعاء الى الله والدلالة عليه وبين غرابة وغرب التجنيس النـــاقص وبين غرب وشرق الطباق ثم قال ايضا :

وفشا الحق فيه بعد اغتـــراب ولاهليه فيه كان البقـــــاء

اشارة لما ذكره الشيخ زروق في شرح الرسالة بالتعريف بالامام مالك رضي الله عنه حيث قال ويكفي في ارجحيته كونه امام دار الهجرة في خير القرون ومتبوع اهل المغرب الذين لا يزالون ظاهرين على الحق الى قيام الساعة كما صح في الحديث وان اختلفت روايته اه واخرج الحاكم عن عبدالله بن عمر باسناد صحيح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة قال المنـــاوي زاد في رواية من اهل المغرب ه وما ذكره الشيخ زروق ظاهر من لفظ الحديث وقال صاحب المشارق في قوله لا يزال اهل المغرب بعين الرواية التي ذكرت في بعض طرق مسلم ذكر يعقوب بن شيبة عن يحيى بن المديني قال المراد بالغرب (الدلو) وعنى الغرب لانهم اصحابها لا يستقي بها احد غيرهم وفي حديث معاذ وهم اهل الشام والغرب المكان والشام غربي الحجاز

وقال المراد أهل الحدة قال أهل اللغة يقال في لسان فلان حدة . وزاد في حديث ابي امامة قال يا رسول الله واين هم قال بيت المقدس قال ويمكن الجمع بين الاخبار بأن المراد قوم بيت المقدس وهي شامية ويستقون بالدلو وتكون لهم حدة في قتال العدو اه كلام ابن حجر وعلى حمل الشيخ زروق رضي الله عنه ونقله غير واحد واقره فهما طائفتان الطائفة التي في الشام هم الذين يقتلون الدجال مع سيدنا عيسى على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام واليه الاشارة بما في الحديث الاخير والذي نفسي بيده ليجدن ابن مريم في أمتي ــ الحديث ــ والله تعالى أعلم وهذه الطائفة الجليلة نفعنا الله بهم في صحيفة سيدنا ادريس رضي الله عنه اذ بسببه وصل الايمان واليقين وبين الضمير المجرور يعني باعتبار معاده واغترابه التجنيس الناقص ثم قال ايضا :

أخصب الدين فيه من بعد جدب اذ غـدا له من نداك ارتـواء
وتمكن منه حتى انتفـى أهـل الابتداع وماتت الاهواء (كذا)

ذكر اهل العلم من فضائل المغرب ان الله حماه من فرق أهل المبتدعة كالمعتزلة والرافضة والجبرية وغيرهم وقد كان اهل المغرب على اديان مختلفة وآراء فاسدة فلما كانت ولاية يزيد بن معاوية ولى عقبة بن نافع الفهري على بلاد المغرب في سنة اثنين وستين من الهجرة وقد مضت من ولايته سنتان فاستفتح عقبة الى ان بلغ البحر الاعظم في بلاد ماسة وأدخل فيه قوائم فرسه ثم جعل يقول وعليكم السلام فقال له اصحابه على من تسلم يا ولي الله فقال ان قوم يونس عليه السلام سلموا علي وسلمت عليهم ولولا البحر لأريتكم اياهم فأسلم على يديه بعض من المغرب وحين رجع منه ارتد بعض من أسلم . ثم ولما ولي الوليد بن عبد الملك بن مروان ولى موسى بن نصير على المغرب سنة اثنين وسبعين فسار حتى بلغ طنجة وسبته وجاز في بر الاندلس وافتتحه مع مولاه طارق بن زياد واسلم على يديه بعض اهل المغرب وحين رجع عنه ارتد ايضا بعض من أسلم . قـال

الشيخ ابن ابي زياد ارتدت البرابرة بالمغرب اثنتي عشرة مرة ولم تستقر كلمة الاسلام الا في عهد ولاية موسى بن نصير فما بعده . أي مدةمولانا ادريس . وقال في كتاب العبر ارتد اهل المغرب مرات الى ان طهرهم من ذلك موسى بن نصير ومولانا ادريس وفي بعض التواريخ اهل المغرب ارتدوا اثنتي عشرة مرة الى ان فتح الله عليهم بقدوم ادريس فمن بركته تقرر اسلامهم وزاد خيرهم وغاض شرهم ه وكان عقبة بن نافع ولي أمر المغرب قبل ولاية يزيد قال في الاستيعاب عقبة بن نافع ولد على عهد مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصح له صحبة كان ابن خالة عمرو ابن العاص ولاه عمرو بن العاص افريقية وهو على مصر فانتهى الى لواته ومزانة فطاعوا ثم كفروا فغزاهم من سبته فقتل وسبا وذلك سنة احدى واربعين وافتتح في سنة اثنين واربعين (غدامس) فقتل وسبا وافتتح سنة ثلاث واربعين كورة من كور السودان وافتتح (ودّان) وهي من حيز برقة من بلاد افريقية وافتتح عامة البرابر وهو الذي اختط القيروان فنهض اليه عقبة فلم يعجبه فركب بالناس الى موضع القيروان اليوم وكان واديا كثير الاشجار غيضة مأوى الوحوش والحيات فأمر بقطع ذلك واحراقه واختط القيروان وأقام بها ثلاث سنين وروي أنه لما وقف على القيروان قال يا أهل الوادي اظنعا فأنا نازلون وكررها ثلاثا قال الراوي فما رأينا حجرا ولا شجرا الا يخرج من تحته حية أو غيرها من تلكم الحيوانات المفترسة حتى هبطوا بطن الوادي ثم قال أنزلوا بسم الله وقتل عقبة بن نافع سنة ثلاث وستين بعد ان غزا السوس الاقصى قتله كسيلة ابن محرم الاوربي وكان نصرانياً ثم قتل كسيلة في هذا العام قتله قيس بن زهير البلوي ويقولون ان عقبة بن نافع مستجاب الدعوة والله اعلم ه هذا ما يتعلق بعقبة بن نافع (١) .

---

(١) بياض في الاصل .

واما موسى بن نصير فهو الامام الكبير فاتح الاندلس قال الامام ابن اسحق في كتابه مشارع الاشواق الى مصارع العشاق قال كان موسى بن نصير مهابا ذا رأي وحزم وشجاعة قال له سليمان بن عبد الملك وهو امير المؤمنين ما كنت تفزع اليه عند الحرب قال الدعاء والصبر قال فأي الخيل رأيت اصبر قال الشقر قال اخبرنا عن الروم قال (هم أسد في حصونهم نساء في مراكبهم) ان رأوا فرصة انتهزوها وان رأوا غلبة (فأوعال تذهب في الجبال) قال كيف قتالك للعدو قال ما هزمت لي راية قط ولا رد لي جمع ولا نكب المسلمون منذ اقتحمت الاربعين الى ان بلغت الثمانين ولما فتح الاندلس جرت لديها عجائب وامور طويلة وانتهى الى آخر حصن من حصون الاندلس فاجتمع الروم لحربه فكانت بينهم وقعة مهولة وطال القتال وجال المسلمون جولة بالمدينة فأمر موسى بن نصير بسرادقه فكشف عن بناته وحرمه حتى ويبرزن بين الصفوف حتى ويراهن الناس ثم رفع يديه بالتضرع والبكاء فأطال فكسرت بين يديه أغماد السيوف وصدقوا اللقاء ففتح عليهم ثم قدم الى مصر في سنة خمس وتسعين وتوجه الى الوليد بن عبد الملك بما معه من السبي والغنائم وقال الليث بن سعد ان موسى بن نصير بعث ابنه مروان على جيش فأصاب من السبي مائة الف اخرى ولما افتتح الاندلس جاءه رجل فقال ابعث معي رجالا أدلك على كنز فبعث معه رجالا فقال لهم انزعوا ما ها هنا فنزعوا فسال عليهم من الياقوت والزبرجد والمال ما الله به عليم قال الليث بن سعد ان كانت الطنفسة لتوجد منسوجة بقضبان الذهب بنظم سلسلة الذهب باللؤلؤ والياقوت فكان الرجلان ربما وجداها فلا يستطيعان حملها حتى يأتيا بالفأس فيقسماها . ولما افتتح الاندلس رجع الى افريقية وله نيف وستون سنة وهو يجر الدنيا بين يديه جراً (١) .

---

(١) بياض في الاصل .

الذهب والجواهر والتيجان والثياب الفاخرة والسجاد في ذلك مائدة سليمان قومت بمائة الف دينار . وذكر الطرطوشي في سراج الملوك والقرطبي في تاريخه ان طارقا مولى موسى بن نصير دخل الى الاندلس في الف وسبعمائة رجل وكان هناك (تدرس) نائبا عن (لدريق) فقاتلهم ثلاثة ايام ثم كتب الى لدريق ان قوما قد وصلوا الينا ما أعلم من الارض هم أم من السماء ولا طاقة لنا بهم فأدركنا بنفسك فأتاه لدريق في تسعين الف فارس فقاتلهم ثلاثة ايام واشتد بالمسلمين البلاء فقال لهم طارق انه لا ملجأ لكم غير سيوفكم أين تذهبون وأنتم في وسط بلادهم والبحر من ورائكم محيط واني فاعل بكم شيئا اما النصر واما الموت فقالوا ما هو قال اقصدوا طاغيتهم فاذا حملت فاحملوا بأجمعكم ففعلوا ذلك فقتل لدريق وجمع كثير من اصحابه وهزمهم الله وتبعهم المسلمون ثلاثة ايام يقتلونهم قتلا ذريعاً ولم يقتل من المسلمين الا نفر يسير وبعث برأس لدريق الى سيدنا موسى بن نصير بافريقية فبعث به موسى الى الوليد بن عبد الملك بدمشق ثم سار طارق الى طليطلة ومغيث الرومي مولى الوليد الى قرطبة ففتحوهما ووجدا ذخائر وأموالا لا تحصى منها مائدة سليمان عليه السلام قومت بمائة الف دينار لكثرة ما عليها من الجواهر ومن هنا يظهر ان قول الشيخ سيدي موسى الزياتي افتتح صحابي وتابعيان عقبة بن نافع وموسى بن نصير والامام ادريس لكن لم يستقر اسلام اهل المغرب الا من ادريس اه فيه نظرفان عقبة صحابي وكذا في عده سيدنا ومولانا ادريس تابعيا فانه من تابع التابعين كما عند غيره وتقدم أن أباه كان من صغار التابعين وروي عن عبد الرحمن بن زياد بن انعم رحمه الله تعالى أنه كانت افريقية من طرابلس الى طنجة ظلا واحداً وقرى متصلة عامرة فخربت وقال الامام العلامة التوزري سمعت من يقول انه كان بافريقية من القديم مائة الف حصن بين قصر ومدينة وان ملكها كان اذا أراد الغزو بعث الى كل حصن فيأتيه منه فارس ودينار فجمع له مائة الف فارس ومائة الف دينار فلا

ينقص من بلاده شيء ثم قال ومن تأمل آثار المدنوالقصور الخربة بافريقية وتداني بعضها من بعض رأى ذلك ما يقضي منه العجب ويستدل منه على كثرة عمارتها فيما سلف .

وفي المعيار سئل القاضي عن العاقلة الذين يؤدون فأجاب هم العصبة ومن يقرب منها الاقرب فالاقرب الى ان قال وما ذكر أيكون في اهل الكورة الواحدة وافريقية كورة واحدة من طرابلس الى طنجة وفي تكميل التقييد قال سحنون في افريقية يضم عقل اهل افريقية بعضهم الى بعض من طرابلس الى طنجة قال وفي بعض نسخ اللخمي طنجة مكان (طنبة) وفي المدونة ومن غاب عن البكر غيبة انقطاع كمن خرج الى المغازي الى مثل افريقية والاندلس وطنجة قال عليه في تكميل التقييد طنجة كانت قاعدة المغرب الاقصى في زمن مالك وابن القاسم فقيل انها طنجة المعروفة اليوم بهذا الاسم وقيل انها مدينة (وليلي)التي تعرف اليوم بقصر فرعون عند جبل زرهوناه . والجدب بالدال المهملة ضد الخصب بكسر الخاء المعجمة بينهما الطباق والمعنى أنه لما قدم المغرب سيدنا ادريس رضي الله عنه استقام الدين فيه ببركته وأخصب اي قوي ظهوره فما زال يدعو اهله الى الله تعالى حتى تمكن غاية التمكن وثبت كل الثبوت وأمات طرق الابتداع والضلال والحمد لله على ذلك .

الفصل الرابع

في بناء مدينة فاس والسبب الحامل له على بنائها

وذلك أنه لما تمهد ملك مولانا ادريس وكثرت عليه الوفود وعظمت جنوده وقوي جيشه وضاقت بهم مدينة وليلي عزم على الانتقال عنها وأراد أن يبني مدينة يسكنها هو وخاصته وجنوده ووجوه أهل دولته فركب في خاصته وخرج يتخير البقاع في سنة تسعين وماية فوصل الى جبل زالغ فأعجبه ارتفاعه وطيب تربته واعتدال هوائه وكثرة محارثه فاختط مدينة بسنده مما يلي الجرف وشرع في بنائها فبنى جزءاً من سورها فأتى سيل من اعلى الجبل فهدم ما كان بناه من السور المذكور وحمل ما كان حوله من خيام العرب وافسد كثيرا من الزرع فلما رأى ذلك مولانا ادريس رفع يده من البناء وأقام الى ان دخل شهر المحرم مفتتح احدى وتسعين ومائة ثم خرج ينظر ايضا فيها فوصل الى وادي سبوا فأعجبه موضعه فعزم على البناء هنالك ثم نظر الى كثرة الماء الذي فيه فخاف على الناس منه فرجع الى وليلي وبعث وزيره عمير بن مصعب الازدي لينظر له موضعاً فخرج وسار في جهات شتى يتخير الارض والمياه حتى وصل الى (فحص واسائس) فوجد فحصة الارض واعتدالها وكثرة المياه فيها فأعجبه ذلك فنزل هنالك على عين غزيرة مطردة في مروج مخضرة فتوضأ منها ومن معه وصلى صلاة الظهر حولها ثم دعا الله ان يهون عليه مطلبه وأن يدله على موضع يرتضيه لعباده ثم ركب وأمر قومه بأن ينتظروه عند

تلك العين حتى يعود اليهم فنسبت العين اليه وسميت (بعين عمير) الى الان فرأى عيونا كثيرة تزيد على ستين عنصارا ومياهها تطرد في فسيح الارض وحول العيون شجر من الطرفي والعرعار وغير ذلك فشرب من الماء واستطابه وقال هذا ماء عذب معتدل وهو اقل ضررا واكثر منفعة وحوله مزارع كثيرة ثم سار مع سيل الوادي حتى وصل الى موضع مدينة فاس فنظر الى ما بين الجبلين فاذا غيظة ملتفة الاشجار مطردة بالعيون والانهار في بعض مواضع منها خيام من شعر يسكنها قبائل من زناته يعرفون بزواغة وبني يزغة فرجع عمير الى ادريس فأخبره بجميع ذلك فأعجبه وسأل عن مالك الارض فقيل له قوم من زواغة يعرفون ببني الخير فقال مولانا ادريس (هذا فأل حسن) فبعث اليهم واشترى منهم موضع المدينة بستة الاف درهم ودفع لهم الثمن واشهد عليهم بذلك وشرع في بناء المدينة وقيل غير هذا وسيأتي وجه تسميتها بفاس . قال في الانيس لما اراد الشروع في بنائها رفع يديه وقال اللهم اجعلها دار علم وفقه يتلى بها كتابك وتقام بها حدودك واجعل اهلها متمسكين بالسنة والجماعة ما أبقيتها ثم اخذ المعول بيده فابتدأ بحفر الاساس فلم تزل منذ بنيت دار علم وفقه وسنة والجماعة بها قائمة قال وقد نزلها كثير من العلماء والفقهاء والادباء والشعراء والاطباء وغيرهم فهي في القديم دار فقه وعلم وحديث وعربية وفقهاؤها هم الذين يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب لم يزل ذلك كذلك على ممر الزمان ببركة بانيها مولانا ادريس رضي الله عنه وسكانها أحدث أهل المغرب أذهانا واشدهم فطنة وارجحهم عقلا وألينهم قلوباً واكثرهم صدقة واعزهم نفوسا والطفهم شمائل وأقلهم خلافا على الملوك وأكثرهم طاعة لولاتهم وحكامهم وكيف تقلبت الاحوال بهم يسمون على سائر بلاد المغرب علماً وفقهاً ودينا .

وذكر ابن الاغلب في تاريخه ان الامام مولانا ادريس لما فرغ من بناء المدينة وحضرت الجمعة صعد المنبر وخطب الناس ثم رفع يديه في آخر

خطبته فقال : اللهم انك تعلم اني ما أردت ببناء هذه المدينة مباهاة ولا مفاخرة ولا سمعة ولا مكابرة وانما أردت ان تعبد بها ويتلى بها كتابك وتقام بها حدودك وشرائع دينك وسنة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما ابقيت الدنيا اللهم وفق سكانها وقطانها الى الخير وأعنهم عليه واكفهم مؤنة اعدائهم وأدر عليهم الارزاق وأغمد عنهم سيف الفتنة والشقاق والنفاق انك على كل شيء قدير فأمن الناس على دعائه فكثرت الخيرات وظهرت بها البركات فبلغ وسق القمح في أيامهم درهمين ووسق الشعير درهما والقطنية لا تباع ولا تشترى والكبش بدرهم ونصف والبقرة بأربعة دراهم والعسل خمسة وعشرون رطلا بدرهم واحد والفاكهة لا تباع ولا تشترى لكثرتها دام ذلك بها خمسين سنة وتقدم أنه قال للناس من أنشأ موضعاً وغرسه قبل تمام السور فهو له هبة ابتغاء وجه الله تعالى فبنى الناس الدور وغرسوا الثمار وكثرت العمارة والخطة فكان الرجل يختط موضع منزله وبستانه ثم يقطع منه الخشب فيبني به ولا يحتاج الى خشب غيره وغرس الناس جانب الوادي من أصله الذي يخرج منه (بفحص أسايس) الى مصبه (بنهر سبوا) بالشجر والكرم والزيتون وضروب الثمار فعمرت الارض بالغراسة والحراثة وأينعت الثمار وأطعمت الكروم والاشجار من سنتها ببركة مولانا ادريس وسلفه الطاهرين صلوات الله عليهم اجمعين ورحمته وبركاته وبنيته الصالحة وطيب المنزلة وعذوبة المياه واعتدال الهواء فظهرت البركات وتوالت الخيرات وزادت العمارة وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات وأتاها من رغب في جوار السلالة الكريمة الطاهرة اهل بيت المصطفى صلى الله عليه وسلم اه . ومن فضائل هذه المدينة دخول ماء نهرها وعيونها لمنازلها ودورها فينتفع بذلك اهلها ثم يخرج بالفضلات والقاذورات فتبقى المدينة نقية طيبة الهواء والرائحة قال في الانيس وماء نهر مدينة فاس افضل أنهر الارض وأعذبها وأخفها يخرج من عيون من اعلاها في بسيط من الارض

على الكرافس والسعداء من منبعه حتى ينحدر عن المدينة في مروج خضراء لا تزال كذلك صيفا وشتاء حتى يدخل البلد وينقسم في داخلها على جداول كثيرة ومن فضائل هذا النهر أنه يفتت الحصا ويذهب الصنان لمن اغتسل به ويلين البشرة ويسرع الهضم ويشرب على الريق فلا يضر وذلك لاجل جريانه على الكرافس والسعداء فهو في نهاية الخفة والعذوبة ومن فضائله ما ذكره ابن حنون المتطبب أنه ينبه شهوة الجماع اذا شرب على الريق ومن فضائله أنه تغسل به الثياب بغير صابون فيبيضها ويكسوها رونقا ورائحة طيبة ه والسعداء من جنس الديس يعلو من الارض نحو الذراعين في اعلاه سنبلة وأصله مستطيل منعقد مشتبك بعضه ببعض يدب تحت الارض اسود يميل الى الحمرة طيب الرائحة طعمه كطعم عروق الزنجبيل وبين محل ويحل التجنيس الناقص وبين أمر ويمر التجنيس المضارع وقد انشد الفقيه الصالح الزاهد ابو الفضل ابن النحوي في مدح مدينة فاس وأوصافها ما نصه :

يا فاس منك جميع الحسن مسترق	والساكنوك أهنيهم لقد رزقوا
هذا نسيمك أم راح لراحتنا	وماؤك السلسبيل الصافي أم ورق
أرض تخللها الانهار داخلها	حتى المجالس والاسواق والطرق

قال في الانيس وكان الفقيه أبو الفضل بن النحوي هذا من اهل العلم والدين والورع والفضل والصلاح ذكره صاحب الشفوف من أكابر رجال اهل المغرب ه وهو صاحب الحكاية المعروفة وذلك انه لما اراد ان يسافر قال له اهله ما تركت لنا فكتب لهم رقعة وقال ان رجلا يأتيكم فادفعوا له الرقعة فانه يقوم بما تحتاجون اليه الى أن أقدم وكان الذي كتبه في الرقعة (ان الذي وجهت وجهي اليه هو الذي خلفت في أهلي لم يخف عنه حالهم ساعة وفضله أوسع من فضلي) فلما كانت عشية النهار الذي سافر فيه اتاهم آت فقرع الباب وقال هاتوا البطاقة فأخرجوها اليه وكان يأتيهم كل يوم بما يحتاجون اليه الى أن قدم الشيخ رضي الله عنه فأخبروه فحمد الله واخبرهم بما كتب وكان رضي الله عنه من أهل الغيبة في الصلاة

فكان اذا كان في غير الصلاة لا يستطيع احد من أهله ان يتكلم كأن على رؤوسهم الطير فاذا دخل في صلاته ارتفعت الاصوات وكثر اللغط وهو لا يشعر بذلك وانشد الفقيه البارع الورع ابو عبدالله المغيسي في وصف فاس متشوقاً اليه حين ولي القضاء (بمدينة أزمور) :

يا فاس حيا الله أرضك من ثرى وسقاك من صوب الغمام المسبل
يا جنة الدنيا التي أربت على حمص لمنظرها البهي الاجمل
غرف على غرف ويجري تحتها ماء ألذ من الرحيق السلسل
وبساتين من سندس قد زخرفت بجداول كالأيم أو كالفيصل
وبجامع القروي شرف ذكره أنسى بذكراه بهيج يململ
وبصحنه زمن المصيف محاسن فوق العشي الغرب منه استقبل
واجلس ازاء الخصة الحسنا بها واكرع بها عني فديتك وانهل

واحسن ما وجهت به تسميتها بفاس أن الامام ادريس لما عزم على بنائها ووقف موضعها مر بها شيخ كبير راهب من رهبان النصارى قد زاد على مائة وخمسين سنة كان مترهباً في صومعة قريبة من تلك الجهة فوقف على مولانا ادريس وسلم عليه ثم قال أيها الامير ما تريد أن تصنع بين هذين الجبلين قال اريد أن اختط مدينة هنا يعبد الله تعالى بها ويتلى بها كتابه وتقام بها حدوده قال ايها الامير ان لك عندي بشرى قال وما هي ايها الراهب قال انه اخبرني راهب كان قبلي في هذا الدير له منذ توفي مائة سنة انه وجد في كتاب علمه انه كان بهذا الموضع مدينة تسمى (سافا) خربت منذ الف سنة وانه يجددها ويحيي آثارها ويقيم دارسها رجل من آل بيت النبوءة يسمى ادريس ويكون له شأن عظيم وقدر جسيم لا يزال دين اسلام قائما بها الى يوم القيامة فقال مولانا ادريس الحمد لله أنا ادريس وأنا من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا بانيها ان شاء الله تعالى فلما بناها قيل له كيف تسميها قال باسم المدينة التي كانت قبلها ساف ولكن اقلب اسمها الاول ونسميها فسماها (فاسا) وكان تأسيس سيدنا

ومولانا ادريس رضي الله عنه لمدينة فاس على ما ذكره المؤرخون سنة اثنين وتسعين ومائة وأسس عدوة الاندلس منها وادار بها السور وبعدها بسنة اسس عدوة القرويين وذلك في غرة ربيع الآخر سنة ثلاث وتسعين وماية ولما فرغ من بناء المدينة وانتقل اليها بمحلته واستوطنها واتخذها دار ملكه أقام بها الى سنة سبع وتسعين وماية فخرج الى غزو نفيس وبلاد المصامدة ورجع الى فاس فأقام بها الى شهر المحرم من سنة تسع وتسعين وماية فخرج منها برسم غزو قبائل نفزة فسار حتى غلب عليهم ودخل مدينة تلمسان فنظر في احوالها واصلاح سورها وجامعها وصنع بها منبرا كتب عليه هذا ما أمر به ادريس بن أدريس بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ابن علي رضي الله عنهم في شهر محرم سنة تسع وتسعين وماية فأقام أدريس بمدينة تلمسان واحوازها ثلاث سنين ثم رجع الى مدينة فاس فلم يزل بها الى ان توفي رحمة الله عليه ورضوانه في سنة عشرة ومائتين وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ودفن بمسجده بازاء الحائط الشرقي منها هكذا في بعض نسخ الانيس وفي بعضها وهو ابن ست وثلاثين سنة وهو الصواب لما مر أنه ولد سنة سبع وسبعين وماية فأعوام ملكه ستة وعشرون عاما واما قول البرنسي توفي ادريس بن ادريس بمدينة وليلي من بلد زرهون في الثاني عشر من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة ومايتين وسنه يومئذ ثمانية وثلاثون عاماً ودفن الى جانب قبر أبيه برابطة وليلي اهـ فهو غير صحيح اما أولا فلاتفاقهم على انه ولد سنة سبع وسبعين فلايصح ان يكون عمره ثمانية وثلاثين واما ثانيا فلما ذكره العلامة الحافظ سيدي عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي من اتفاق ارباب البصائر والاذواق واطباق العامة والخاصة على انه بفاس كما لهجت به الالسنة وطارت به الرفاق في الأفاق واذعنت به قلوب اهل الايمان لم يقع فيه اختلاف ولا شقاق فما يعرف لهم قط تنازع في ذلك فمن قال بخلافه يحوز الوعيد بمقتضى قوله (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير

سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وهي ما تمسك به الشافعي رضي الله عنه في ثبوت الاجماع وصحته والتواريخ والاخبار متفقة على ان الخاصة والعامة يتبركون بزيارة ضريح مولانا ادريس بن ادريس بفاس وأبيه بزرهون ويتوسلون الى الله عند ضريحهم وقط ما وقع نزاع بينهم ولا مغير لذلك عليهم ولا مكذب به وذلك من أمر الدين فاتفاق الامة اجماع والامة لا تجتمع على ضلالة ونظير هذا القول الباطل قول السهيلي في الروض الأنف ان ادريس بن عبدالله توفي بافريقية فهو ايضا خلاف الاجماع وخلاف القطع وهو باطل على كل حال ولا يعتد به على ظاهره لاحتمال ان يكون دس عليه بشهادة ان كتابه غير مروي ولا مقروء عليه بل ولا طالعه لفقده بصره قبل ان يؤلفه من قيده عنه فهو مطرح لا التفات اليه ولا يقام فيه بمخاصمة الجميع ومنازعتهم واستخراج ما بايديهم من المتحقق عندهم كيف وقد نقل اهل كل زمان عمن فيهم انه توفي بفاس وأبوه بزرهون ودفنا هنالك هذا مع قيام آثاره ومدينته الشهيرة شرقاً وغرباً لا ينكر نسبتها اليه احد وتعدد الأحباس على ضريحه بتوالي السنين مكتوب اسمه في رسومها منسوب اليه الضريح في كل زمان وظهور البركات الكثيرة والاستشفاع بضريحه واجابة الدعاء عنده وظهور جسده المقدس هنالك وكذا جسد أبيه بزرهون كما يأتي وما أحسن قول القائل :

منازل أهل الله آل رسوله ... فاحبب بهم أهلا واحبب بها مغنى
مدينة ادريس بن ادريس التي ... بها قبره أثاره قبره مبنى (كذا)

ووجد بخط الامام القصار رحمه الله مما انشده بعض الادباء :

ادريس نام بفاس كالعروس له ... قلب اذا نامت العينان لم ينم
احل بارئه في حرز حرمته ... كالليث حل من الاشبال في اجم
يرد عنهم يد المؤذي بصولته ... رد الغيور يد الجاني عن الحرم

قال العلامة ابن زكري وقد ذكر بعض أهل العلم أن مما يستدفع به الاذى عن أهل بلد فاس بقاء اثر شجاعته ونصرته لدين الله وقهره للاعداء بها وهو سيفه الذي بأعلى منارة القرويين فقد تضمن وضعه هنالك اشارة جليلة الى الدفع عن أهلها ورد من رامها بسوء وفي هذا المعنى قال الفقيه الامام الرباني أبو عبدالله محمد بن سعيد الحياك رضي الله عنه :

شهرة المشرفي فوق المنـــار عزة للـورى ودين النبـــي
سيف ادريس مخمد للاعادي وانتصار الملوك بالمشرفـــي

وأما الحياك هذا فمن أشياخ ابن غازي الذين أخذ عنهم واثنى عليهم الثناء الجميل وقصد بهذين البيتين رضي الله عنه رد قول مسعود بن أبي القاسم بن ابي طلاق :

قالوا بجامع فاس سيف ادريسا وكلهـــم قائـــل زورا وتلبيسا
ما جعله غير طلسم لساكنهـــا لكي ينال بها الاحـزان والبؤسا

وانه لحقيق بالرد خليق بالتزييف والابطال نعم ما تضمنه كلامه من ترادف الاحزان والبؤس على ساكن فاس له أصل وأساس وهو كثرة التوسعات الدنيوية بها في الاطعمة والاشربة واللباس والابنية والمياه وغير ذلـك مما لا يوجد في غيرها من البلدان وبقدر ذلك يكون الغـم وترادف الاحزان كما قال سيدي ابن عطاء الله في الحكم (ليقل ما تفرح به يقل ما تحزن) عليهفان مفهومه أن بقدر ما يفرح به الانسان يكون حزنه وبه قرره شراحه وهو معنى قول القائل :

فاس لعمري هي الدنيا بأجمعهـــا لو لم يك القلب فيها ضيقا حرجـــا
من حل ساحتها لم ينج من كدر كأنمـــا همهـــا بمائهـا مزجـــا

وكما زيف ذلك القول الامام الحياك زيفه الشيخ أبو زيد المكودي قال :

قد قيل سيف المنار بفـأس (؟) هو طلسـم ذلـة وهـوان
اخطـأوا ليس ذاك الا لعـز بهرت منـه سائر البلـدان

وكذا ردّه أيضا الشيخ الفقيد الاستاذ النحوي المقري أبو المكارم منديل بن آجروم رحمه الله تعالى في قوله :

شاموا بفاس سيف ادريسهـم فوق منـار لا لامر مخـوف
بل أشعروا بقول خير الـورى جنتكم تحت ظـلال السيـوف

وكذا الشيخ الفقيه الامام عبد الغفار البوخلفي بقوله :

ذكرت ولـم أكن للذكر ناس عجائب سيـف ادريس بفـاس
فلم يك بالمنار سـدى ولكن ليدفع عن حماهـا كل بـاس

وكذا الشيخ المتفنن الفقيه النحوي أبو عبدالله محمد بن موسى بن ابراهيم الحاجري بقوله :

يقولون زجراً ان فاساً قضى لها بذلتهـا سيف المنار المشيـد
لقد أخطأوا في زجرهم ضل سعيهم هل العز الا تحت ظل المهنـد

وما احسن قول الفقيه أبي عبدالله محمد بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالربيب :

سر فاس لاهل فاس بـدا في وضع ادريس بالمنار حسامـه
فهـم الغر للنـداء فأورى ناره معلمـا وشال علامـه

يشير الى اظهار العلام والفنار اللذين أحدثهما امير المؤمنين المتوكل أبو عنان فارس المديني ونحو قول ابن آجروم قول الفقيه احمد بن يحيى بن عبد المنان :

انكر السيف بالمنار بفـاس قائل ان ذاك داعي اغتنـام
لا يرعك الحسام سل عليهـا جنة الخلد تحت ظـل الحسام

وقال الشيخ الفقيه ادريس بن راشد الفهري رحمه الله تعالى :

سل ادريس بالمنار حساماً منبئاًذاك عن شديد العقاب
داعياً للصلاة ان لم تجيبوا فحقيق الجزاء ضرب الرقاب

ونحو هذا قول الفقيه أبي الفضل محمد بن باشر النسولي :

وليس ارتفاع في المنار لكربة ولكنه كي يعلم الحق جاهله
احض على الخمس التي فاز أهلها ومن حاد عن عرفانها أنا قاتله

وقال أيضا رحمه الله ورضي عنه :

قل لمن انكر الحسام بفاس وادعى الغم قول ذي تجريح
سيف ادريس بالمنار شهير شهرة الدين بالاذان الفصيح

وقال الاديب ابو عثمان سعيد السدراتي الشهير بشهبون رحمه الله تعالى :

لادريس سيف أظهر الدين والهدى بأفق منار للاذان تقيدا
فمن ظن ان الذل أورثنا به فهل ذل الاظالم ضل واعتدى

ذكر هذه الاشعار في كتاب فرائد الجمان الاديب ابو الوليد اسماعيل ابن الاحمر رضي الله عنه وزاد عليها لكن ما اقتصرنا عليه هو زبدة ما ذكره وسبب وضعه في أعلى المنار ان الامير احمد بن أبي بكر الزناتي كان رجلا فاضلا صالحاً من اهل الدين والورع اختصم اليه بعض حفدة الامام مولانا ادريس في السيف المذكور وطلب كل واحد منهم ان يحوز السيف لنفسه وطال نزاعهم فيه فقال لهم الامير احمد بن أبي بكر هل لكم أن تبيعوه مني وتتركوا النزاع فيه قالوا له وما تصنع به ايها الامير قال أجعله في اعلى هذه الصومعة التي بنيت تبركاً به فقالوا أيها الامير ان كنت تفعل هذه فخذه هبة لك بطيب نفوسنا فوهبوه له فجعله في أعلى المنار وكان ذلك سنة خمس واربعين وثلثمائة .

الدولة الثانية الغمارية

واليها اشار ابن خلدون في العبر بقوله الخبر عن دولة الادارسة في غمارة وتصاريف احوالهم

كان عمر بن ادريس عند قاسم بن محمد بن ادريس من اعمال المغرب بين اخوته برأي جدته كنيزة أم ادريس اختص منها بتجيساس ونزغـة وبلاد صنهاجة وغمارة واختص القاسم بطنجة وسبته والبصرة وما الى ذالك من بلاد غمارة ثم غلب عمر عليها عندما تنكر له اخوه محمد واستضافها الى عملـه كما ذكرنا في أخبارهم ثم تراجع بنو محمـد بن القاسم من بعد ذلك الى عملهم الاول فملكـوه واختص منهـم محمد ابن ابراهيم بن محمد بن القاسم بقلعة حجر النسر الدانية وجعل سبته معقلا لهم وثغراً لعملهم وبقية الامارة بفاس واعمال المغرب في ولد محمد بن ادريس ثم ادالوا منهم بولد عمر بن ادريس وكان اخوهم يحيى بن ادريس ابن عمر وهو الذي بايع لعبدالله الشيعي على يد مصالة بن حبوس قائده وعقد له على فاس ثم نكبه سنة تسع وخرج عليها سنة ثلاث وعشرين في بني القاسم الحسن بن محمد بن القاسم بن ادريس (ويلقب) الحجاج لطعنه في المحاجم وكان مقداماً شجاعاً وثار اهل فاس بريحان وملكوا للحسن وزحفوا اليه موسى فقتله واستولى ابن ابي العافية على فاس واعمال المغرب وأجلى الادارسة واخذ منهم حصنهم حجر النسر وانحرف الى جبال غمارة وبلاد الريف وكان لغمارة في التمسك بدعوتهم أيـاد ومقامات واستحدثوا بتلك الناحية ملكاً فوزعوه قطعا كان أعظمها لبني محمد هؤلاء ولبني عمر (بتكسان ونكور وبلاد الريف) ثم سما الناصر ابن عبد الرحمن الى ملك العدوة ومراجعة الشيعة فنزل له بنو محمد عن

سبتة سنة تسع وتناولها من بر الريف على يد الرضى بن عاصم رئيس محكمة كان يقيم فيها دعوة الادارسة فأفرجوا له عنها ودانوا بطاعته ولما غزا أبو القاسم ميسور الى المغرب لمحاربة ابن أبي العافية نقض طاعتهم ودعا للمروانية وجد بنو محمد السبيل الى الانتقام منه بمظاهرة ميسور عليه ووالى على ذلك بنو عمر صاحب نكور ولما اشتغل ابن أبي العافية نكسته ورجع الى الصحراء سنة خمس وعشرين منصرف ميسور من المغرب نازل بني محمد وبني عمر وهلك بعد ذلك واجاز الناصر بن محمد بن طماس سنة ثلاث وثلاثين لحربهم وكتب الى ملوك مغراوة محمد ابن ادريس بن عمر المعروف بابن شالة يدعوه الى الطاعة فأوفد رسله الى الناصر فعقد له الامان وأوفد ابنه محمد بن أبي العيش مؤكداً للطاعة فاحتفل لقدومه وأكد له العقد ونصل سائرالادارسة من بني محمد وسألوا مثل سؤالهم فعقد لجميع بني محمد أيضا وكان بنو ادريس يرجعون في رئاستهم الى بني محمد هؤلاء منذ استبدوا بها وآخرهم الحسن بن محمد الملقب بالحجاج في ثورته على ابن أبي العافية فقدموا على انفسهم القاسم بن محمد الملقب بكنون بعد فرار موسى بن أبي العافية وملك بلاد المغرب ما عدا فاس مقيما لدعوة الشيعة الى ان هلك بقلعة حجر النسر سنة سبع وثلاثين وقام بأمرهم من بعده ابو العيش احمد بن القاسم كنون وكان فقيهاً عالماً بالايام والاخبار شجاعا ويعرف بأحمد الفاضل وكان فيه ميل للمروانية فدعا للناصر وخطب له على منبر عمله ونقض طاعة الشيعة وبايعه أهل المغرب كافة الى سجلماسة ولما بايعه أهل فاس استعمل عليهم محمد بن الحسن ووفد محمد بن أبي العيش بن ادريس بن عمر بن شاله على الناصر عن ابيه سنة ثمان وثلاثين فاتصل به وفاة ابيه وهو بالحضرة فعقد له الناصر على عمله وسرحه وهم عيسى بن عمرو بن ابي العيش احمد بن القاسم كنون على عمله (بتكاهن) في غيبة محمد فملكها واحتوى على مال ابن شالة ولما اقبل محمد من الحضرة زحف برابرة غمارة الى عيسى

المذكور ابن كنون فقطعوا به واثخنوه جراحة وقتلوا اصحابه ببلاد غمارة.

وأجاز الناصر قواده الى المغرب وكان أول من أجاز الى بني محمد هؤلاء سنة ثمان وثلاثين احمد بن يعلى من طبقة القواد أجازه في العساكر ودعاهم الى هدم تطاون فامتنعوا ثم انقادوا وشطوا وأجابوا الى هدمها ورجع عنهم فانتقضوا فسرح اليهم حميد بن بصلتين المكناسي في العساكر سنة تسع وثلاثين وزحفوا اليه بوادي (راوا) فوقع بهم فأذعنوا بعدها وتغلب الناصر ثم تخطت عساكر الناصر الى بسائط المغرب فأذعن له أهله واخذ بدعوته فيه امراء زناتة في مغراوة وبني يعرب ومكناسة كما ذكرنا ، فضعف أمر بني محمد واستأذنه اميرهم أبو العيش في الجهاد فأذن له وأمر ببناء القصور في كل مرحلة من الجزيرة الى الثغر فكانت ثلاثين مرحلة فأجاز ابو العيش واستخلف على عمله أخاه الحسن بن كنون وتلقاه الناصر (بالمرة) وأجرى له الف دينار في كل يوم وهلك شهيداً في مواقف الجهاد سنة ثلاث واربعين وكان أخذ معه قائده جوهر ولما قفل من المغرب راجع الحسن الطاعة للناصر الى انهلك سنة خمسين واستجد الحاكم عزمه في سد ثغور المغرب وأحكام دعوتهم وشمر لها عزائم اموالهم من ملوك زناتة فكان بينهم وبين زيري وبلكين ما ذكرناه ثم أغزى معه بلكين بن زيري المغرب سنة اثنتين وستين أولى غزواته فأثخن في زناتة وأوغل في ديار المغرب وقام الحسن بن كنون بدعوة الشيعة ونقض طاعة المروانية فلما انصرف بلكين أجاز الحاكم الى العدوة مع وزيره محمد بن قاسم بن طلمس وخلف كثيرا من عسكره واوليائه ودخل قلبهم الى سبتة واستصرخوا الحاكم فبعث غالباً مولاه البعيد الصيت المعروف بالشهامة وأمر له بما يعينه على ذلك من الاموال والجنود وأمره باستنزال الادارسة واجازتهم اليه وقال له (سر يا غالب مسير من لا اذن له في الرجوع الا حياً منصوراً أو ميتاً معزوزاً) واتصل خبره بالحسن بن كنون فأفرج عن مدينة البصرة واحتمل منها امواله وحرمه وذخيرته الى حجر النسر معقلهم القريب من سبتة ونزل غالب

يبعض مصمودة فاتصلت الحرب بينهم اياما ثم بث غالب المال في رؤساء البربر من غمارة ومن معه من الجنود وفروا واسلموه فانحجز بقلعة جبل النسر ونازل بها غالباً وأمر الحاكم بعرب الدولة ورجال الثغور واجازهم مع وزيره صاحب الثغر الأعلى يحيى بن محمد بن ابراهيم الحسيني فمن معه من أهل بيته وحشمه سنة ثلاث وستين فاجتمعوا مع غالب على القلعة واشتد الحصار على الحسن وطلب من غالب الامان فعقده له واستلم الحصن من يده ثم عطف على من بقي من الادارسة في بلاد الريف فأعجزهم وسيرهم مسيرة أسوة واستنزل جميع الادارسة من معاقلهم وسار الى فاس فملكها واستعمل محمد بن علي بن قشوس في عدوة القرويين وعبد الكريم بن ثعلبة الخزامي في عدوة الاندلس وانصرف غالب الى قرطبة ومعه الحسن بن كنون وسائر ملوك الادارسة وقد مهد المغرب وحاله ومهد الشيعة وذلك سنة اربع وستين وتلقاهم الحاكم وركب الناس للقائهم وكان يوم دخولهم الى قرطبة اجمل ايام الدولة وعفا عن الحسن بن كنون ووفى له بالعهد وأجزل له ولرجاله العطاء والخلع والجعلان وأوسع عليهم الجراية وأسنى لهم الارزاق ورتب من حاشيتهم في الديوان سبعماية من انجاد المغاربة وتجنى عليه بعد ثلاث سنين بسؤاله من الحسن قطعة عنبر عظيمة تحصل عليها من بعض سواحل عمله بالمغرب أيام ملكه فاتخذ منها أريكة يرتفقها ويتوسدها فسأله حملها اليه على ان يحكمه في (رخاء) فأبى عليه مع سعاية بني عمه فيه عند الخليفة وسوء خلق الحسن ، فنكبه واستقصى ماالديه من قطعة العنبر وسواها واستقام المغرب للحاكم وتضافر امراؤه على مراجعة بلكين وعقد لوزيره جعفر على المغرب واسترجع يحيى بن محمد بن هاشم وغرب الحسين بن كنون مع الادارسة جميعا الى المشرق استقلالا لنفقاتهم وشرط عليهم أن لا يعودوا وقصدوا البحر من المدينة سنة خمس وستين ونزلوا في جوار العزيز معه بالقاهرة خير نزل وبالغ في الكرامة ووعد بالنصرة والمبرة ثم بعث الحسن بن كنون

الى المغرب وكتب له الى آل زيري بن مناد بالقيروان بالمظاهرة فلحق بالمغرب ودعا لنفسه وبعث المنصور بن أبي عامر العساكر لمدافعته فغلبوه وقبضوا عليه واستحضره الى الاندلس فقتل في طريقه سنة ٣٣٠ كما ذكرناه في أخبارهم وانقرض ملك الادارسة من المغرب أجمع الى ان كان رجوع الامر لبني حمود منهم ببلاد غمارة وسبتة كما نذكره .

الدولة الثالثة السبتية

واليها أشار بن خلدون في العبر بقوله الخبر عن دولة بني حمود من الادارسة ومواليهم بسبتة وطنجة وتصاريف احوالهم واحوال غمارة من بعدهم .

كان الادارسة لما اجلاهم الحكم عن العدوة الى المشرق وسائر بلاد المغرب واستقامت غمارة على طاعة المروانية واذعنوا لجند الاندلسيين ورجع الحسن بن كنون لطلب أمرهم فهلك على يد المنصور بن عامر فانقرض أمرهم وافترق الادارسة في القبائل ولاذوا بالاختفاء الى ان خلعوا اشارة النسب واستحالت صفتهم منه الى البداوة ولحق بالاندلس في جملة البرابرة من ولد عمر بن ادريس رجلان منهم وهما علي والقاسم ابنا حمود ابن ميمون بن احمد بن علي بن عبيدالله بن عمر بن ادريس فصار لهما ذكر في الشجاعة والاقدام ، ولما كانت الفتنة البربرية بالاندلس بعد انقراض الدولة الغمارية ونصب البرابرة سليمان بن الحكم ولقبوه المستعين اختص ابنا حمود هاذان فاحسنا الغناء في ولايته حتى اذا استولى على ملكه بقرطبة وعقد للمغاربة الولايات عقد لعلي بن حمود هذا على طنجة واعمال غمارة فنزلها وراجع عهده معهم فيها ودعا لنفسه وجاز الى الاندلس وولي الخلافة بقرطبة كما ذكرنا فعقد على عمله بطنجة لابنه يحيى ثم أجاز يحيى الى الاندلس بعد مهلك ابيه علي منازعاً لعمه القاسم واستقل أخوه ادريس من بعده بولاية طنجة وسائر اعمال ابيه بل بالعدوة

من مواطن غمارة ثم اجاز بعد مهلك أخيه يحيى بمالقة فاستدعى رجال
دولتهم وعقد لحسن ابن أخيه يحيى على عملهم بسبتة وطنجة وانفذ نجا
الخادم معه ليكون تحت نظره واسترشاده ولما هلك ادريس واعتزم ابن
بقية على الاستبداد بمالقة اجاز نجا الخادم لحسن بن يحيى من طنجة فملك
مالقة ورتب امره في خلافته ورجع الى سبتة وعقد لحسن على عملهم في
مواطن غمارة حتى اذا هلك حسن أجاز نجا الى الاندلس يروم الاستبداد
واستخلف على العمل من وثق به من الموالي الصقلبية فلم يزل على نظرهم
واحداً بعد آخر الى ان استقل بسبتة وطنجة من موالي بني حمود هؤلاء
الحاجب سكون البرغواطبي وكان عبدا للشيخ عواد من مواليهم اشتراه
من سبي برغواطة في بعض ايام جهله ثم صار الى علي بن حمود فأخذت
النجابة بضبعيه الى ان استقل بأمرهم واقتعد كرسي عملهم بطنجة وسبتة
واطاعته قبائل غمارة واتصلت ايامه الى ان كانت دولة المرابطين وتغلب ابن
تاشفين سنة احدى وسبعين ودعا الحاجب سكون الى مظاهرته على مزواة
بفلس ونجا الى بلاد الرملة من آخر بسيط المغرب مما يلي بلاد غمارة
ونازلهم يوسف بن تاشفين من اهل الدمنة واوقع بهم وافتتح حصن
(علوادان) من حصون غمارة من ورائه فانقاد المغرب لحربه ثم صرف وجهه
الى سكون فجهز اليه العساكر وعقد عليها للقائد صالح بن عمران من
رجال المعونة فتباشرت الرعايا بمقدمهم وأثالوا عليهم وبلغ الخبر الى
الحاجب سكون فاقسم ان لا يسمع أحداً من رعيته هدير طبولهم ولحق
هو بمدينة طنجة ثغر عمله وقد كان عليه من قبله ابنه (منبأ الدولة المعز)
وبرز للقائهم فالتقى الجمعان بظاهر طنجة وانكشفت عساكر سكون وطحنته
رحى المرابطين وسالت نفس ضياءهم ودخلوا طنجة واستولوا عليها ولحق
ضياء الدولة بسبتة ولما تكالب الطاغية على بلاد الاندلس وبعث ابن عباد
صريخه الى امير المؤمنين يوسف بن تاشفين مستنجزاً وعده في جهاد
الطاغية والذب عن المسلمين وكان اهل الاندلس كافة يستحثونه على

الجهاد وبعث ابنه المعز سنة ست وسبعين في عسكر المرابطين الى سبتة فمر من المجاز فنازلها واحاطت بها اساطيل ابن عباد واقتحموها عنوةوقبض على ضياء الدولة (وفير بن المعز) فطالبه بالمال بانجائه فأبى فقتله لوقته وعثر على ذخائره وفيها خاتم يحيىبن علي بن حمود وكتب الى ابيه بالفتح وانقرضت دولة بني حمود وانمحى آثارهم وسلطانهم من بلاد غمارة وأقاموا في طاعته سائر أيامهم ولما نجم المهدي بالمغرب واستفحل أمر الموحدين بعد مهلة تنقل خليفة عبد المؤمن في بلادهم في غزوته الكبرى لفتح المغرب سنة سبع وثلاثين وما قبلها كما قيل قبل استيلائه علىمراكش كما نذكرهفي أخبارهم وأتبعوا اثره ونزلوا بسبتة في عساكره وامتنعت عليهم وتولى كبر امتناعها قائدها عياض الطائر الذكر رئيسهم لذلك العهد لدينه واباءته وعلمه ونصيحته ثم اصبحت بعد فتح مراكش سنة احدى واربعين (بياض) .

ولما فشل أمر بني عبد المؤمن وذهب ريحه وكثر الثوار بالقاصية ثار فيهم محمد بن محمد الكتامي سنة خمس وعشرين كان ابوه من قصر كتامه مقبضاً على الناس وكان ينتحل السيميا ولعله عن أبيه محمد هذا وكان يلقب أبا الطواجن فارتحل الى باب سبتة ونزل على بني سعيد وادعى صناعة الكيمياء فاتبعه الغوغاء ثم ادعى النبوة وشرع شرائع واظهر انواعا من الشعيرة فكثر تابعوه ثم اطلعوا على خبثه فنبذوا اليه عهده وزحفت اليه عساكر سبتة ففر عنها وقتله بعض البرابرة غيلة ثم غلب بنو مرين على بسائط المغرب وامصاره سنة أربعين وستماية واستولوا على كرسي الامر بمراكش سنة ثمان وستين فامتنع قبائل غمارة من طاعتهم واستعصوا عليهم وأقاموا بمنجاة من الطاعة وعلى شبح من الخلاف وامتنعت سبتة من ورائهم على ملوك بني مرين بسبب امتناعهم وصار أمرها الى الشورى واستبد بها الفقيه ابو القاسم القرمي من مشيختها كما سنذكر ذلك كله الى ان وقع بين قبائل غمارة ورؤسائهم فتن وحروب ونزعت احدى الطائفتين الى طاعة السلطان بالمغرب من بني مرين فأتوها طواعية ودخل

الاخرون في طاعة ملوكهم طوعا أوكرها فملك بنو مرين امرهم واستعملوا عليهم وتخطوا الى سبتة ورائهم فملكوا الفريقين سنة سبع وعشرين وسبعماية على ما نذكره بعد عند ذكر دولتهم وهم الآن على احسن احوالهم من الاعتزاز والكثرة يأتون طاعتهم وجبايتهم عند استقلال الدولة ويمرضون فيها عند التيابها بقتل وشغب فتحضر البعوث اليهم من الحضرة حتى يستقيموا وذلك لوعورة جبالهم ومنعتها ولاجارة من لحق بهم من الخوارج عن طاعة السلطان الى هذا العهد وذلك لاشراف جبلهم على سائرها وسمو قلاعه الى مجار السحب دونها وتوعر مسالكه بهبوب الرياح فيها وهذا الجبل مطل على سبتة من غربيها وصاحب امره يوسف بن عمر ولهم فيه عزة قد اتخذوا به المصانع والغروس وفرض لهم السلطان بديوان سبتة العطاء واقطعهم في بسيط طنجة الضياع استئلافاً لهم وحسما لخلافهم ولله الخلق والامر بيده ملكوت السموات والارض .

الدولة الرابعة الاندلسية

فاعلم أن سبب ملك الادارسة لها هو أنه قام قائم على هاشم آخر ملك من ملوك بني امية بها وادعى ذلك القائم انه المهدي وصارت فتنة عظيمة ثم تولى سليمان بن الحكم بالاندلس على قبائل البربر الذين قطعوا الجزيرة مع موسى بن نصير في بداية الامر واستوطنوا البلاد وحاصروا هاشماً في قرطبة ثم ارسل هاشم لصاحب سبتة واحوازها وكان فيهـا وتملكها علي بن حمود من الادارسة فقطع اليه من سبتة في جموع من البربر وأغاثه ، وهو علي بن حمود بن ميمون بن علي بن عبدالله بن عامر ابن ادريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي ، فقطع البحر لاغاثته وتبعه بعض اهل الجزيرة مع قوته ونزل على سليمان وهو محاصر لهاشم في قرطبة فقبضه وقتله وقتل جموعه فادعى لنفسه علي بن حمود وولي البيعة بالاندلس وكان فظاً غليظاً شجاعا شديد البأس وكانت له اخبار

بالجزيرة ووقائع واختصرنا من حديث اخبار وقته الى ان انقضى اجله وسمته مملوكة من السقلب فمات في ثمان وأربعماية وولي الامر بعــده اخوه القاسم ثم نازعه علي بن يحيى بن حمود وتملك قرطبـــة ثم قام المرتضي مع العامري لناحية شرق الاندلس وتحركوا ونزلوا على غرناطة وكثر الهرج في اخبار يطول ذكرها واختل امر المسلمين وكان آخر الدولة المرتضي كان ممتنعا في قصر البنات فرجع اليه الامر في آخر عمره وهو شيخ فبايعه اهل قرطبة وجلس على سرير الملك وبعد ذلك خلعوه وذلك في سنة عشرين واربعماية والبقاء لله الواحد القهار .

ولنذكر شيئا من محاسن قرطبة اذ كانت عروس ملك الدولة الاموية والادريسية قال في المغرب كان في الزمن القديم في عهد سليمان عليــه وعلى نبينا محمد الصلاة والسلام نزل بها ليلة مع عساكره وكانت ارضها مروجاً تنبع بالماء فقال لهم سليمان قرطبوها بالحجارة وانزلوا في هــذه البقعة سيكون لها شأن عظيم في آخر الزمان تخرج منها علوم كثيرة فعند ذلك سميت قرطبة والجبل الذي عليها يسمى بالتاج ويندفق منه ماء معين فسميت قرطبة عروسة الاندلس والتاج عليها وبقربها معدن الزئبق ولا يوجد في معمور الارض الا هناك وينجلب منها الــى كل ارض ونذكر مسجدها الاكبر الذي بناه بنو أمية ولا استوفى بالبناء الا بعد خمس وعشرين سنة وقد بنى فيه اثنا عشر خليفة من بني امية زاد فيه مجلسا المنتصر بالله الحاكم لذكر الله وآخر بنائه محمد بن عامر وكان عدد بلاطاته ثمانية عشر وعدد سواريه الف سارية واربعماية وعدد ثرياته ثمانين ثريا ومصابيحه الف مصباح ويصلي في الجامع اربعون الف مصل دون الصحن والصحن قدره ثلث الجامع وفيه منبر لم ير في مشارق الارض ومغاربها مثله وله تسعة ادراج ونفق فيه من الاموال ثمانية عشر الف دينار دون الحديد والعاج والصندل والبقام والرنج واليابنون وغير ذلك ومساميره مفضضة ومذهبة وعدد الفقهاء واهل الكراسي والاشيــاخ والمؤذنين

والمدرسين ما ينيف على المائة والعشرين رجلا ومن اراد أن يطلع على حقيقة هذا المسجد وعلى ما يوقد فيه من الزيت وما له من الاحباس ومن الارض للحرث وماذا يكفيه من الحصر وكيف هي الصومعة وعمودها وما له من الدرج من جهة أبواب القبلة وكيف هو المجلس وما فيه من الذهب والفضة والعاج والزجاج والمدارق فليطلب حقيقة امر هذا المسجد في كتاب الجغرافية وترى لقرطبة اخباراً يبكي عليها كل مسلم .

الدولة الخامسة المهدوية

واليها اشار ابن خلدون في العبر بقوله الخبر عن مبدأ أمر المهدي وما كان للموحدين القائمين بها على يدي بني عبد المؤمن من السلطان والدولة بالعدوتين وافريقية وبداية ذلك وتصاريفه . لم يزل امر هؤلاء المصامدة بجبال (وزن) عظيما وجماعتهم موفورة وبأسهم قويا وفي أخبار الفتح من حروبهم مع عقبة بن نافع وموسى بن نصير حتى استقاموا على الاسلام ما هو معروف مذكور الى ان ظلتهم دولة (لمتونة) فكان امرهم فيها مستفحلا وشأنهم على أهل السلطان والدولة مهماً حتى لقد اختطوا مدينة مراكش ، وقد نجم في تلك الدولة على عهد علي بن يوسف امامهم العالم الشهير محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي أصله من (هرعة) من بطون المصامدة الذين عددناهم يسمى أبوه عبدالله وتومرت وكان يلقب في صغره أيضا (امغار) وزعم كثير من المؤرخين ان نسبه في أهل البيت وأنه محمد بن عبدالله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد ابن تمام بن عدنان بن سفيان بن عفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب أخي ادريس الاكبر الواقع نسب الكثير منهم في المصامدة وأهل السوس كذا ذكر ابن نحيل في سليمان هذا وانه لحق بالمغرب ابن اخيه ادريس ونزل تلمسان وافترق ولده في المغرب قال فمن ولده كل طالبي

بالسوس وقيل بل هو من قرابة ادريس اللاحقين به الى المغرب وان رباحا الذي في عمود هذا النسب انما هو ابن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن . وعلى الامرين فان نسبه الطالبي وقع في (هرغة) من قبائل المصامدة ورسخت عروقه فيهم والتحم بعصبيتهم فلبس جلدتهم واتنسب بنسبتهم وصار في عددهم وكان أهل بيته أهل نسك ورباح وشب محمد هذا محباً للعلم وكان يسمى (أسافو) ومعناه الضياء لكثرة ما كان يسرج القناديل بالمساجد لملازمتها وارتحل في طلب العلم الى المشرق على رأس المائة الخامسة ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهي اذ ذاك دار علم ثم اجاز الى الاسكندرية وحج ودخل العراق ولقي جملة من العلماء يومئذ من فحول النظائر وأفاد علما نافعا وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده لما كان الكهان يتحينونه من ظهور دولة يومئذ بالمغرب ولقي فيما زعموا أبا حامد الغزالي وفاوضه بذات صدره بذلك فأزاده عليه لما كان فيه الاسلام يومئذ بأقطار الارض من اختلال الدولة وتقويض اركان السلطان الجامع للامة المقيم للملة بعد ان سأله عمن له من العصابة والقبائل التي يكون بها الاعتزاز والمنعة ونشأ بها أمر الله في درك هذه البقعة وظهور الدعوة وانطوى هذا الامام راجعاً الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وشهابا وارياً من الدين وكان قد لقي بالمشرق أئمة الاشعرية من اهل السنة وأخذ عنهم واستحسن طريقهم في الانتصار للعقائد الفلسفية والذب عنها بالحجج العقلية الدامغة في صدور اهل البدعة وذهب الى رأيهم في تأويل المتشابه من الاي والاحاديث بعد أن كان أهل المغرب بمعزل عن اتباعهم في التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف في ترك التأويل واقرار المتشابهات كما جاءت فمنع اهل المغرب من ذلك وحملهم على القول بالتأويل والاخذ بمذاهب الاشعرية في كافة العقائد واعلن بامامتهم ووجوه تقليدهم والف العقائد على رأيهم مثل (المرشدة) في التوحيد وكان من رأيه القول بعصمة الامام علي رأي الامامية من الشيعة والف في ذلك كتابه في الامامة

الذي افتتحه بقوله (أعز ما يطلب) وصار هذا المفتتح لقباً علـى ذلك الكتاب وأحل بطرابلس اول بلاد المغرب فظهر بمذهبه ذلك مظهراً التكبر على علماء المغرب في عدولهم عنه واخذ نفسه بتدريس العلم والامـر بالمعروف والنهي عن المنكر ما استطاع حتى لقي بسبب ذلك أذيات في نفسه احتسبها من صالح عمله ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور ابن الناصر بن علناس بن حماد من امراء صنهاجة وكان من المقترفين فأغلظ له الاشاعة في النكير وتعرض يوما لتغييـر بعض المنكرات في الطرق فوقعت بسببها (هبة) أنكرها السلطان والخاصة وائتمروا به فخرج منها خائفا ولحق بملالة على فرسخ منها وبها يومئذ بنو ورتلكل من قبائـل صنهاجة وكان لهم اعتزاز ومنعة فآووه وأجاروه وطلبهم السلطان صاحب بجاية باسلامهم اليه فأبوا وسخطوه وأقام بينهم يدرس العلم أياما وكان يجلس اذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريباً من ديار ملالة وهي ولهذا العهد معروفة وهناك لقيه كبير صحابته عبد المؤمن بن علي حاجا مع عمه فاعجب بعمله وانتهى عزمه عن وجه ذلك واختص به وشمر للاخذ عنه وارتحل المهدي الى المغرب وهو في جملة اصحابه فبلغ تلمسان وقد تسامع الناس بخبره فأحضره القاضي بها ابن صاحب الصلاة ووبخه على منتحله ذلك وخلافه لاهل قطره وظن ان من العدل نزعه عن ذلك فصم عن قبوله واستمر على طريقه الى فاس ثم الى مكناسة ونهى بها عن بعض المناكير فأوقع به الشر من الغوغاء فأوجعوه ضرباً ولحق بمراكش وأقام بها أخذاً في شأنه ولقي علي بن يوسف بالمسجد الجامع في صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له القول ولقي ذات يوم الصورة أخت علي بن يوسـف حاسرة قناعها على عادة قومها الملثمين في زي نسائهم فوبخها ودخلت على أخيها باكية لما نالها من تقريعه ففاوض الفقهاء في شانه بما وصل اليه من شهرته وكانوا ملئوا منه حسدا وحفيظة لما كان ينتحل مذهب الاشعرية في تأويل المتشابه وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف على اقراره كما جـاء

ويرى ان الجمهور لقبوه تجسيماً ويذهب الى تكفيرهم وهو أحد قولي الاشعرية في التكفير بالرأي فأغروا الامير به واحضروه للمناظرة معهم فكان له الفتح والظهور عليهم وخرج من مجلسه وانذر بالشر منهم فلحق من يومه باغمات وغير المناكير على عادته وأغرى به أهلها علي بن يوسف وطيروا اليه بخبره فخرج منها وهو وتلاميذه الذين كانوا في صحبته ودعا اسماعيل بن أبكيك من اصحابه وخرج الى صنهاجة من جبال المصامدة لحق أولا بسفيوه ثم بهشاشة ولقيه من اشياخهم عمر بن يحيى بن محمد وأنود بن علي وهو أبو حفص ويعرف بيته في هشاشة ببيت فاصكات ويقول نسابتهم ان فاصكات هو جد وأنود بن المشانة بلسانهم ينتهي فلذلك كان يعرف عمر وسيأتي الكلام على تحقيق نسبه عند ذكر دولتهم ثم رحل المهدي عنهم الى (أبكبلن) من بلاد هرعة فنزل على قومه وذلك سنة خمس عشرة وخمسماية وبني رباطا للعبادة واجتمعت اليه الطلبة والقبائل فعلمهم (المرشدة) في التوحيد باللسان البربري وشاع امره في صحبه واستدرك العالم والفقه بمجلس الامير علي بن يوسف وهو مالك ابن وهب فاغراه به وكان حذاء ينظر في النجوم وكان الكهان يتحدثون بأن ملكاً يأتي بالمغرب لانه من المغرب ويتغير فيه شكل السمكة لقران بين الكوكبين الطويين والسيارة يقتضي ذلك في احكامهم وكان الامير يتوقعها فقال احتفظوا بالدولة من هذا الرجل فانه صاحب القران والدرهم المربع في كلام سفساق بمسجح سوقي يتناقل الناس نصه وهو (أجعل على رجله كبلا لئلا يسمعه طبلا) وأظنه صاحب الدرهم المربع فطلبه علي ابن يوسف ففقده وسرح الخيالة في طلبه وأمرهم ان يسرعوا في قتله وأن يقتلوا من تداخل في أمره ففاتهم ودخل عامل السوس وهو أبو محمد اللمتوني فأنذر به اخوانه فنقلوه الى معقل اشياعهم ودعوا المصامدة الى بيعته على التوحيد وقتال المسلمين دونه سنة خمس عشرة وخمسمائة فتقدم اليه رجالاتهم من العشيرة وغيرهم وكان فيهم من هشاشة أبو حفص

عمر بن يحيى وأبو يحيى بن يكتب ويونس بن واندين وأبو يعمور ومن تململ أبو حفص عمر بن علي أصناك ومحمد بن سليمان وعمر بن تافراكين وعبدالله بن ملويان وأسرع رجال قبيلة هرعة فدخلوا في امره كلهم ثم دخل معهم كيدموية وكنفيسة ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدي وكان لقبه قبلها الامام وكان يسمي اصحابه الطلبة اهل دعوته الموحدين ولما تم له خمسون من اصحابه سماهم آية الخمسين فزحف اليهم عامل السوس أبو بكر بن محمد اللمتوني بمكانهم من هرعة فاستغاثوا باخوانهم من هشاشة فاجتمعوا اليهم واوقعوا بعسكر لمتونة فكانت هزيمة الفتح وكان الامام يعدهم بذلك فاستبصروا في امره وتسابق كافتهم الى الدخول في دعوته وترددت عساكر لمتونة اليه مرة بعد اخرى ففضوهم .

وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تململ فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا فقاتل اولاد هزواجة وأوقع بهم مرارا واجابوا بالطاعة ثم قاتل هسكورة ومعهم أبو لوقة اللمتوني فغلبهم وقفل فاتبعه بنو يزكيت فأوقع بهم الموحدون وأثخنوا بهم قتلا وأسراً ثم غزا بلد عجرامة وكان قد افتتحه وترك فيه الشيخ أبا محمد عطية من أصحابه فغدروا به وقتلوه فغزاهم واستباحهم ورجع الى تململ وأقام بها الى ان ميز الموحد من المنافق وكانوا يسمون لمتونة (الحشم) فاعتزم على غزوهم وجمع كافة اهل دعوته من المصامدة وزحف اليهم فلقوه بكبكب وهزمهم الموحدون واتبعوهم الى اغمات وهناك زحوف اخرى من لمتونة مع بكر بن علي بن يوسف وابراهيم بن علي (باغمات) فهزمهم الموحدون وقتل ابراهيم وتبعوهم الى مراكش فنزلوا البحيرة في زهاء أربعين ألفاً كلهم رجال الا اربعمائة فارس واستنفر علي بن يوسف الاحشاد وبرز اليهم للاربعين من نزولهم وخرج عليهم من باب (ابلاق) فهزمهم وأثخن فيهم قتلا وسبيا وفقد العشير من اصحابه واستمر القتال في هيلانة وأبلى عبد المؤمن في ذلك اليوم البلاء الحسن وكانت وفاة المهدي لاربعة

اشهر بعدها وكان يسمي أصحابه بالموحدين تعريضا للمتونة في اخذهم بالعدول عن التأويل وميلهم الى التجسم وكان حصوراً لا يأتي النساء وكان يلبس العباءة المرقعة وله قدم في التقشف والعبادة ولم يحفظ عنه فلتة في البدعة الا ما كان من وفاقه الامامية من الشيعة في القول بالامام المعصوم . اه ما في العبر .

وقال ابن خلكان في وفيات الاعيان ما نصه هو أبوعبدالله محمد ابن عبدالله بن تومرت المنعوت بالمهدي صاحب دعوة بني عبد المؤمن ابن علي بالمغرب تقدم في ترجمة عبد المؤمن طرف من خبره وكان ينسب الى الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو من جبل السوس من أقصى بلاد المغرب ونشأ بها ثم رحل الى المشرق في شبيبته طالباً للعلم فانتهى الى العراق واجتمع بأبي حامد الغزالي والكيا الهراسي والطرطوشي وغيرهم وحج وأقام بمكة مدة مديدة وحصل طرفا صالحاً من علوم الشريعة والحديث النبوي وأصل الفقه والدين وكان ورعاً ناسكاً متقشفا مخلولقا كثير الاطراب بساما في وجوه الناس مقبلا على العبادة لا يصحب من من متاع الدنيا الا عصا وركوة وكان شجاعا فصيحا في اللسان العربي والمغربي شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع لا يقنع في أمر الله بغير اظهاره وكان مطبوعا على الاشتداد بذلك متحملا للاذى من الناس بسببه وناله بمكة شيء من المكروه لاجل ذلك فخرج منها الى مصر وبالغ في الانكار فزيد في ايذائه وطردته الدولة وكان اذا خـاف من البطش وايقاع القتل به خلط في كلامه فينسب الى الجنون فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجهاً الى بلاده وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد الشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين فلما ركب في السفينة شرع في تغيير المنكر على أهل السفينة وألزمهم باقامة الصلوات وقراءة احزاب من القرآن ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهدية احدى مدائن افريقية وكان ملكها يومئذ الامير يحيى بن تميم بن المعز بن باديس

الصنهاجي وذلك سنة خمس وخمسمائة هكذا وجدته في تاريخ القيروان ولما تقدم في ترجمة الامير تميم والد يحيى المذكور ان محمداً المذكور جاز في أيام ولايته بافريقية عند عوده من المشرق وكنت وجدته أيضا والله اعلم بالصواب ولم يدخل المشرق مرتين حتى يحمل ذلك على دفعتين فان كان عدوه في سنة خمس كما ذكرناه فهو في ولاية الامير يحيى لان الأمير تميم توفي في سنة احدى وخمسمائة كما تقدم في ترجمته وانما نبهت عليه لئلا يتوهم الواقف عليه انه فاتني ذلك وهو متناقض فرأيته في تاريخ الاكزرين الغبطي (؟) وزير حلب وهو مرتب على السنين ما صورته في هذه السنةوكان في آخر سنة احدى عشرة وخمس مائة خرج محمد بن تومرت من مصر بعد الطلب بها وبغيرها ووصل الى بجاية والله اعلم بالصواب . ولما وصل الى المهدية نزل في مسجد (معلق) وهو على الطريق ونزل في طارق شارع الى المحجة ينظر الى المارة فلا يرى منكراً من الملاهي وأواني الخمور الا نزل اليها وكسرها فتسامع الناس به في البلاد فجاءوا اليه وقرأوا عليه كتباً من أصول الدين وبلغ خبره الامير يحيى فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء فقال له أصلحك الله لرعيتك ولم يقم بعد ذلك بالمهدية الا أياماً يسيرة ثم انتقل الى (بجاية) فأقام بها مدة وهو على حاله بالانكار فاخرجمنها الى بعض قراها واسمها (سلا) فوجد بها عبد المؤمن بن علي القيسي المقدم ذكره ورأيت في كتاب المغرب في سيرة ملوك المغرب أن محمداً بن تومرت كان قد اطلع على كتاب علوم تسمى الجفر وأنه رأى فيه صفة رجل يظهر بالمغرب الاقصى بمكان يسمى السوس وهو من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى الله يكون مقامه ومدينته بموضع من المغرب يسمى باسم هجاء حروفه تي‌ن‌م‌ل ورأى فيه أيضاً ان استقامة ذلك الامر واستيلاءه وتمكنه يكون على يد رجل من اصحابه هجاء اسمه ع ب د م و م ن ويجاوز وقته المائة

الخامسة للهجرة فأوقع الله في نفسه انه القائم بأول الامر وان اوانه قد أزف فما كان محمد يمر بموضع الا سأل عنه ولا رأى احداً الا اخذ اسمه وتفقد حليته وكانت حلية عبد المؤمن معه فبينما هو في الطريق رأى شابا قد بلغ أشده على الصفة التي معه فقال له محمد بن تومرت وقد تجاوزه فما اسمك فقال عبد المؤمن فرجع اليه وقال الله اكبر انت بغيتي فنظر في حليته فوافقت ما عنده فقال له من اين انت فقال له من (كومية) فقال أين مقصودك قال الشرق فقال ما تبغي قال أطلب علما وشرفا قال وجدت علما وشرفا وذكرا اصحبني تنله فوافقه على ذلك فألقى اليه بجملة امره وأودعه سره وكان محمد بن تومرت قد صحب رجلا يسمى عبدالله الونشريشي ففاوضه فيما عزم عليه من القيام فوافقه على ذلك اتم موافقة وكان الونشريشى ممن تهذب وقرأ على الفقهاء وكان جميلا فصيحا في لغة العرب وأهل المغرب فتحدثا يوما في كيفية الوصول الى الأمر المطلوب فقال محمد بن تومرت لعبد الله ان تسر ما انت عليه من العلم والفصاحة عن الناس وتظهر العجز واللكن والحصر والبعد عن الفضائل مما تشتهر به عند الناس لتتخذ الخروج عن ذلك واكتساب العلم والفصاحة دفعة واحدة ليقوم ذللك مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فتصدق بما تقوله ففعل عبد الله ذلك ثم ان محمدا تخلص من اهل المغرب اجلادا في القوى الثمانية اغمارا وكان اميل الى الاغمار من اولي الفطن والاستبصار فاجتمع له منهم ستة سوى عبد الله ثم انه دخل الى أقصى المغرب واجتمع بعبد المؤمن بعد ذلك وتوجهوا الى مراكش وملكها يومئذ ابو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين وقد سبق ذكر والده في ترجمة والد المعتمد بن عباد وكان ملكا عظيما حليما ورعا عادلا متواضعا وكان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهب الاندلسي فشرع ابن تومرت في الانكار على جري عادته حتى أنكر على أبيه الملك وله في ذلك قصة يطول شرحها فبلغ خبره الملك وانه يحدث في تغيير الدولة فتحدث مالك بن وهب وقال نخاف من باب يعسر علينا سده والرأي ان نحضر هذا الشخص

واصحابه لنسمع كلامهم بحضور جماعة من علماء الادب فأجاب الملك الى
ذلك وكان ابن تومرت واصحابه مقيمين بمسجد خراب خارج البلد فطلبهم
فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده سلوا هذا الرجل ما يبتغي منا
فانتدب اليه قاضي المدينة واسمه محمد بن اسود فقال ما هذا الذي يذكر
عنك من الاقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد الى الحق المؤثر طاعة
الله على هواه فقال له ابن تومرت اما ما نقل عني فقد قلته ولي من ورائه
اقوال وأما قولك انه يؤثر طاعة الله على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر
اعتبار صحة هذا القول عنه ليعلم فان كان يدعي هذه الصفة فانه مغرور
بما تقولون له وتضرونه به مع علمكم ان الحجة عليه متوجهة فهل بلغك
يا قاضي أن الخمر تباع جهارا وتمشي الخنازير بين المسلمين وتؤخذ
أموال اليتامى وعدد من ذلك شيئا كثيرا فلما سمع الملك ذلك ذرفت عيناه
وأطرق حياء ففهم الحاضرون من مجرى كلامه أنه طامع في المملكة ولما
رأوا سكوت الملك وانخداعه لكلامه لم يتكلم أحد فقال مالك بن وهب
وكان كثير الاجتراء على الملك ان عندي لنصيحة ان فعلتها حمدت عاقبتها
فقال الملك وما هي قال اني خائف عليك من هذا الرجل وأرى ان تعتقله
واصحابه وتنفق عليه كل يوم ديناراً لتكفى شره وان لم تفعل لينفقن عليك
خزائنك ثم لا ينفعك ذلك فوافقه الملك على ذلك ثم قال له وزيره يقبح
عليك أن تبكي من موعظة هذا الرجل ثم تسيء اليه في مجلس واحد وان
يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد
جوعه فلما سمع الملك كلامه اخذته عزة النفس واستهون امره وصرفه
وسأله الدعاء وحكى صاحب المغرب في اخبار اهل المغرب انه لما خرج
من عند الملك لم يزل وجهه تلقاء وجهه الى ان فارقه فقيل له نراك قد
تأدبت مع الملك اذ لم توله ظهرك فقال اني لا يفارق وجهي الباطل حتى
أغيره اه كلامه فلما خرج ابن تومرت واصحابه من عند الملك قال لهم
لا مقام لنا بمراكش مع وجود مالك بن وهب فما نأمن ان يعاود الملك في

أمرنا فينالنا منه مكروه وان لنا بمدينة (أغمات) أخا في الله فنقصد المرور به فلا نعدم منه رأياً ودعاء صالحا واسم هذا الشخص عبد الحق ابن ابراهيم وهو من فقهاءالمصامدة فخرجوا اليه ونزلوا عليه وأخبره ابن تومرت خبرهم واطلعه على مقصدهم وما جرى لهم مع الملك فقال عبدالحق هذا الموضع لا يحميكم وان احسن المواضع المجاورة لهذا البلد (تيغمل) وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل فانقطعوا فيه برهة ريثما يتناسى ذكركم فلما سمع ابن تومرت هذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر فقصده مع اصحابه ولما اتوه رآهم اهله على تلك الصورة فعلموا انهم من طلاب العلم فقاموا اليهم واكرموهم وتلقوهم بالترحاب وانزلوهم في اكرم منازلهم وسأل الملك عنهم بعد خروجهم فقيل له انهم سافروا فسره ذلك وقال تخلصنا من الاثم بحبسهم ثم ان اهل الجبل تسامعوا بوصول ابن تومرت اليهم وكان قد سرى فيهم ذلك سريان البرق فجاءوا من كل فج عميق ليتبركوا بزيارته وكان كل من استدناه منهم عرض عليه ما في نفسه من الخروج على الملك فان اجابه أضافه الى خواصه وان خالفه اعرض عنه وكان يستميل الاحداث وذوي الغرة وكان ذوو الحكم والعقل من اهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ويخوفونهم من سطوة الملك فانه لا يتم له مع ذلك حال وطالت المدة وخاف ابن تومرت من مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامل وخاف ان يطرأ على اهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى تسليمه اليه والتخلي عنه فشرع في اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه فرأى بعض اولاد القوم شقراً زرقاً والوان آبائهم السمرة والكحل فسألهم عن سبب ذلك فلم يجيبوه فألزمهم بالاجابة فقالوا نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج في كل سنة يصعد مماليكه الينا ينزلون بيوتنا ويخرجوننا عنها ويختلون بمن فيها من النساء فتأتي الاولاد على هذه الصفة وما لنا قدرة على دفع ذلك عنا فقال ابن تومرت والله ان الموت خير من هذه الحياة وكيف رضيتم

وأنتم أضرب خلق الله بالسيف واطعنهم بالحربة فقالوا بالرغم لا بالرضا فقال أرأيتم لو أن ناصراً نصركم على اعدائكم ما كنتم تصنعون قالوا كنا نقدم انفسنا بين يديه للموت قالوا ومن قال ضيفكم يعني نفسه فأخذ عليهم العهود والمواثيق واطمأن قلبه ثم قال لهم استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح فاذا جاؤوكم فأجروهم على عادتهم وخلوا بينهم وبين النساء وميلوا عليهم بالخمور فاذا سكروا فأتوني بهم فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به ابن تومرت وكان ليلا فأعلموه فأمر بقتلهم بأسرهم فلم ينهض من الليل سوى ساعة حتى أتوا على آخرهم فلم يفلت منهم سوى مملوك واحد كان خارج المنازل لحاجة له فسمع التكبير عليهم والوقوع بهم فهرب من غير الطريق حتى خلص من الجبل ولحق بمراكش وأخبر الملك بما جرى فندم على فوات ابن تومرت من يده وعلم ان الحزم كان مع مالك بن وهب فيما أشار به فجهز من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادي تينمل فانه ضيق المسلك وعلم ابن تومرت ان لا بد من عسكر يصل اليهم فأمر أهل الجبل بالقعود على أنقاب الوادي ومراصده واستنجدلهم بعض المجاورين فلما وصلت الخيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادي مثل المطر وكان ذلك من اول النهار الى آخره وحال بينهم الليل فرجع العسكر الى الملك وأخبروه بما تم لهم فعلم ان لا طاقة لهم بأهل الجبل . وعند ذلك استدعى الونشريشي وقال هذا أوان اظهار فضائلك دفعة واحدة ليقوم لك مقام المعجزة لتستميل قلوب من لم يدخل تحت الطاعة ثم اتفقا على انه يصلي الصبح ويقول بلسان فصيح بعد استعمال العجمة واللكنة تلك المدة اني رأيت البارحة في منامي انه قد نزل ملكان من السماء وشقا فؤادي وغسلاه وحشياه علما وحكمة وقرآنا فلما أصبح فعل ذلك وهو فصل يطول شرحه وانقاد له صعب القيادة وعجبوا من حاله وحفظه القرآن في النوم فقال له ابن تومرت عجل لنا البشرى في أنفسنا وعرفنا أسعداء أم أشقياء فقال له اما انت فانك المهدي القائم بأمر

الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك ثم قال اعرض على اصحابك حتى أميز لهم أهل الجنة من أهل النار وعمل في ذلك حيلة قتل بها من خالف ابن تومرت وأبقي من أطاعه وشرح ذلـك يطول وكان غرضه ان لا يبقى في الجبل مخالف لابن تومرت فلمـا قتل من قتل علم ابن تومرت ان في الباقين من له أهل وأقارب قتلوا فرأى ان يطيب قلوبهم فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكش اليهم واغتنام اموالهم فسرهم ذلك وسلاهم عن أهلهم وبالجملة فان تفصيل هذه الواقعة طويل ولسنا بصدد ذلك وخلاصة الامر ان ابن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عدد رجـاله مـا بين عشرة آلاف فارس ورجل وفيهم عبد المؤمن والونشريشي واصحابه كلهم وأقـام هو بالجبل فنزل القوم لحصار مراكش وأقاموا عليهـا شهراً وكسروا كسرة شنيعة وهرب مـن سلم من القتل وكان فيهم سالمـاً عبد المؤمن وقتـل الونشريشي وبلغ ابن تومرت الخبر وهو بالجبل وحضرته الوفـاة قبل عودة أصحـابه اليه فأوصى من حضر ان يبلغ الغائبين ان النصر لهم وان العاقبة حميدة فلا يضجروا وليعاودوا القتال وان الله تعالى سيفتح علـى أيديهم والحرب سجال وأنكم ستقوون وتعلون وتكثرون وأنتم في مبدأ أمركم وفي آخره ومثل هذه الوصايا وأشباهها وهي قصة طويلة ثم انـه توفي الى رحمة الله تعالى في سنة اربع وعشرين وخمسمائـة ودفن في الجبل وقبره مشهور يزار وكانت ولادته يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين واربعمائة واول ظهوره ودعائه الى هذا الامر في سنة اربـع عشرة وخمسمائة قال صاحب كتاب المغرب في اخبار أهل المغرب في حقه .

اثاره تنبيـك عن اخبـاره حتى كأنـك بالعيان تـراه

له قدم في الثرى وهمه في الثريا ونفس ترى اراقة ماء الحياة دون اراقة ماء المحيا أغفل المرابطون حله وربطه حتى دب دبيب الفلـق في الغسق وترك في الدنيا دويا وانشأ دولة لو شاهدها ابومسلم لكان لما يعتريه فيها غير مسلم وكان قوته من غزل اخت له كل يوم رغيفا بقليل سمن

أو زيت ولم يشغل عن هذا حين كثرت عليه الدنيا ورأى اصحابه يوما قد مالت نفوسهم الى كثرة ما غنموه فأمر بذلك جميعه واحرقه وقال من كان يبتغي الدنيا فما له عندي الا ما رأى ومن تبعني على الآخرة فجزاؤه على الله تعالى وكان على خمول زيه وبسطة وجهه مهيبا منيع الحجاب الا عند مظلمة وله رجل مختص بخدمته والاذن عليه وكان له شعر فمن ذلك قوله :

اخذت باعضادهم اذ نأوا ... وخلفه القوم اذ ودعوا
فكم انت تنهي ولا تنتهي ... وتسمع وعظا ولا تسمع
فيا حجر الشحذ حتى متى ... تسن الحديد ولا تقطع

كان كثيرا ما ينشد :

تجرد من الدنيا فانك انما ... خرجت الى الدنيا وانت مجرد

وكان يتمثل ايضا بقول ابي الطيب المتنبي :

ومن عرف الايام معرفتي بها ... وبالناس روّى ربحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به ... ولا في الردى الجاري عليهم بآثم

وبقوله :

اذا غامرت في شرف مروم ... فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيم

وبقوله :

وما انا منهم بالعيش فيهم ... ولكن معدن الذهب الرغام

ولم يفتح شيئا من البلاد وانما قدر القواعد ومهدها ورتبها ووحدها وكانت الفتوحات على يد عبد المؤمن كما تقدم ذكره في ترجمته والهرغي بفتح الهاء والراء وبعدها غين معجمة هذه النسبة الى (هرغة) وهي قبيلة كبيرة من المصامدة في جبل السوس في اقصى المغرب تنسب الى

الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهما يقال انها نزلت في ذلك المكان عند ما فتحت المسلمون البلاد على يد موسى بن نصير الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وتومرت بضم التاء المثناة من فوق وسكون الواو وفتح الميم وبعدها تاء مثناة من فوق وهي اسم بربري والونشريشي بفتح الواو وسكون النون وفتح الشين المعجمة وكسر الراء وسكون الياء المثناة من تحت وبعدها شين معجمة هذه النسبة الى ونشريش وهي بليـــدة بافريقية من اعمال بجايه اه ما ذكره ابن خلكان ثم اعلـــم انه لما كان عبد المؤمن بن علي هو عضد دولة المهدي وقيم امره وولي عهده في حياته وبعد موته ناسب ان نذكر ترجمته بأثره وبيان ما انتهى اليه امره مما كان في نفس استاذه مما عمده عليه فأقول هو ابو محمد عبد المؤمن بن علي القيسي القومي الذي قام بأمر محمد بن تومرت المعروف بالمهدي كان والده وسطا في قومه وكان صانعا في عمل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها وكان عاقلا وقورا ويحكى ان عبد المؤمن في صباه كان نائما وابـــوه مشتغل بعمله في الطين فسمع ابوه دوياً من السماء فرفع رأسه فرأى سحابة سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار فنزلت كلها مجتمعة على عبد المؤمن وهو نائم فغطته ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ فرأته امه على تلك الحال فصاحت خوفا على ولدها فسكتها ابوه فقالت اخـــاف عليه فقال لا بأس عليه بل اني متعجب بما يدل على ذلك ثم غسل يديـــه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينظر ما يكون من امر النحل فطار عنـــه بأجمعه فاستيقظ الصبي وما به من ألم فتفقدت امه جسده فلم تر به أثرا ولم يشك اليها ألماً وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر فمضى ابوه اليه فاخبره بما رآه بالنحل مع ولده فقال الزاجر يوشك ان يكون له شأن يجتمع على طاعته اهل المغرب فكان من امره ما اشتهر ورأيت في بعض تواريخ أهل المغرب ان ابن تومرت كان قد ظفر بكتاب يقال له الجفر وفيه ما يكون على يده وقصة عبد المؤمن وحليته واسمه وأن ابن تومرت

أقام مدة يطلبه حتى وجده وصحبه وهو اذ ذاك غلام وكان يكرمه ويقدمه على اصحابه وافضى اليه بسره وانتهى به الى مراكش وصاحبها يومئذ ابو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين ملك الملثمين وجرى له معه فصول يطول ذكرها واخرجه منها فتوجه الى الجبال وحشد أشتات المصامدة وبالجملة فانه لم يملك شيئا من البلاد بل عبد المؤمن ملك بعد وفاته بالجيوش التي جهزها ابن تومرت والترتيب الذي رتبه وكان أبدا يشعر فيه التجلة وينشد اذا أبصره :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة والكف مانحة والنفس واسعة والوجه منبسط

وكان يقول لاصحابه صاحبكم هذا غلاب الدول ولم يصح عنه أنه استخلفه بل راعى اصحابه في تقديمه ما أشار به فتم له الامر وكمل واول ما أخذ من البلاد وهران ثم تلمسان ثم فاس ثم سلا ثم سبتة ثم انتقل بعد ذلك الى مراكش وحاصرها احد عشر شهرا ثم ملكها وكان أخذه لها في اوائل سنة اثنين واربعين وخمسماية واستوثق له الامر فامتد ملكه الى المغرب الاقصى والادنى وبلاد افريقية وكثير من بلاد الاندلس وتسمى امير المؤمنين وقصدته الشعراء وامتدحته باحسن المدائح وذكر العماد الاصبهاني في كتاب الخريدة ان الفقيه ابا عبدالله محمد أبي العباس السماني لما انشده :

ما هز عطفيه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن علي

أشار اليه بأن يقتصر على هذا البيت وامر له بألف دينار ولما تمهدت له القواعد وانتهت ايامه خرج من مراكش الى مدينة سلا فأصابه بها مرض شديد وتوفي في العشر الاخير من جمادي الاخرة سنة ثمان وخمسين وخمسماية وكانت مدة ولايته ثلاثا وثلاثين سنة واشهراً وكان عند موته شيخاً نقي البياض ونقلنا من تاريخ فيه سيرته وحليته فقال مؤلفه رأيته

شيخاً معتدل القامة عظيم الهامة اشهل العينين كث اللحية شتي الكعبين طويل القعدة واضح بياض الاسنان في فخذه الايمن خال رحمه الله تعالى والكومي بضم الكاف وسكون الواو بعدها ميم هذه النسبة الى كومة وهي قبيلة صغيرة نازلة بساحل البحر هناك من اعمال تلمسان ومولده بقرية هناك يقال لها باجة .

وقد علم ان مشاهير ملوكهم ثلاثة كل منهم اسمه عبد القوي اثنان شريفان احدهما حسيني موسوي والثاني حسني ادريسي زياني والثالث راشدي توجاني فاما الحسيني الموسوي فهد عبد القوي بن عبد الرحمن ابن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظمرضي الله عنه المتوفى في حدود الثلاثمائة او ما في حكمها . واما الحسني الادريسي الزياني فهو عبد القوي بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن الزيان القصبي التالوتي الخ المتوفى في حدود التسعمائة أو ما يقرب منها واما التوجاني المتوفى في حدود سبعة واربعين وستمائة فلنفرد كل واحد من الثلاثة بفصل مخصوص مقدما الشريفين ومؤخرا الراشدي التوجاني لكونه لم يكن له ملك حقيقي على تلك المدينة المذكورة وانما كانت ولايته محاربة كما سيأتي في فصله .

الفصل الأول

في ذكر الشريف عبد القوي الحسيني الموسوي

فاعلم ان الشريف عبد القوي هذا وهذه المدينة كانت لاسلافه قبله وبها قبورهم وآثارهم فانه كان ابوه الشريف عبد الرحمن بها ملكا وبعد وفاته ولي بها ولده المذكور واقام مدة مديدة وسنين عديدة وكانت سيرته حميدة كسيرة والده وجده قبله وكان فقيهاً متبحراً في جميع العلوم فارساً شديد البأس لا يقاومه احد في الحروب مع شدة فيض كرمه وحسن شيمته سريع الغضب قريب الرضى فانه لما مات والده الشريف عبد الرحمن المذكور خلف اربعة اولاد احمد وعبد القوي ومحمد الشراط وزيان فأما احمد فاولاده بمكة . واما محمد الشراط فاقام في مدينة (تاهرت) واما زيان فاقام في مدينة (تيارت) واما الشريف عبد القوي فأقام في الملك بعد موت ابيه بقطر (تاقدمت) كما مر ومن هؤلاء الاربعة تناسل الشرف الحسيني في تلك النواحي من بعض نواحي الصحراء والسواحل والريف وتلمسان وتونس وغيرها فان مولاي عبد القوي لما مات ترك سبعة او ثمانية اولاد محمد الكبير وعلي واحمد وعبد السلام وعبد الرزاق وزيان ومحمد الثاني وعبد القوي الصغير وهم صرحة واحدة ثم ان اولاد مولاي عبد القوي المذكورين تفرقوا . فاما السيد محمد الكبير فأقام في الملك بعد موت أبيه ومنه انقطع ملك بني مولاي عبد الرحمن بن ادريس

(بتاقدمت) وهو ولي سنة ٦٩٨ وتوفي سنة ٧٢١ وأما علي فقد انتقل بازاء شلق واما احمد وزيانفقد انتقلا بازاء تونس وأما محمد الثاني وعبدالسلام وعبد الرزاق فقد انتقلوا الى مدينة فاس فشاع خبرهم بها حتى سمع بهم أميرها موسى بن ابي العافية البربري فبعث اليهم قائدا من قواده فقبض محمداً الثاني وقتله بالغدر والخديعة وقد خلف ولدا ابن عشرين يوماً فخرجت به جارية في كمها ، اسمها (حمامة) فقال لها الخادم ما عندك ايتها الجارية فقالت ما عندي شيء الا خبزة برقوق نحيي بها النفس التي حرم الله وفرت به الى (بطيوة) وأقامت به بازاء جبل الحديد واما اولاد عبد الرزاق وعبد السلام ومحمد الثاني اولاد مولاي عبد القوي المذكور فهم أهل جبل الحديد وأهل الريف ويقال لجميعهم (اولاد حمامة)والمذكور هاهنا بعض عقب اسماعيل بن موسى الكاظم قال النسابة السيد ابن عنبة ولد اسماعيل بن موسى الكاظم انما هو من ولده موسى وفيه نظر كما ستراه بعد .

قال فمنهم اولاد جعفر بن موسى الكلثميون وهم بمصر ومنهم بنو السماء وبنو ابي العساف وبنو مقيم الدولة وبنو الوراق وهـم بمصر والشام الان واولاد موسى الكاظم فرق مديدة في أماكن عديدة فمنهم فرقة في مكة ومنهم فرقة في تلمسان ومنهم فرقة في نواحي وادي شلق ومنهم في فاس ومنهم فرقة في تونس ومنهم فرقة في التركماني ومنهم فرقة في العراق وهم صرحة واحدة ومنهم غير ذلك فأما اهل مكة فجدهم اسمه علي بن احمد بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل ابن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن اهل تلمسان فرقة يقال لهم اولاد الطاهر السقلي صاحب تلمسان وانتقلت ذريته الى فاس فهم المعروفون بالسقليين ومنهم فرقة في قبائل بني مطهر فجدهم جميعا الشريف طاهر السقلي بن علي الفقيه بن يحيى بن علي بن

الحسن بن محمد قاضي الجماعة ابن اسماعيل بن الطاهر بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما اهل نواحي وادي شلق فمنهم اولاد السيد محمد بن عبد القوي المتولي الملك بعد ابيه ومنهم اولاد سيدي علي بن يحيى الولي المشهور والنور المأثور وقد خلف اثني عشر ولدا سيدي خليفة والازرق وعبد العزيز ومحمد واحمد ويحيى وعبد الرحمن وابو القاسم وعيسى وعبدالله وعمر وعمران بن الجارية وهم صرحة واحدة فجدهم اسمه علي بن يحيى بن راشد بن فرقان بن حساين بن سليمان بن أبي بكر بن مؤمن بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه فيكون السيد علي المذكور من اهل المائة السابعة على قياس ما سبق وقسم عده الجدود على ثلاثة فأما سيدي عمران وسيدي خليفة فانتقلا الى جبل العمودوخلف سيدي خليفة اربعة اولاد سيدي عبد العزيز وسيدي احمد وسيدي علياً وخلف سيدي احمد بن خليفة بن علي بن يحيى الخ وخلف سيدي هلال عشرة اولاد سيدي محمد وسيدي احمد وسيدي ادريس وسيدي عالم وسيدي احمد الصغير وسيدي علي ابو حربه وسيدي هلال بن هلال وسيدي موسى وسيدي عبدالله وهم اهل مساكن بازاء القيروان بعمالة افريقية فجدهم اسمه محمد بن هلال بن محمد بن محمد بن خليفة بن علي ابن يحيى بن راشد بن فرقان بن حساين بن سليمان بن ابي بكر بن موسى ابن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن سليمان بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيدي يحيى والد سيدي علي المذكور هو ابن سيدي راشد

صاحب (جبل بني وليد) فتقطب اثنتي عشرة سنة وهو صاحب درجة رفيعة وكان يقرأ في مصر ويصلي الظهر في مكة ويروح لبني وليد ثم توفي رحمة الله عليه وخلف أربعة اولاد وبنتاً : سيدي يحيى وسيدي يعقوب وسيدي عبد الجبار وسيدي علي وسيدتي فاطمة . فأما سيدي يحيى فانتقل بازاء وادي شلق وهناك تفرعت اولاده المذكورون واما سيدي يعقوب فبازاء جبل (نزاره) وأما سيدتي فاطمة فتزوجت سيدي محمد الفقيه في بني وليد فجدهم جميعا اسمه راشد بن فرقان بن حساين ابن سليمان بن أبي بكر بن موسى بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن ابن ادريس بن اسماعيل بن موسى بن عبدالله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم واما عبدالله الملقب بابن سفانة المستقر في رأس العين عند اولاد داود الحميري ثم الحسني في قبائل بني مطهر فهو من ذرية سيدي علي بن يحيى بن راشد ويلحق بهم بعضهم ممن يجتمع معهم في محمد بن عبد القوي فمنهم اولاد سيدي موسى بن احمد بن البريشي أصله في (تقادمت) المعروف بقبائل بني عامر فاسمه محمد بن علي بن محمد بن علي بن احمد بن عبدالله بن احمد بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن محمد بن احمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن سليمان بن موسى بن عبدالله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم أولاد سيدي محمد بن هلال ابن سيدي محمد المكي خلف ستة أولاد اولهم سيدي هلال بن محمد بن هلال وسيدي علي بن محمد بن هلال وسيدي هلال بن محمد بن هلال وسيدي علي بن محمد بن هلال واما سيدي احمد بن هلال فانتقل (بازاء فرجان) من ناحية المشرق واما سيدي هلال بن محمد بن هلال فانتقل الى الصحراء ثم انتقل الى المغرب بازاء انجاد في قبائل شجيع واما سيدي ابن هلال فانتقل

الى المغرب الاقصى واما سيدي محمد بن هلال وسيدي عبدالله بن هلال وسيدي علي بن هلال فهم اهل مدينة القيروان فجدهم اسمه محمد بن هلال بن ادريس بن غالب بن محمد المكي بن اسماعيل بن محمد بن أبي القاسم بن علي بن محمد بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن ادريس بن اسماعيل بن سليمان بن موسى بن عبدالله بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن علي وفاطمة بنت رسول لله صلى الله عليه وسلم وهذه شجرة اصلهم : علي بن يحيى بن راشد بن فرقان بن حساين بن سليمان بن أبي بكر بن موسى بن محمد بن عبدالقوي ابن عبد الرحمن بن ادريس بن موسى بن اسماعيل بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثاني

في ذكر الشريف عبد القوي الحسني الادريسي الزياني القصبي التالوتي أحد ملوك اقليم مدينة (تاقدمت) قاعدة المغرب الاوسط المذكورة قبل وهو آخر ملوكها وهذه البلدة كان لها شأن عظيم وذكر جسيم في السابق لما اشتملت عليه من المحاسن في اقليمه وما بها من الرياض والقصور والمساكن وقد ذكر لها المؤرخون اخبارا طويلة وحكايات جزيلة يطول ذكرها وما اشتمل عليه صقعها وقد استوفى غالب مالها قديما وحديثا بحسب وقته الامام الهمام المازوني صاحب الدر المكنونة في كتاب له في ذلك والشريف الزياني المذكور كان لاسلافه واجداده في محله الاتي ذكره من القدر العظيم والجاه الجسيم والمهابة والوقار والمكانة والاستكبار ما يقصر عنه اللسان ويعجز عن تفصيله رسم البنان قبل ملكهم تلمسان وبعده أما محل اسلافه وقرار أوائله فهم (أهل القصبة قصبة تالوت) باقليم الصحراء بأعالي اواسطها بنواحي (وادي سلم) ونهر واصل وما يلي ذينك من أطراف اقليم تلك النواحي فهي مقر اسلافهم واوائلهم بعد انتقالهم من محل أسلافهم الاول مولاي عمران بن ادريس وبنيه الذي هو الريف وباديس حصته مع اخوته العشرة حيث قسمها بينهم اخوهم الامير مولاي محمد ابن ادريس بأمر جدتهم وسيأتي اشارة لشيء من ذلك واما سبب نقلهم وحلولهم باقليم تلك المدينة الآتي ذكرها فهو انهم لما انقضى ملكهم بتلمسان ومما حصل لهم بها مما يأتي ذكره رجعوا الى محلهم المذكور وكان الراجع

اليه جد الشريف المذكور وهو السيد يوسف بن زيان وكانت له اولاد بعد ذلك ولم يبق منهم الا الشريف عبد الرحمن بن يوسف المذكور فهو الذي انتقل الى تاقدمت المذكورة وولي امارتها وولد له الشريف عبد القوي المذكور فنشأ بها صالحا خيرا مباركا شجاعا كريماً عالماً بعلوم جمة كتابا وسنة وفقها مع علوم شتى تقصر عنها اطول يد لغيره فيها وله من الذكاء والفطنة وحسن السيرة ما ليس لغيره من أهل وقته قاطبة وهو الذي اقامها واستفحل ملكه بها وبقي بها مدة مديدة في سنين عديدة في سعود واقبال وأمن وافضال وقد اعاد لها من احسانها ما قد وهى واندثر مما خربه طوائف اجلاف العرب وقبائل البربر ثم انه لما تم بها امله انقضى اجله بعد ان خلف ولدين محمدا ومنداسا أما منداس فسيأتي خبره وأما محمد فقد اقام بها على ما كان ابوه وجده ومنه انقطع ملك بني عبد الرحمن بها وتفرقت اولادهم عنها .

هذا اجماله واما تفصيله فهو ما ذكره الامام الهمام ابو المكارم محمد ابن عبدالله بن خلدون التلمساني فيما أبداه في تحقيق الاصول كما في شرح سلاسل الفصول قائلا ما خلاصة معناه ان الشريف المذكور اصله من شرفاء بني زيان أهل القصبة قصبة تالوت بأعالي الصحراء بنواحي (وادي سسلم ونهر واصل) وما يلي ذينك من تلك النواحي وهي مقر اسلافهم واوائلهم ولهم بها قدر عظيم وجاه جسيم لبعضهم بعض اقامات بمدينة تلمسان سيما حيث صار لهم بها ملك عظيم وسلطان جسيم مما يزيد بقربماية سنة ومع ذلك ما رفضوا مقارهم المذكورة ومنازلهم المشهورة قال ثم ان الشريف زيان القصبي التالوتي الذي هو مرجع نسب تلك القبيلة واصلها وبه سميت فهو الشريف زيان بن زين العابدين بن يوسف بن ادريس الآتي تمام نسبه وكان أسلاف الشريف زيان المذكور المسمى به بنوه انما يعرفون بشرفاء تالوت وتارة باشراف قصبة تالوت وتالوت هذا اسم بلد عظيم ومواضع ومحال اقوام به وحوله قصور وقرى

ومدارس كانت معمورة بأهاليها واما قصبتها فهي خاصة باشراف اوائل الشريف ريان المذكور وانما حدثت لهم النسبة الزيانية بسببه وسائر بلد تالوت كان به علماء وصلحاء وافاضل واشراف لا يحصون كثرة منهم الفقيه الحافظ العلامة الهمام القدوة الامام ابـو الحسن علي بن محمد التالوتي الانصاري احد شيوخ الشيخ سيدي محمد السنوسي صاحب العقائد وأخوه لامه ومنهم الفقيه العلامة الهمام العابد الملازم الصيام والقيام أبو العباس احمد بن عمر التالوتي الانصـــاري واخوه الناسك الابر ابو الحسن علي بن عمر الانصاري والثلاثة المذكورون من اصحاب سيدي محمد الهواري دفين وهران رضي الله عنه ولهم معه اخبار طويلـة في كرامات جزيلة وكانت وفاته سنة ٨٤٣ وبعضهم أخ للشيخ السنوسي وقد توفي سنة ٨٩٥ وما وقع خراب بلد تالوت وقصبتها الا بعد ذلك المذكور ومنهم غيرهم تركنا ذكرهم خوف الاطالة ولم تزل بعد معمورة واليهـا ينسبون وغالب اهلها انصار وأشراف الى اختلال نظام الملك بسبب ملك الاشراف (بتاقدمت) كما مر وتغلب الاعراب عليها ونواحيها بعد التاريخ المذكور في حدود العاشرة وما يقاربها واما الان فهي مدائن بلاقع واطلال رسوم شواسع أسوارها واقعة عليها ومراسم ديار لا انيس بها غيرت اسماء سكانها الفاضلة القديمة باسماء اقوام سالفة ذميمة شأنهم الغارات ونقض الذمم وخفر العهود ودناءة الهمم ليس لهم مبالاة بالدين ولا اعتبار لهم بسنن سيد المرسلين بعد ان كانت بها رياض العلوم زاهرة وافنانها يانعة مثمرة القرآن بها رواياته محررة اي تحرير والاحاديث مضبوطـة أصولها وفروعها مقررة اي تقرير وكتب اصول المذهب القدماء لا يخالطها تبديل ولا تغيير وقد مر بتلك الديار وغالب الظن انها (تاقدمت) رجل صالح عالم بالحديث والتفسير والفقه حافظ لكتاب الله محقق لرواياته السبعة بل العشرة وكان ذلك الرجل لا يفتر لسانه عن ذكر الله وتلاوة كتابه فبات تلك الليلة بالمحل المذكور فقام يتهجد يصلي ويتلو وكان مبيته

بقرب المقبرة فكشف له عن قبور الصالحين بها بأنوار ساطعة تخطف الابصار بأقبية قبورهم عديدة فناداه انسان من قبره قائلا له يا هذا جزاك الله خيرا ذكرتنا بشيء طال العهد بمن كان يذكرنا به فقال ذلك الرجل الصالح هل فيكم من يحفظ القرآن فاجيب بأن غالب من حواليك من القبور من المهرة به رجالا ونساء وأقرب ما اليه بسبعماية جاريــة ممن يحفظن بجميع رواياته العشرة ويحفظن المدونة عن ظهر قلب واما الاحرار من الرجال والنساء فلا يحصون كثرة وكان سبب ملكهم لتلمسان ان الشريف المذكور كان له سطوة عظيمة وطول يد عميمة مع شدة شكيمة في الدين واقامة دعائمه مع تمام الشفقة والرأفة بالمسلمين وكان له اربعة اولاد على نهجه وسبيله وتضلع بكتاب الله وسنة رسوله الشريف احمد والشريف يوسف والشريف عبدالله والشريف زيان وكان لهم ايضا مع ذلك من الشهرة وشدة الشكيمة في الدين والقيام بوظائفه والوقوف على حدوده في انفسهم وتابعيهم والسطوة التامة والقوة العامة في قطرهم المذكور الموروث لهم عن اسلافهم ثم انه جرت امور عظام وأسباب اقتضت طلب اهل تلمسان من الاشراف المذكورين تولية احد منهم عليهم في بلادهم لاقامة الدين وحقن الدماء وحفظ اموال المسلمين لعلمهم باستحقاقهم ذلك دون غيرهم فأجابوهم بعد الاباية وعقد الشروط المنعقدة بينهم واستكمال شرائط البيعة فكان اول من تولى منهم سلطنة تلمسان ومكث ثلاثين سنة في أقوم حال وأتمه وانعم عيش وارغده هو الشريف احمد بن زيـــان المذكور وتخلف ابنه يوسف من بعده عشر سنين كذلك ثم انه جرت خطوب بينه وبين بني مرين فتغلبوا عليه وهجموا عليه فقتلوه وهدموا القصبة المعدة لهم بها وفر عمه زيان لذلك فرجع الى بلاده المذكورة وقد خلف الشريف يوسف بن احمد المقتول اولادا منهم محمد وحمزة واحمد مع امهم فبقيت امهم مع عيون لهم في البلد وهم فروا بأنفسهم لبلادهم في الصحراء ومكثوا فيها حتى تراجع امرهم وتناسبت احوالهم واشتدت

شوكتهم واجتمع عليهم حشمهم ونصرتهم طوائف البربر وقبائل العرب وراموا افتكاك ملكهم وقوي اهتمامهم بأخذ ثأرهم من عدوهم ولم تزل امهم وعيونهم يحثونهم على ذلك ويراسلونهم المرة بعد المرة ليغتنموا الفرصة بالرجوع الى ملكهم اما بقهر القوارع المزعجات الدافعة او بما يمكن من انواع الاحتيالات النافعة واعداؤهم في غياهب غيهم غارقون ولانقراض من كان يناوئهم بمحلهم آمنون مع طول زمان الوقائع الكائنة من أسلافهم وامهم وعيونهم لهم اشراف واطلاع على اختلال احوال اعدائهم وانهم ان امتثلوا لهم نالوا مرادهم فامتثلوا الامر وساروا اليهم من محلهم باموالهم وعددهم ومن امكن من حشمهم وخلفائهم حتى انتهوا قريبا من المدينة على صفة الاعراب المنتجعين الطالبين رعي مواشيهم في سوائح البلد وصحاريها فتسامع الناس بهم على الوصف المذكور وخرج لهم خلص احبابهم للقائهم والسلام عليهم حتى بعض عظماء بني مرين خرجوا اليهم ولقوهم بقرية (بيدر) وضيفوهم بعظيم الاطعمةوكرائم الطرف وانواع الاشربة وجلائل التحف ثلاثة ايام ثم رجع الناس كلهم بنو مرين وغيرهم فاجتمعوا مع خلص عيونهم وامهم ومن معها خفية واصحاب تدبيرهم فتشاوروا كيف السبيل الى حصول مرادهم فاقتضى رأيهم أنهم يهجمون على عدوهم كما هجم عليهم فهجموا على اعدائهم وهم على حين غفلة فدخلوا البلد واستولوا عليها فحمدوا الله وهم له شاكرون فغنموا من ذلك ما غنموا وقتلوا من قتلوا وعتقوا من عتقوا وفر بنومرين وحزبهم منهزمين الى مدينة فاس ثم ان اولاد الشريف، يوسف بن احمد بن زيان المذكور عقدوا البيعة لاخيهم الشريف احمد المذكور ومكث بها ملكاً نحو ثلاث سنين ثم لما اطمأنوا واستكانوا بعثوا الى عمهم الشريف زيان المذكور ليقدم عليهم فسار جاد السير اليهم مع الصحراء فقطع من وادي سسلم الى تلمسان في اربعة ايام وترك اولاده في حوز تالوت القصبة مع النساء والصبيان فاجتمع معهم فجعلوا لذلك مهرجانا عظيما واستلحقوا

من شاءوا من اهلهم واولادهم وجعلوا مهرجانا آخر ومكثوا على ذلك مدة مديدة في ايام سعيدة ثم دارت الدوائر وانقلبت العشائر وثارت الفتن ونشر بيت المحن في اسباب يطول شرحها فآل امرها الى موت السلطان احمد بن السلطان يوسف بن السلطان احمد بن زيان المذكور وامه واخوانه واولاده في جم غفير منهم وانصارهم ثم ان اهل تلمسان بعد ذلك جعلوا مولاي زيان بن زيان المذكور سلطانا فبقي سلطانا نحواً من اربعين سنة ثم استغلظ أمر بني مرين وكادوا ان يحيطوا بالمدينة وصاروا يتأهبون لقتالهم ويفسدون عليهم انصارهم بالرشا يراسلون ويبعثون بذلك للعرب والبربر قبيلة قبيلة حتى أتت اليهم جميع العرب بنجدة وقوة وأحاطوا بهم وحاصروهم نحواً من اربع سنين فانتهكت تلمسان وهلكت وضاعوا بالجوع فالتقى الجمعان فانهزم جمعهم وانقلبوا مدبرين ودخل بنو مرين على من هناك من بني زيان القصبيين التالوتيين وقتلوا السلطان مولاي زيان وأخاه الشريف عبدالله وهرب السيد يوسف اخوهم الى بلدهم المذكورة سالما فتمكن بنو مرين منهم أي تمكن وغنموا ما عندهم وهدموا القصبة واستقر أمر بني مرين في مملكتهم بتلمسان والظاهر ان بني مرين هؤلاء هم بنو وطاس لان بني مرين الاول اعني بني عبدالحق ومن في معناهم كان اعظم ملكهم للثمانماية والمائة التاسعة والخمسون بعدها لبني وطاس منهم فالجملة تسعمائة وخمسون وما كان لبني زيان المذكورين ولاية على تلمسان الا بعد انقضاء أمر بني عبد الوادي بها وكان انقضاؤه في اواخر الثامنة كبني مرين الاول فتبين ان بني زيان القصبيين انما كان مع بني وطاس منهم او مع الطرفين والله اعلم وسيأتي لذلك مزيد بيان ثم ان السيد يوسف المذكور لما بلغ مأمنه بوصوله لموضع اسلافه موضع ابيه وجده ابي زيان بن زين العابدين مكث فيه وتزوج اربع عشرة امرأة ولم يولد منهن سوى ياقوتة بنت عبدالله بن جعفر فولدت له عشرة اولاد وثلاث بنات فبقي منهم عبدالرحمن ومات الباقون فانتقل عبد الرحمن الى (تاقدمت) ونزل في عين الطوغ

وحصل له بها من التعظيم والجاه الجسيم ما هو معروف لهم في اسلافهم السابقين فتزوج حسنة بنت عامر القرشي فولدت له عبد القوي وجعفر واحمد ومن هؤلاء الثلاثة تفرعت فروع شرفاء بني زيان وتفرعت اولاده الثلاثة فاما السيد جعفر بن عبدالرحمن فسار قاصدا ناحية المشرق حتى نزل وادي الذهب في المكان المعروف بوادي عام وامر ببناء قصر الذهب فمن بنيه السيد محمد بن عبدالله المعروف ويقال لذريته المقارنة وأما السيد احمد بن عبد الرحمن فسار ونزل ببلاد القبائل القريبين من مدينة الجزائر الحالين ببعض شوامخ جبالها واستقر بها وله بها اولاد ويقال لذريته البراكنة منهم الولي الصالح سيدي احمد بركان فجدهم السيد أحمد البركاني بازاء مليانة فاسم جد كل من المقارنة والبراكنة السيد عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن ابن ادريس بن عبدالله بن احمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة بن سعيد ابن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن ادريس بن ادريس ابن عبدالله الكامل ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأما الشريف عبد القوي فأقام يعني سلطانا في مدينة (تاقدمت) ثلاثين سنة ومات وترك اثنين من اولاده محمداً ومنداسا .

فأما محمد فتولى السلطنة (بتاقدمت) من بعد ابيه مدة مديدة ومات بها وبقيت ذريته بازاء تاقدمت ونواحيها ، ومنه انقطعت السلطنة بها لبني زيان القصبيين واما منداس فدخل العبادة في بلده تلك على عادته من دوام النسك والانقطاع الى الله تعالى ومات بها وترك ولدين احمد الملقب بالمرابط واخاه يوسف فأما الشريف يوسف فذهب وسار من بلاده الى بلاد بني ماحون بنواحي البحر وتزوج فيها ومات ولم تبق له ذرية وأما الشريف مرابط فكأنه انتقل هو وبنوه الى نواحي (وادي شلق) بنحو منازل قبائل السويد وترك السيد راشداً هناك وبها توفي وقبره مشهور

مزور بسوائح ظهر الملح منها والسيد راشد المذكور خلف ثلاثة اولاد يحيى وعبدالله ويوسف فعبدالله ويوسف لم يبق لهما ذرية واما السيد يحيى فخلف ولده السيد علي المشهور المكنى بأبي العسل وقبره مشهور مزور لقصة لهم في ذلك والسيد علي خلف ولده الشريف خطابا العلامة الهمام القدوة الامام جد آل خطاب قاطبة وقبره مشهور مزور هنالـك بملتقى (وادي شلق ووادي مينة) وهو ولد الشريف الأبر القطب الاكبر السيد عبدالله النقابي المذكور المتولي القطبانية سنة ٣٤ وهو دفين ثغر بلـد مستغانيم الكائنة بساحل البحر المعروف بالمطمر منها وما عمرت تلك البلد الا بعد حلوله بها وانما كان ذلك البلد قبله محلا لرباط المجاهدين في سبيل الله وثغراً من ثغور المحتسبين لرباط الله وكان السيـد المذكور نزوله واقامته بها لذلك وحصل له في ذلك المحل وقبله من الكرامات ما لا يحويه كتاب وبذلك الثغر توفي وقبره مشهور مزور وله قبر آخر كذلك (بقرية عيذب) بساحل تلك البلد شرقيها لقصة عندهم مشهورة له في ذلك وقد خلف خمسة اولاد بتلك النواحي لكل منهم كرامـات شهيرة ومناقب اثيرة يعلمها الخاص والعام من اهل وطنهم متواترة عندهم والخمسة اولاد المذكورون كل منهم نال من الولاية العظمى حظا وافرا وقد دعا الله تعالى والدهم ان لا ينقطع عدد مراتب الخمسة الاولاد من بنيهم وبني بنيهم الى قيام الساعة فاستجيب له ولم تزل بركة ذلك مشاهدة فيهم عند الخاص والعام واسم جدهم جميعا أعني الخطابيين هو السيد عبدالله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن احمد المرابط بن منداس ابن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن يوسف بن حسن بن ادريس بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران بن ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم اهـ محصل كلام ابن خلدون التلمساني .

قال بعضهم بعد ما ذكر من اول النسب الى آخره ما نصه وقد كنا نسمع من اعيان محل اولئك الاشراف ان سلسلتهم هذه تسمى عندهم بسلسلة الذهب وقد تواتر عندهم ان هذه السلسلة الخطابية العمرانية من أصح السلاسل وأتقنها من ابتدائها الى انتهائها اذ لها طرفان وواسطة فالطرف الاول وهو من احمد بن محمد الى علي وفاطمة وهم ستة عشر فهذا لا ريب فيه لاحد لكون عمران هو ابن ادريس بن ادريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط ابن علي وفاطمة رضي الله عنهما هو للنسب المحقق الذي لا ريب فيه حسبما رتبه المؤرخون كابن خلدون ولكون عمران أيضا اعطي من بين اخوته ارض الريف وبادس وانتقل هو اليه وتناسلت اولاده هناك بهما فقد ذكروا كما مر وكما في كتاب رفع التدليس عن بني ادريس ان الامام محمد بن ادريس لما قسم البلاد على اخوته وعين لكل منهم محله المخصوص به واستوطن وترك ذريته به ه وعليه فيكون ان الامام عمران ولد عليا هناك أو قبله وهو ولد حمزة وحمزة ولد داود وهو ولد يعقوب وهو ولد سعيدا وسعيد ولد ادريس وادريس ولد الحسن والحسن ولد يوسف ويوسف ولد زين العابدين وزين العابدين ولد زيان المذكور منشأ النسبة الزيانية كما مر ثم ان المنتقل من محله الاصلي المذكور لجدهم انما هو فيما بين يعقوب والحسن الى الديار القصبية التالوتية من هذا الطرف والله اعلم والطرف الثاني من عبدالله بن الخطاب الى ادريس بن عبدالله وهي خمسة عشر وهي يقينية أيضا بتنقلاتها ومقارها وأضرحتها بمواضعها المعروفة بها وأما الواسطة فهي ما بين ادريس وداود بن حمزة بن علي بن عمران وهم عشرة وهؤلاء هم المنتقلون او بعضهم عن محالهم ومحل أبيهم المذكور الى نواحي الصحراء اذ كانت معمورة بملوكها وأعرابها الخيرين الصالحين بها فنالوا بها من الامن والراحة على انفسهم واموالهم واعراضهم من الهناء والدعة التي يقصر عنها الوصف والمنتقلون الى ما ذكر منهم من محال أبيهم

وتصاريف امورهم وسيرهم مذكورة في مختصر الدر النفيس في أحوال الائمة الاثني عشر من بني ادريس فليراجع قال بعضهم وهذه الخمسة المذكورة هي من التحقيق بمكان بحسب اصلها غير انه وقع فيه اختلاف نسخ بالتقديم والتأخير منه ما تحرر لدينا اعتمادا على الاصول التي بأيدينا والله المعين بمنه وكرمه آمين وسوف نذكر ترجمة مولانا الشريف عمران ابن ادريس الامام رضي الله عنهما من اول أمره الى منتهاه وتتبع اولاده وتنقلاتهم في سائر أمكنتهم واسباب ذلك، لينكشف الغيب ويزاح الريب كسائر تراجم بني ادريس الاثني عشر رضي الله عنهم وتتبع بنيهم وبني بنيهم الى وقتنا ممن علمناه منهم وبتمامهم يتم الكتاب والله الموفق للصواب بمنه وكرمه آمين .

(وهذه شجرة آل خطاب منهم حسبما أثبته ابن خلدون التلمساني وغيره هكذا عبدالله بن خطاب بن علي بن يحيى بن راشد بن مرابط ابن منداس بن عبد القوي بن عبد الرحمن بن يوسف بن زيان بن زين العابدين بن حسن بن ادريس بن عبدالله بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة بن سعيد بن يعقوب بن داود بن حمزة بن علي بن عمران ابن ادريس بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

تتمة

اعلم أن لفظة بني زيان تطلق على قبائل عديدة وأنساب مديدة منهم شرفاء وعرب وبربر والمذكور في المحل اثنان .

الاول « بنو زيان » ملوك تلمسان وهم بنو عبد الوادي نسبة الى زيان بن يوسف بن محمد بو زكرياء الآتي ذكره وهم من زناتة وليس لهم حظ في الشرف على ما قال المقريزي في قلائد العقيان في انساب

عرب الزمان ونصه : ومن زناتة بنو عبد الوادي ملوك تلمسان القائمون بها الآن وهم بنو عبد الوادي ابن بار بن محمد بن بني رحيك بن واسير ابن مسلمين بن سترين بن اكيا بن ادد بن جانا وهو زناتة وأول من ملك منهم تلمسان جابر بن يوسف بن محمد بن زكرياء بن بندركش بن طاع الله بن علي بن القاسم بن عبد الوادي ولم تزل في اعقابهم وربما غلبهم عليها بنو مرين ملوك فاس التي صارت بيد سعد بن ابي حمو موسى بن غمراسن بن زيان بن يوسف بن محمد بن زكرياء المتقدم ه فالنسبة الزيانية انما طرأت عليهم من زيان بن يوسف المذكور وأما قبله فانما يعرفون ببني عبد الوادي اصل نسبهم المشهور وهم اقدم زمانا وأكثر ذكراً عند المؤرخين وربما التبست النسبتان حتى غلط في ذلك كثير فقد نسب العلامة التنيسي الشرف لبني عبد الوادي وقد علمت انهم بربر ليس لهم في العربية أصل فضلا عن الشرف ومثله ما قاله ابن خلدون في العبر وفي مرآة المحاسن ما نصه اول ملوك بني عبد الوادي بتلمسان يغمراسن اول المائة السابعة وفي آخرها آخر ملوكهم الامير احمد بن الامير عبدالله سنة ٩٥٣ وقال في التعريف بالشيخ الامام أبي الطيب الحسن بن يوسف ابن يحيى بن مهدي بن محمد بن يوسف بن مهدي بن عبد الوادي قال أصله من بني عبد الوادي احدى قبائل زنانة المشهورة وهي التي كان لها الملك والسلطنة في تلمسان وما اليها من ولد يغمراسن بن زيان مقيم الدولة في اوائل المائة السابعة ومهدها لبنيه بعده الى ان تغلب الترك عليها وانتزعوها من أحمد بن عبدالله من اعقاب يغمراسن قال وقال العلامة الونشريشي ومن خطه نقلت ما نصه قدم حسن بن خير الدين التركي واستولى على تلمسان اواسط شعبان سنة اثنين وخمسين وتسعمائة واخرج منها الامير احمد بن الامير عبدالله ووزيره منصور بن أبي غانم ولحقا (بدبدو) ومن انضاف اليها من امراء تلمسان وكبرائها فغدرهم محمد بن يحيى يعني المريني صاحب دبدو وأخذ أموالهم واعتنقهم وسرح

منصور بن أبي محرم في سنة ثلاث وخمسين ولا حاجة في ذكر ما بعد ذلك من الاحداث التي لم تستقر كدخول الشرفاء ملوك المغرب اياها فان الامر استقر بها للترك الى هذا التاريخ وهو سنة ست واربعين والف اه فكان جميع ملكهم بتلمسان احدى وخمسين وثلاثماية .

النسبة الثانية

نسبة بني زيان لاشراف الادارسة القصبيين ممن جمع اسلافهم بين ملك تلمسان وملك الصحراء على التعاقب اذ هم من بعض ملوك الصحراء مدينة تاقدمت قاعدة صحراء المغرب الاوسط آخر ملوكها المذكورين في الفصل الثاني وقد علمت نسبهم وما آل اليه امرهم فيما نص عليه ابن خلدون التلمساني ولم يكن لبني زيان الادارسة ملك سلطنة بتلمسان الا بعد انقراض بني زيان العبديين وانقراض بني مرين اعني بني عبد الحق انما كانت حروبهم مع بني مرين الوطاسيين فانهم كان لهم المائة التاسعة والخمسون بعدها دل على ذلك ما سيأتي وما وجد مكتوبا في رخامة سقطت من جسر الرسيف في الوادي عام تسعة والف ونصه :

جسر الرسيف أبو العباس جدده فخر السلاطين من بني وطاس
قد جاء في غاية الاتقان والمنا لمن يمر به من عدوة فاس
وقد تكامل بنيانه عام غنا من هجرة المجتبي المبعوث للناس

كما في القرطاس والمغرب وفي المرآة ما نصه اخر ملوك بني مرين الوطاسيين وما اليها ابو العباس احمد بن أبي عبدالله محمد الشيخ الوطاسي المرسي حيث أسر أخوه في وقعة وادي درنا للشرفاء على بني وطاس في رجب سنة ٩٥٣ ثلاث وخمسين وتسعماية ومات في تلك الايام القريبة هما وغما رحمه الله وتقدم بعض ذلك فاعلمه وقد قال فيها ايضا

وقد التقى الجمعان على مشرع ابي عقبة من وادي العسر مقاتلة فـــاس وسلطانهم احمد بن محمد الوطاسي ومقاتلة مراكش وسلطانهم ابو العباس أحمد بن محمد الشريف المعروف بالاعرج ومعه اخوه السلطان بعده أبو عبدالله محمد الشيخ سنة ثلاث واربعين وتسعماية فانهزم السلطان احمد الوطاسي وتفرقت جموعه وتبعته الخيل فكادوا يقبضونه فحضر هنالك رجل على فرس يحول بينه وبينهم ويقول له سر يا أحمد ولم يزل معه الى ان نجا وقال فيها وكان السلطان ابو المعالي زيدان صاحب مراكش ابن السلطان ابي العباس احمد المنصور التقي مع ولد اخيه صاحب فاس السلطان محمد الشيخ برؤس الشعرب يوم الخميس السابع والعشرين من شوال عام سبعة عشر والف فانهزم السلطان عبدالله وفر الى محلة أبيه على العرايش ثم رجع الى جهة فاس وانتهى الى دار ابن مشعل من بلاد بني يزناس واستولى عمه على محلته وسار الى فاس فدخلها وأقام الى اوائل سنة ثمان عشرة ورجع الى مراكش واستخلف بفاس العلج مصطفى باشا ثم ان السلطان عبدالله زحف الى فاس فخيم مصطفى بظاهرها من ناحية باب الفتوح وعرض لصاحب الترجمة عارض من الامور العامة جاء فيه وتردد الى المحلة فركب اليها يوم الاثنين السابع عشر من ربيع الثاني سنة ثمان عشرة والف فالتقى الجمعان بين الظهرين يومئذ فانجلت الحرب على قتل مصطفى وفقد صاحب الترجمة رضي الله عنه وقد تقدم بعض ذلك فاعلمه وقد ذكر في العبر أن كلا من بني عبد الوادي وبني مرين من زناتة أما بنو عبد الوادي فقد تقدم نسبهم وأما بنو مرين فقال المقريزي أيضا في الجمان قبل ذلك ما نصه من زناتة بنو مرين بفتح الميم وكسر الراء المهملة وسكون الياء المثناة تحت ونون في الآخر وهم بنو مرين بن ورتاجي ابن ماخوخ بن فاتي بن بدر فابن بحت بن عبدالله بن درفيص بن المعز بن ابراهيم بن رحيك بن واشق بن القلين بن سر بن زكريا بن دريك بن اربدت بن جانا وهو زناتة ومن بني مرين بنو عبد الحق ملوك المغرب

الاقصى الآن المستقرون بمدينة فاس وهم بنو عبد الحق بن يحيى بن أبي بكر بن خالد بن محمد بن روصيص بن فكرس بن كونان طريف ابن بدر المتقدم ذكره وأول من ملك منهم السلطان ابو سعيد بن عثمان بن عبد الحق استولى على بعض نواحي الغرب ثم قتل في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة وملك بعده مدينة فاس أخوه محمد بن عبد الحق ثم تداولتهم أعقابهم الى ان كان منهم السلطان ابو الحسن المريني في حدود ايام الناصر محمد بن قلاوون فعظم سلطانه واتسعت مملكته ولم يزل يتنقل في اعقابهم الى أن صار الامر فيهم الى السلطان ابي سعيد عثمان بن أبي العباس احمد بن السلطان ابي سالم بن السلطان ابي الحسن بن السلطان أبي سعيد عثمان ابن أبي يعقوب بن يوسف بن يعقوب بن عبد الحق انتهى .

الفَصْل الثَالِث

في اخبار عبد القوي بن العباس الراشدي التوجاني الزناتي ثالث الثلاثة المذكورة

وملكه مجازي بالنسبة لتلك البلد المذكورة . وذلك انه لم يكن له ملك حقيقي على مدينة (تاقدمت) المذكورة بحيث كان له الحل والعقد بها والاقامة بها في حال قيامها بأسوارها وقصبتها خلال أسواقها ومساجدها وأربطتها المعدة لذخائرها ، لجندها وعساكرها . وانما كان متغلبـــا على أوطانها وسوائحها في حال دثورها وانحلال أمرها فصار ملكه بها مجازياً على سبيل التغلب لاعرابها وقراها ومن انزوى اليها وانما كان ملكه بدوياً لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا ائتلاف الرحلتين (ينتابون) في مشاتيهم الى (مزاب والزاب) ونحوهما وينزلون في مصائف بلادهم هذه من التل والتي تغلبوا عليها (ونشريش ومنداس وتافركيت) وما حوا الى ذلك مثل الجنيبات وتاوعزوت وغيرها ولم يكن له في جميع ذلك قرية مخصوصة وانما كان لما غلب مغراوة على جبل ونشريش اختط حصن (مرات) بعد ان كان منديل المغراوي شرع في اختطاطه فبنى منه القصبة فاكمله والده محمد بن عبد القوي من بعده وسيأتي جميع ذلك مفصلا في كلام ابن خلدون فانه ذكر في كتابه العبر ترجمة عبد القوي المذكور ونسبه وقومه بني توجين بأتم بيان وأوضح تبيان وله في كل من الطبقات الثلاث الآتية أخبار وتنقلات له ولقومه ذكرنا جميعها كذلك .

ونص كلام ابن خلدون في ذلك مبتدئا بالاول الخبر عن بني توجين من شعوب بني بادين من اهل هذه الطبقة الثالثة من زناتة وما كان لهم من الدولة والسلطان بالمغرب الاوسط وأولية ذلك ومصائره كان هذا الحي من اعظم احياء بني بادين واكثرهم عددا وكانت مواطنهم خفافير وادي شلق قبلة جبل ونشريش من ارض السرسو وهو المسمى لهذا العهد نهر واصل وكان بأرض السرسو بجهة المغرب منه بطون من لواتة وغلبهم عليها بنو وجدخي ومطماطة ثم صارت ارض السرسو لبني توجين هؤلاء واستضافوها الى مواطنهم الاولى وصارت مواطنهم ما بين موطن بني راشد وجبل دراك في جانب القبلة وكانت فيهم الرئاسة أيام صنهاجة لعطية بن دافلتن وابن عمه لقمان بن المعتز كما ذكره ابن الرفيق ولما كانت فتنة حماد بن بلكين مع عمه باديس ونهض اليه باديس من القيروان حتى احتل وادي شلق تحيز بنو توجين هؤلاء وكان لهم في حروب حماد اثار مذكورة وكان لقمان بن المعتز أظهر من عطية بن دافلتن وكان قومهم يومئذ زهاء ثلاثة الاف وأوفد لقمان ابنه بدر على باديس قبل اللقاء طاعة له وانحياشا فلما انهزم حماد ادعى لهم باديس انحياشهم اليه وسوغ لهم ما غنموه وعقد للقمان على قومه ومواطنه وعلى ما يفتحه من البلاد ودعوته ثم انفرد برئاستهم بعد حين بنو دافلتن ويقال ان دافلتن ابن أبي بكر بن الغلب وكانت رئاستهم لعهد الموحدين لعطية بن مناد بن العباس ابن دافلتن وكان يلقب عطية الحيو وكانت بينهم لعهده وبين عبد الوادي حروب كان متولي كبرها من بني عبد الوادي شيخهم لذلك العهد ابن القاسم فلم تزل تلك الفتنة بينهم الى أن غلبهم بنو عبد الوادي آخرا على مواطنهم كما نذكره ولما هلك عطية (الحيو) قام بأمرهم ابنه ابو العباس وكانت له اثار في الاجلاب على ضواحي المغرب الاوسط ونقض طاعة الموحدين الى أن هلك سنة سبع وستماية وقد عامل تلمسان يومئذ أبو زيد بن لوخان من اغتاله بقتله وقام بأمرهم من بعده ابنه عبد القوي

فانفرد برئاستهم وتوارثها عقبه من بعده كما نذكره .

وكان من أشهر بطون بني توجين هؤلاء يومئذ بنو يدلاتن وبنو قمري وبنو مادون وبنو زنداد وبنو قاضي وبنو مامت ويجمع هؤلاء الستة بنو مرت ثم بنو تبغرين وبنو يزناتن وبنو منكوش ويجمع هؤلاء الثلاثة بنو سرغين ونسب بني زنداد دخيل فيهم وانما هم من بطون مفراوة وبنو منكوش هؤلاء منهم عبد القوي بن العباس بن عطية بن الحيو ، هكذا رأيت نسبه لبعض مؤرخي زناتة المنكوشي وكانت رئاسة بني توجين جميعا عند انقراض بني عبد المؤمن لعبد القوي بن العباس بن عطية الحيو وأحياؤهم جميعا تلك المجالات القبلة فلما وهى امر بني عبد المؤمن وتغلب مفراوة على بسائط متيجة ثم على جبل ونشريش نازعهم عبد القوي هذا وقومه أمر ونشريش وغالبوهم الى ان غلبهم عليه واستقر في ملكهم وأوطنه بنو تبغرين وبنو منكوش من احيائهم ثم تغلبوا على منداس وأوطنها أحياء بني مدن جميعا وكان الظهور منهم لبني يدلاتن ورئاسة بني يدلاتن لبني سلامة وبقي بنو يزناتن من بطونهم بمواطنهم الاولى قبلة ونشريش وكان من احلاف بني عطية الحيو بنو تبغرين منهم خاصة واولاد عزيز بن يعقوب ويعرفون جميعا بالوزراء ولما تغلبوا على الاوطان والتلول وأزاحوا مفراوة عن لمدية وونشريش وتافركيت واستأثروا بملكها وملك الاوطان عن غريبها مثل منداس والجعبان وتاوغزت ورأسهم لذلك العهد عبد القوي بن العباس والكل لامره مطيعون فصار له ملك بدوي لم يفارق فيه سكنى الخيام ولا ابعاد النجعة ولا ائتلاف الرحلتين ينتابون في مشاتيهم الى مصاب الزاب وينزلون في مصائف بلادهم هذه من التل ، ولم يزل هذا شأن عبد القوي وابنه محمد الى ان تنازع بنوه الامر من بعده وقتل بعضهم بعضا وتغلب بنو عبد الوادي على عامة اوطانهم وأحيائهم واستبد عليهم بنو يزناتن وبنو يدلاتن فصاروا الى بني عبد الوادي وبقي أعقابهم بجبل ونشريش الى ان انقرضوا على ما نذكره

بعد وكان عبد القوي لما غلب مفراوة على جبل ونشريش اختط حصن مرات بعد أن كان منديل المفراوي شرع في اختطاطه فبنى منه القصبة ولم يكمله فأكمله محمد بن عبد القوي من بعده .

ولما استبد بنو أبي حفص بأمر افريقية وصارت خلافة الموحدين نهض الامير ابو زكرياء الى المغرب الاوسط ودخلت في طاعته قبائل صنهاجة وفرت زناتة امامه وردد اليهم الغزو فاصاب منهم وقبض في بعض غزواته على عبد القوي بن العباس أمير بني توجين فاعتقله بالحضرة ثم من عليه وأطلقه على ان يستأنف له قومه فصاروا شيعة له ولقومه آخر الدهر ونهض الامير ابو زكرياء بعده الى تلمسان فكان عبد القوي وقومه في جملته حتى اذا ملك تلمسان ورجع الى الحضرة عقد لعبد القوي هذا على قومه ووطنه وأذن له في اتخاذ الادلة فكانت اول مراسم الملك لبني توجين هؤلاء وكانت حالهم مع بني عبد الوادي تختلف في السلم والحرب ولما هلك السعيد على يد يغمراسن وقومه كما ذكرناه استنفر يغمراسن سائر أحياء زناتة فنفروا الى المغرب ومسابقة بني مرين اليه فبقي معه عبد القوي في قومه سنة سبع واربعين وانتهوا الى تازي واعترضهم ابو يحيى بن عبد الحق امير بني مرين في قومه فنكصوا واتبعهم الى أي مكان فكان اللقاء وانكشفت جموع بني يادين وكانت الهزيمة التي ذكرناها في أخبار بني عبد الوادي وهلك عبد القوي في سنة ٦٤٧ مرجعه منها بالموضع المعروف بأحمون من مواطنهم وتصدى للقيام بعده بأمرهم ابنه يوسف فمكث في تلك الامارة اسبوعا ثم قتله على حدث أبيــه لخوه محمد بن عبد القوي وولي عهد ابيه سابع مواراته وفر ابنه صالح بن يوسف الى بلاد صنهاجة بجبال لمدية فأقام بها هو وبنوه واستقل محمد برئاسة بني توجين واستغلظ ملكه وكان (الفحل الذي لا يقرع أنفه) ونازعــه يغمراسن أمره ونهض الى حربه سنة تسعة واربعين وعمد الى حصن تافركينت فنازله بها يومئذ حافده علي بن زيان بن محمد في عصابة من قومه

فحاصره أياما وامتنعت عليه فرحل عنها ثم تواضعوا أوزار الحرب ودعاه يغمراسن الى مثل ما دعا اليه اباه من غزو بني مرين في بلادهم فاجاب ونهضوا سنة سبع وخمسين ومعهم نفراوة فانتهوا الى كلومان ما بين لازي وارض الريف ولقيهم يعقوب بن عبد الحق في جموعه فانكشفوا ورجعوا منهزمين الى بلادهم كما ذكرناه وكانت بينه وبين يغمراسن بعد ذلك فتن وحروب فنازله فيها بجبل ونشريش مرات وجاس خلال وطنه ولم يقع بينهما مراجعة لاستبداد يغمراسن بالملك وسموه الىالتغلب على زناتة اجمع وبلادهم وكانوا جميعا منحاشين الى الدولة الحفصية وكان محمد بن عبد القوي كثير الميل للسلطان المنتصر ولما نزل النصارى الافرنجة بساحل تونس سنة ثمان وستين وطمعوا في تلك الحضرة بعث المنتصر الى ملوك زناتة بالصريخ فصرفوا وجوههم اليه وخف من بينهم محمد بن عبد القوي في قومه ومن احتشد من أهل وطنه ونزل على السلطان بتونس وأبلى في جهاد العدو احسن البلاء وكانت له في أيامه معهم مقامات مذكورة ومواقف مشهورة وعند الله محتسبه ولما ارتحل العدو عن الحضرة واخذ محمد بن عبد القوي في الانصراف الى وطنه اسنى السلطان جائزته وهم بالاحسان وجوه عساكره وأقطعه بلاد نفراوة وأوماش من وطن الزاب وأحسن منقلبه ولم يزل بذلك متعلقا بطاعته ومستظهرا على عدوه بالانحياش اليه .ولما استغلظ بنو مرين على يغمراسن بعد استيلائهم على امصار المغرب واستمرارهم بملكه وصل محمد بهم في الاستظهار على يغمراسن وأوجد ابنه زيان بن محمد عليهم ولما نهض يعقوب بن عبد الحق الى تلمسان سنة سبعين واوقع يغمراسن في الواقعه التي هلك فيها ابنه فارس نهض محمد بن عبد القوي للقائه ومر في طريقه بالبطحاء وهي يومئذ ثغر لاعمال يغمراسن فهدمها وبقي يعقوب بن عبد الحق متلوما عليها الى أن يلحق محمد وقومه ببلادهم حذرا عليهم من غائلة يغمراسن ففعل وملأ حقائبهم باتحافه وعين لهمماية من الجياد العتاق

بالمراكب الثقيلة واراح عليهم الف ناقة حلوب وعمهم بالصلات والخلع الفاخرة واستكثر لهم من السلاح والفازات والاخبية والعملات وارتحلوا ولحق محمد بن عبد القوي بمكانه من جبل ونشريش واتصلت حروبه مع يغمراسن وكثر اجلابه على وطنه وعينه في بلاده وهو مع ذلك مقيم على موالاة يعقوب واتحافه بالعتاق من الخيل والمستجاد من الطرف حتى ان يعقوب اشترط على يغمراسن في مهادنته أن يجعل سلمهم من سلمه وحربهم من حربه وكان نهوض يعقوب بن عبد الحق سببا لما اشترط عليه ذلك وحج في قبوله فنهض اليه واوقع به (بخرزورة) ثم أناخ عليه بتلمسان ووافاه هناك محمد بن عبد القوي فلقيه بالقصاب وعاثوا في نواحي تلمسان نهبا وتخريبا ثم اذن يعقوب لمحمد وقومه في الانطلاق الى بلادهم وتلوم هو بمكانه من نواحي تلمسان مدة منجاتهم الى مكانهم من ونشريش حذرا عليهم من اعتراض يغمراسن ولم يزل شأنهما ذلك الى ان هلك يغمراسن في سدلونة من بلاد مفراوة خاتمة احدى وثمانين وفي خلال ذلك استغلظ بنو مرين على بني عبد الوادي واستوثق لمحمد هذا ملكه فتغلب على بلاد صنهاجة بجبال لمديه واخرج الثعالبة من جبل ينطري بعد ان غدر بمشيختهم وقتلهم فانزاحوا عنه الى بساط متيجة واوطنوها واستولى محمد على حصن (لمديه) وهو المسمى بأهل لمديه بفتح اللام والميم وكسر الدال وتشديد الياء بعدها وياء النسب في اخرها وهم بطن من بطون صنهاجة وكان المختط لها بركين بن زيري ولما تولى محمد عليها وعلى نواحيها أنزل اولاد عزيز بن يعقوب من حشمه بها وجعلها لهم موطنا وولاية وفر بنو صالح ابن أخيه يوسف بن عبد القوي من مكانهم بين صنهاجة منذ قتل ابوه يوسف كما ذكرناه ولحقوا ببلاد الموحدين بافريقية فلقوهم مبرة وتكريما وقطعوا لهم بضواحي قسطنطينة في ايالة الملوك من آل أبي حفص يعسكرون معهم في غزواتهم ويبلون في حروبهم ويقومون بوظائف خدمتهم وكان الموالي من اولاد عزيز على لمدية وموطنهم الاول

ماخنون وكان بين يديه يدلاتن ايضا من بني توجين قد استولوا على حصن الجعبات وقلعة تاوغزوت ونزل القلعة كبيرهم سلامة بن علي مقيما على طاعة محمد بن عبد القوي وقومه فاتصل ملك محمد بن عبد القوي في نواحي المغرب الاوسط ما بين مواطن بني راشد الى جبـــال صنهاجة بنواحي لمدية وما في قبلة ذلك من بلاد السرسو وحماله الى ارض الزاب وكان يبعد الرحلة في مشتاه فينزل الروسن ومفراوه والمسبلة ولم يزل دأبه ذلك لما هلك يغمراسن سنة ٨١ كما ذكرناه استجدت الفتنة بين عثمان ابنه وبين عبد القوي على اثر ذلك سنة ٨٤ وولي من بعده ابنه سيــد الناس فلم تطل مدة ملكه وقتله اخوه موسى من بعد مهلك ابيه واقام موسى بن محمد في امارة بني توجين نحوا من عامين وكان من أهـــل مرات من اشد أهل وطنه شوكة واقواهم غائلة فحدثته نفسه ان يستلحم مشيختهم ويريح نفسه من محاذرتهم فأجمع لذلك ونزلها ونذروا بشأنه ورأيه فيهم فاستماتوا جميعا فثاروا به فقاتلهم ثم انهزم مثخنا بالجراحة والجوع الى مهاوي الحصن فتردى فيها وملك من بعده عمر ابن اخيــه اسماعيل بن محمد مدة اربعة اعوام ثم غدر به اولاد عمه زيان بن محمد فقتلوه وولوا كبيرهم ابراهيم بن زيان وكان حسن الولاية عليهم يقـــال ما ولي بعد محمد فيهم مثله وفي خلال هذه الولايات استغلظ عليهم بنو عبد الوادي واشتدت وطأة عثمان بن يغمراسن عليهم بعد مهلك ابيهـــم محمد فنهض اليهم سنة ست وثمانين وحاصرهم بجبل ونشريش وعاث في أوطانهم ونقل زروعها الى مازونه حين غلب عليها مفراوة ثم نازل حصن تافركينت وملكها بمداخلة القائد بها غالب الحصن مولى سيد الناس بن محمد وقفل الى تلمسان ثم نهض الى اولاد سلامة بقلعـــة تاو عزون وامتنعوا عليه مرارا ثم أعطوه اليد على الطاعة ومفارقة بني عبد القوي فنبذوا لهم العهد وصاروا الى ايالة عثمان بن يغمراسن وفرضوا لهم المغارم على بني يدلاتي وسلك عثمان بن يغمراسن مسلك التخريب بين

قبائل بني توجين وتحريضهم على ابراهيم بن زيان اميرهم فعدا عليه زكراز بن اعجمي شيخ بني مادون وقتله في البطحاء في احدى غزواته لسبعة اشهر من ملكه وولي بعده موسى بن زرارة بن محمد بن عبد القوي بايع له تبغرين واختلف سائر بني توجين فأقام بعض سنة وعثمان بن يغمراسن في خلال هذا يستأنف بني توجين شعباً شعباً الى أن نهض الى جبل ونشريش فملكه وفر امامه موسى بن زرارة الى نواحي لمدية وهلك في سفره ذلك ثم نهض عثمان الى لمدية سنة ثمان وثمانين بعدها فملكها لمداخلته لمدية في قبائل صنهاجة وغدروا باولاد عزيز فصالحوا عثمان ابن يوسف على الاتاوة والطاعة كما كانوا مع محمد بن عبد القوي وبنيه فملك عثمان بن يغمراسن عامة بلاد توجين بما دهمه من مطالب بني مرين أيام يوسف بن يعقوب فولى على بني توجين من بني محمد عبد القوي ابو بكر بن ابراهيم بن محمد مدة عامين اخاف فيها الناس وأساء السير ثم هلك فنصب بنو تبغرين بعده اخاه عطية المعروف بالاصم وخالفهم اولاد عزيز وجميع قبائل توجين فبايعوا ليوسف بن زيان بن محمد وزحفوا الى جبل ونشريش فحاصروا به عطية وبني تبغرين عاما او يزيد وكان يحيى بن عطية كبير بني تبغرين هو الذي تولى البيعة لعطية الاصم فلما اشتد بهم الحصار واستفحل ملك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان ورغب في ملك ونشريش فبعث الجيوش لتنصر أخاه أبا سرحان ثم أخاه أبا يحيى وكان نهوض أبي يحيى سنة احدى وسبعمائة فتوغل في ناحية الشرع ولما رجع محمد الى جبل ونشريش هدم حصونه وفعل ونهض ثانية الى بلاد بني توجين فشردهم عنها واطاعه أهل تافركينت ثم انتهى الى لمدية فافتتحها صلحا واختط قصبتها ورجع الى أخيه يوسف بن يعقوب فانتقض أهل فركينت بعد صدوره عنهم ثم راجع بنو عبد القوي بصائرهم في التمسك بالطاعة ووفدوا على يوسف بن يعقوب فتقبل طاعتهم وأعادهم الى بلادهم واقطعهم وولى

عليهم ابن الناصر بن عبد القوي وجعل وزارته ليحيي بن عطية فغلبه على دولته واستقام ملكه وهلك خلال ذلك فعقد يوسف بن يعقوب مكانه لمحمد بن عطية الأصم واستقام على طاعته وقتاً ثم انتقض بين يدي ملكه سنة ست وحمل قومه على الخلاف ولما هلك يوسف بن يعقوب وتجافى بنو مرين من بعده لبني يغمراسن عن جميع الانصار ليتملكوها بالمغرب الأوسط فاستمكن بنو يغمراسن منها ودفعو المتغلبين عنها ولحق المغل من أولاد عبدالقوي ببلادالموحدين فجلوا من دولتهم الى محل الآثار والتركمة وكان للعباس بن محمد بن عبد القوي من الملوك من آل أبي حفص مقام الخلة والمصافات الى ان هلك وبقي عقبة في جند السلطان ولما خلا الجو من هؤلاء المرشحين تغلب على جبل ونشريش من بعدهم كبير بني تبغرين أحمد بن محمد بن اعقاب يعلى بن محمد السلطان ببني يغزن فأقام يحيى ابن عطية هذا في رآستهم أياماً ثم هلك وقام بأمره من بعده أخوه عثمان ابن عطية ثم هلك وولى من بعده ابنه عمر بن عثمان واستقل مع قومه بجبل ونشريش واستقل اولاد عزيز بلمدية ونواحيها ورياستهم ليوسف ابن علي بن حسن بن يعقوب وكل في طاعة أبي حمو سلطان بني عبد الوادي لما غلبهم على أمرهم وانتزع الرئاسة من بني عبد القوي أمرائهم الى ان خرج على السلطان أبي حمو ابن عمه يوسف بن يغمراسن ولحق بأولاد عزيز فبايعوه ودخلوا في كناسة عمر بن عثمان كبير بني تبغرين وصاحب جبل طي ونشريش فأجابهم وأطفق معهم سائر الاعشار وبكوسة وبنو يزناتي ورجعوا مع محمد بن يوسف الى السلطان أبي حمو في معسكره بنهل ففضوه وكان شأن فتنته معهم ما ذكرناه في اخبار بني عبد الوادي الى ان هلك السلطان أبو حمو وولي ابنه ابو تاشفين فنهض اليهم في العساكر وكان عمر بن عثمان قد لحقته الغيرة من مخالطة محمد بن يوسف لاولاد عزيز دون قومه فداخل السلطان ابا تاشفين في الانحراف عنه فلما نزل بالجبل ولحق بأبي تاشفين دله على مكان في الحصن

فدلف اليه أبو تاشفين واخذ بمخنقه وافترق عن محمد بن يوسف اولياؤه وأشياعه فقبض عليه وقيد أسيراً الى السلطان أبي تاشفين فقتل بين يديه قطعا بالرماح سنة تسع عشرةوبعث برأسه الى تلمسان وصلب شلوه بالحصن الذي امتنع فيه أيام انتزائه ورجع أمر ونشريش الى عمر بن عثمان هذا وحصلت ولايته لابي تاشفين الى ان هلك بتلمسان في بعض أيامهم مع بني مرين أعوام نازلها السلطان ابو الحسن كما ذكرناه في اخبار الحصار ثم لما تغلب بنو مرين على المغرب الاوسط استعمل السلطان ابو الحسن ابنه نصر بن عمر على الجبل وكان خير الابناء ذمة وطاعة وخلوصا في الولاية وصدقا في الانحياش واحسانا للملكة وتوفيرا للجباية ولما كانت نكبة السلطان ابي الحسن بالقيروان وتطاول الاعياض من زناتة الى استرجاع ملكهم انتزى بضواحي لمدية من آل عبد القوي عدي بن يوسف بن زيان بن محمد بن عبد القوي ونازع الخوارج في دعوتهم واشتمل على بني عزيز هؤلاء وبني يزناتلي جيرانهم وزحف الى جبل ونشريش لينال مع الحشم مديلي امرهم والمداخلين لعدوهم في قطع دابرهم وكبيرهم يومئذ نصر بن عمر بن عثمان وبايع نصر لمسعود بن أبي زيد بن خالد بن محمد بن عبد القوي من اعقابهم ثم خلص اليهم من جملة عدي وقومه فامتنعوا عليه ودارت بينهم حروب كانت العاقبة فيها والظهور لنصر بن عمر وقومه ثم دخل عدي في جملة السلطان أبي الحسن لما خلص من تونس الى الجزائر وبقي مسعود بينهم وملك ابو سعيد بن عبد الرحمن لما ملك تلمستان هو وقومه فلم يزل هنالك الى ان غلبهم السلطان أبو عنان فصار في جملته بعد ان فر الى زواره واستنزله منها ونقله الى فاس وانقضى ملكهم ودولتهم وانقطع أثر بني محمد بن عبد القوي وأقام نصر بن عمر في ولاية جبل ونشريش وعقد له السلطان أبو عنان على سائر دولته ولم يزل قائما بدعوة بني مرين من بعده الى ان غلبهم السلطان ابو حمو الاخير وهو ابن موسى بن يوسف على الامر

فأعطاه نصر الطاعة ثم اضطرمت نار الفتنة بين العرب وبني عبد الوادي أعوام سبعين وسبعماية وقاموا بدعوة ابي زيان بن السلطان ابي سعيد عم أبي حمو فانحاش نصر بن عمر اليهم واخذ بدعوة الامير ابي زيان حينا ثم هلك ايام تلك الفتنة وقام بأمرهم من بعده اخوه يوسف بن عمر متقبلا مذاهبه وهو لهذا العهد وهو سنة ثلاث وثمانين صاحب ونشريش وحاله مع ابي حمو مختلفة الطاعة والخلاف والله رب الامور لا مالـك غيره .

واشار للطبقة الثانية بقوله الخبر عن بني يزناتن احدى بطون توجين من هذه الطبقة الثانية وما كان لهم من التغلب والامارة وذكر اوليتهـم ومصائرهم وكان بنو يزناتن هؤلاء اخر قبائل بني توجين واعزهم جانبا وأكبرهم صيتا ولما دخل بنو توجين الى المغرب الاوسط قاموا بمواطنهم الاولى ما بين ماصون وزمته ثم يعودون من القبلة يجولون جانبي نهر واصل من أعلى وادي شلق وكانت رئاستهم في نصر بن علي بن تميـم ابن يوسف بن بونوال وكان شيخهم مهيب بن نصر منهم وكان عبد القوي ابن العباس وابنه محمد أمير بني توجين يختصونهم بالاثرة والتجلة لمكانهم من قومهم وما يؤنسون من عظيم غنائهم وكان محمد بن عبد القوي في سلطانه يؤثر عليهم من اولاد عزيز وكان واليهم لعهده وعهد بنيه عبو بن حسن بن عزيز وقد كان اصهر مهيب بن نصر الى عبد القوي الى ابنته فأنكحه اياها وولدت له نصر بن مهيب فسرت خؤولته لمحمد بن عبدالقوي وعلا كعبه في امارته ثم تولى بعده ابنه علي بن نصر وكان له من الولد نصر وعشرة آخرون يعرفون بامهم واسمها (تاسرغنيت) وولي بعده نصر ابن علي فطال أمد امارته في قومه واختلف بنو عبد القوي وغلب بنو عبد الوادي على ما بأيديهم فصرفت ملوك زناتة وجه العناية اليه فبعد صيته وعرف بنوه من شهرته وكان ولودا يقال انه خلف ثلاثة عشر مـن البنين ما منهم الا صاحب حرب أو مغنب ومن مشاهيرهم عمر الذي قتله

السلطان ابو الحسن بمرات حين سعى به أنه داخل في اغتياله ففر وادرك وقتل بمرات ومنهم منديل الذي قتله بنو تبغرين ايام ولوا علي بن نصر وقتلوا معه عبو بن حسن بن عزيز ومنهم عنان ومات قتيلا في حصار تلمسان ايام أبي تاشفين ومنهم مسعود ومهيب وسعد وداود وموسى ويعقوب والعباس ويوسف في آخرين معروفين عندهم هذا شأن اولاد نصر بن علي بن مهيب وأما ولد عشر اخيه فكان رسيا على بني ابيه وكانت احدى وصائفهم اسقطت بدار عثمان بن يغمراسن وادعت الحمل من سيدها أبي الفتوح وجاءت بأخ لعيسى يسمى معروفا ربي بدارهم واستوزر لأبي حمو واخيه من بعده وبلغ المبالغ في دولتهم وكان يدعى معروفا الكبير ولحق بهايام رئاسته في دولة ابي حمو الاول اخوه عيسى بن ابي الفتوح مغاضبا لقومهفسعى له في الولاية على بني راشد وجباية أوطانهم وانزله بلدة سعيدة فكانت له امارةوكان له من الولد ابو بكر وعبو وطاهر وترماء وعند ما غلب بنو مرين على بني عبد الوادي ولاهم السلطان ابو الحسن على بني يزناتن متوالين واما ولد تاسر غنت من بني علي بن نصر بن مهيب فلم يكن لهم ذكر في رئاسة قومهم الا ان بعض وصائفهم اسقطت ايضا الى دار بني تاشفين فولدت غلاما يعرف بعطية بن موسى نشأ في دارهم ونسب الى بني تاسرغنت هؤلاء وتناولته النجابة في خدمتهمفولوه الاعمال النبهة وهو لهذا العهد عامل أبي حمو الاخير على شلق وما اليها وقد غلب العرب لهذا على وطن يزناتن وملكوا عليهم يعودوماحون وبقيت جبايتهم بجبل ورنيد وعليهم لهذا العهد سعيد بن عمر من ولد نصر بن علي بن نصر بن مهيب يعطون المغرم للسلطان ويصانعون العرب الاتاوة وبيد الله تصاريف الامور سبحانه .

وأشار للطبقة الاخيرة بقوله الخبر عن بنيراشد بن محمد وذكر اوليتهم وتصاريف احوالهم قال في العبر وانما قدمنا ذكرهم قبل استتمام بني بادين لانهم لا يزالوا احلافا لبني عبد الوادي ومن جملتهم فكانتاخبارهم

من اخبارهم واما راشد ابوهم فهو اخو يادين واختص بنوه كما قلنا بني عبد الوادي وكانت مواطنهم بالجبل بالصحراء المعروف براشد اسم أبيهم وكانت مواطن مديونة من قبائل البربر قبيلة تاسلت وبنو ورنيد من بطون دمر قبلة تلمسان الى قصر سعيد وكان جبل هوارة موطنا لبني يلومة الذين كان لهم الملك كما قدمنا ولما اضمحل أمر بني يلومة وذهبت دولتهم زحف بنو راشد هؤلاء من بطونهم بجبل راشد الى بسائط مديونة وبني ورنيد فشنوا عليهم الغارات وطالت بينهم الحرب الى ان غلبوهم على مواطنهم والجئوهم الى الاوعار فاستوطن ورنيد الجبل ثم استوطنوا جبلهم المطل على تلمسان واستوطن مديونة جبل تاسالت وملك بنو راشد بسائطهم ثم استوطنوا جبلهم المعروف بهم لهذا العهد وهو بلد بني يفرن الذين كانوا ملوك تلمسان في اول الاسلام وكان منهم ابو قرة الصفري كما قدمنا وكان منهم بعد ذلك يعلى بن محمود الامير الذي قتله جوهر الصقلي قائد الشيعة كما ذكرنا في اخبارهم ويعلى هو الذي اختط بهذا الجبل مدينة (ايكفان) التي هدمها جوهر يوم قتله فلما ملك بنو راشد هذا الجبل استوطنوه وصار حصنا لهم ومحلاتهم في ساحة القبلة الى أن غلبهم العرب عليها لهذا العهد وألجأوهم الى الجبل وكان غلب بني راشد على هذه الاوطان بين دخول بني عبد الوادي الى المغرب الاوسط وكانوا شيعة لهم واحلافا في فتنتهم مع بني توجين وبني مرين وكانت رئاستهم في بيت منهم يعرفون ببني عمران وكان القائم بها لاول دخولهم ابراهيم بن عمران واستبد عليه اخوه وترمار وقام بأمرهم الى ان هلك فولي ابنه مقاتل بن وترمار وقتل عمه ابراهيم وافترقت رياسة بني عمران من يومئذ بين بني ابراهيم وبني وترمار الا ان رياسة بني ابراهيم أظهر فولي بعد ابراهيم بن عمران ابنه وترمار ولا ادري معاقبا القائم أو توسطهما احد ولما زحف بنو مرين الى تلمسان آخر زحفهم صار بنو راشد هؤلاء الى طاعة السلطان ابي الحسن وشيخهم لذلك العهد ابو يحيى موسى بن عبد الرحمن

ابن وترمار بن ابراهيم وانحصر بتلمسان بنو عمه كرجوت بن وترمار وانقرض امر بني عبد الوادي واشياعهم ونقل بنو مرين رؤوس زناتة أجمع الى المغرب الاقصى فكان بنو وترمار هؤلاء ممن صار الى الغرب وأوطنوه الى ان صار الامر لبني عبد الوادي الكرة الثالثة على يد ابي حمو الاخير موسى بن يوسف وكان شيخ بني راشد لعهده ابن أبي يحيى بن موسى المذكور أقبل اليهم من أيالة بني مرين فاتهمه ابو حمو بمداخلتهم فقبض عليه واعتقله مدة بوهران وفر من معتقله فلحق بالمغرب وارتحل بين أحيائهم مدة ثم رجع الى الطاعة واقتضى العهد من السلطان ابي حمو فولاه على قومه ثم قبض عليه واعتقله الى ان قتله بمحبسه سنة ثمان وستين وسبعمائة وانقرض أمر بني وترمار بعد ما قتل وترمار واخاه أبا زركن ثم ابنه يوسف بن أبي زركن ثم آخرين من بعده لم تحضرني اسماؤهم الى أن غلب عليهم بنو وترمار بن ابراهيم وقد ذهبت لهذا العهد رئاسة اولاد عمران جميعا وصار بنو راشد هؤلاء حول السلطان وبقيتهم بحملهم على الحال التي ذكرناها والله وارث الارض ومن عليها .

الخاتمة

في ذكر (١) من ملوك هذه الامة المحمدية صلى الله على صاحبها وسلم وشرف وكرم مبتدئاً بذكر الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم فمن بعدهم من ذوي الملك العضوض الى آخر المائة الثانية عشرة من الهجرة فأقول : خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه اسمه عبدالله بن ابي قحافة عثمان بويع له في ربيع الاول سنة احدى عشرة واقام سنتين وثلاثة شهور وتسعة أيام وتوفي ليلة الجمعة سابع جمادي الاخيرة سنة ثلاث عشرة وسنه ثلاث وستون سنة . خلافة عمر بن الخطاب هو ابو حفص رضي الله عنه بويع

(١) هنا بياض في الاصل ، ولعل الساقط كلمة « بعض » او «جماعة» .

له بعد موت ابي بكر رضي الله عنه واقام عشر سنين وستة أشهر وخمس ليال وتوفي ثالث عشرين في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين وسنه ثلاث وستون سنة .

خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه كنيته أبو عبدالله بويع له اول المحرم سنة اربع وعشرين واقام اثنتي عشرة سنة الا اثني عشر يوما وتوفي في شوال سنة خمس وثلاثين وسنه اثنان وثمانون سنة ودفن بالبقيع .

خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بويع له بعد وفاة عثمان وأقام اربع وستين وتسعة اشهروتوفي ليلة الجمعة سابع عشر رمضان سنة اربعين وسنه ثلاث وستون سنة ودفن بالكوفة .

خلافة الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم بويعله يوم مات ابوه واقام ستة اشهر وخلع نفسه في ربيع الاول سنة احدى واربعين ومات سنة خمسين وسنه سبع واربعون سنة ودفن بالبقيع .

وروىسفينة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الخلافة بعدي ثلاثون عاما ثم تكون ملكا عضوضا وكان آخر ولاية الحسن تمام ثلاثين سنة من خلافة ابي بكر الصديق رضي الله عنهم فقد انقضت الخلافة بآخر خلافة سيدنا الحسن بن علي تسليما لسيدنا معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سداً لباب الفتن وحقنا لدماء المسلمين المشار اليه بقوله عليه السلامفي حق الحسن ان ولدي هذا سيد وسيصلح الله به ، بين فئتين عظيمتين من المسلمين ، واما خلفاء بني امية فهم كما (في بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء) ما نصه : اول الخلفاء بعد عثمان رضي الله عنه معاوية وهو أبو عبدالرحمن معاوية بن أبي سفيان واسمه سفيانبنصخر بن حرببن اميةبن عبد شمسبنعبدمنافويلتقيهو والنبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وأولاده عبد الرحمن ويزيد وعبدالله

وهند ورملة وصفية وعائشة ثم ولى الامر يزيد ولده بعده واولاده معاوية
وخالد وهو ابو سفيان وعبدالله الاكبر وعبدالله الاصغر وعمير وعبدالرحمن
وعتبة الاعور وزيد ومحمــــد وهو ابو بكر وحرب والربيع وعبدالله .
وفي أيام يزيد قتل الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنه (بكربلا)
في قصته المعروفة ثم (مروان بن الحكم) وهو أبو الحكم وقيل ابوعبدالملك
وهو مروان بن الحكم بن أبي العاص بن امية بن عبد شمس بن عبد مناف
ومروان هذا تنسب اليه خلفاء بني مروان وأولاده عبد الملك ومعاوية وام
عمرو وعبيدالله وابان وعبدالله وداود وعبد العزيز وعبد الرحمن وام عثمان
وبشر ومحمد عبد الملك بن مروان ولي بعد ابيه وكنيته ابو الوليد يقال له
ابو مروان ولقبه رشح الحجر لبخله ويكنى أبا ذباب لبخره واولاده الوليد
وسليمان ومروان الاكبر ويزيد ومروان ومعاوية وهشام ويسار والحكم وعبدالله
ومسلمة وعيينة ومحمد وسعيد والحجاج وقبيصة فولي بعده الوليد بن
عبد الملك ويكنى أبا العباس واولاده اربعة عشر ذكراً سوى البنات ، منهم
(يزيد وابراهيم) وليا الخلافة ومنهم العباس فارس بني مروان كان يركب
في ستين من صلبه ثم ولي من بعده سليمان بن عبد الملك وهو أبو ايوب
ويقال انه كان نكاحاً شرهاً يأكل في كل يوم نحوا من ماية رطل واولاده
اربعة عشر ذكراً . ثم ولي بعده عمر بن (عبد العزيز) بن مروان ويكنى
أبا حفص عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ويسمى الاشج لان في
وجهه شجة من دابة ضربته ، واولاده كانوا اربعة عشر ذكرا وخمس بنات
من اولاده عبد الملك وكان مات في حياته ومنهم عبدالله وكان شجاعــا
ولى العراقين لزيد بن الوليد واحتفر نهر ابي عمرو بالبصرة (يزيد بن
عبد الملك) يكنى بأبي خالد وأولاده ثمانية ذكور وقيل عشرة منهــم
عبدالله بن يزيد متولد من سبعة خلفاء ابوه يزيد وجده عبد الملك وجد ابيه
مروان وجدته لابيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية وامه سعدى بنت عبدالله

ابن عمرو بن عثمان وام عبدالله بن عمر وهي بنت عمر بن الخطاب. ومنهم الوليد بن يزيد وقيل هشام بن عبديكنى أبا الوليد ولي الخلافة واولاده عشرة ذكور واناث منهم معاوية بن هشام وهو ابو عبد الرحمن ومنهم سليمان قتله السفاح (الوليد بن يزيد) بن عبد الملك ولي الخلافة واولاده ثلاثة عشر ذكرا وبنات (يزيد بن الوليد) بن عبد الملك كان يكنى ابا خالد ولي الخلافة (ابراهيم بن الوليد) بن عبد الملك كان يكنى أبا اسحاق (مروان) ابن محمد الجعدي وكان يلقب بحمار الجزيرة لصبره على الحروب وهو ابو عبد الملك مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن ابي امية بن عبد شمس بن عبد مناف يلتقي هو والنبي صلى الله عليه وسلم في عبد مناف وهو آخر خلفاء بني امية وبانقضاء خلافته انقضت خلافة بني امية واولاده عبدالله وعبيد الله هربا بعد قتله أما عبيد الله فقتله الحبشة وأما عبدالله فله عقب ويقال انه اخذ وحبس ولم يزل محبوساً الى ايام الرشيد فأخرج ضريراً ومات ببغداد قال في بلغة الظرفاء وجميع خلفاء بني امية من لدن معاوية بن ابي سفيان الى مروان ابن محمد الجعدي اربعة عشر خليفة وكانت مدة خلافتهم احدى وتسعين سنة وتسعة اشهر وخمسة ايام منها فتنة ابن الزبير تسع سنين واثنان وعشرين يوما ثم تفرقت بنو امية في البلاد هرباً .

ومن كتاب الكرديوس في أخبار المشرق والاندلوس فأول من تأمر في ارض الاندلس وملكها شيئا بعد شيء عبد الملك بن عبد الرحمن الامي ابن مروان ثم بعده ولده هاشم ثم حكيم عبد الرحمن ثم ابنه محمد ثم عبدالله ثم الحفيظ الناصر ثم بعده الحكم المنتصر ثم هاشم ثم قام عليهم قائم وادعى بأنه المهدي وبقيت فترة عظيمة الفتن ثم تولى سليمان بن الحكم بالاندلس على قبائل البربر الذين قطعوا الجزيرة مع موسى بن نصير في بداية الامر واستوطنوا البلاد وحاصروا هاشما في قرطبة ثم ارسل هاشم لصاحب سبتة واحوازها وكان فيها وتملكها علي بن حمود من الادارسة

فقطع اليه من سبتة في جموع من البربر وأغاثه وهو علي بن حمود بن ميمون بن علي بن عبدالله بن عمر بن ادريس بن عبدالله بن حسن بن الحسن بن علي فقطع البحر الى اغاثته وتبعه بعض أهل الجزيرة مع قومه ونزل على سليمان وهو محاصر لهاشم في قرطبة وقتله وقتل جموعه فادعى لنفسه علي بن حمود وولي البيعة بالاندلس .

قال في الاقنوم ذكر دولة بني امية :

أولهـــم سيدنا معاويـــة ... بويع في (ما) بأول مايـــه
(يه) و(جيم) ثم (كه) ومضى ... (نط) (وواو) ثم (يه)اذ قضى
ثم يزيد ابنه (جيم) و (ما) ... بعد (حجب) و (يه) انمحى
ثم معاويــة ابنـــه تـــلا ... (قيب) من الايـــام قد تجللا
ثمت مـــروان وعبـــدالله ... (صج) و (بازاي) لدى التناه
وفي (عج) (وهابا) انـــدرج ... (بيـــاض فـــي الاصـــل)
ابن الزبيـــر فتبقى بعـــده ... (يب) و (دال) ثم (هاء) عده
ثم ابنه الوليد (طازاي كط) ... مدتـــه وموتـــه لما فـــرط
خمس وتسعون وخمسة شهور ... ونصف شهر ثم بعده ظهـــور
ملك سليمان بن عبد الملـــك ... عاش به معسبع (وكد) قد حكي
وموتـــه لما مضت ثمانيـــة ... تسعون مع شهر (ويج) تاليه
وعمر العدل وعامين بقـــي ... وخمسة و (يج) مات بعد قي
وستة منالشهور ثـــم (كو) ... ثم ابن عمه يزيد قد حكـــوا
في خمسة ومائـــة توفيـــا ... ثم هشام بعـــده قد وليـــا
ومات عام خمسة وعشريـــن ... ثم الوليد وتـــلاه في الحيـــن
ثمت ابراهيم فيها مـــروان ... وحينه في مائة ولج حســـان
وزال ملكهم عن الشرق الـــى ... اندلس من بعد ذاك انتقـــلا
ولم يزل بها الى ان ظهـــرا ... بها المرابطون في (نت) يـــرى

نسب الخلفاء العباسيين

قال في بلغة الظرفاء : اول الخلفاء العباسيين ابو العباس السفاح هو ابو أيوب عبدالله بن محمد علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب ويلتقي هو والنبي صلى الله عليه وسلم في عبد المطلب وهو اول خليفة من بني العباس وامه ريطة وقيل رابطة بنت عبدالله بن عبدالله بن المدان الحارثي واولاده كان له ولد يسمى محمداً مات صغيراً (ابو جعفر المنصور) وهو أخ السفاح واسمه عبدالله بن محمد وامه سلامة بنت بشير بن مزنة واولاده محمد المهدي وجعفر وصالح وسليمان وعيسى ويعقوب والقاسم وعبد العزيز والعباس والغالية تولى منهم بعد ابيه ابو جعفر (محمد المهدي) ويكنى ابا عبدالله وهو محمد بن عبدالله المنصور وامه ام موسى بنت منصور بن عبدالله بن شهر بن يزيد الحميري وأولاده هارون الرشيد وموسى الهادي وعلي وعبيدالله ومنصور ويعقوب واسحاق وابراهيم والغالية والعباسية وسليمة (فموسى الهادي) هو أبو أحمد موسى بن محمد المهدي وأمه الخيزران وأولاده ستة ذكور هم عيسى واسحاق وجعفر وعبدالله واسحاق وموسى وكان عيسى أعمى وله بنات منهن أم عيسى تزوجها المأمون (هارون الرشيد) هو أبو محمد وقيل أبو جعفر هارون بن محمد المهدي وأمه الخيزران وأولاده محمد الامين وعبدالله المأمون ومحمد المعتصم وصالح ومحمد ابو عيسى والقاسم وعلي واسحاق وأبو العباس وأبو ايوب وأبو احمد وبنات الواحدة من بناته تعد عشرة خلفاء كلهم لها محرم ، هارون ابوها والهادي عمها والمهدي جدها والمنصور جد أبيها والسفاح عم جدها والامين والمأمون والمعتصم اخوتها والواثق والمتوكل ابناء اخيها (محمد الامين) هو أبو عبدالله وقيل ابو موسى

وقيل ابو العباس محمد بن هارون الرشيد وأمه ام الواحد وقيل أم العزيز بنت جعفر بن ابي جعفر المنصور ولقبها زبيدة واولاده موسى وعبدالله وابراهيم (عبدالله المأمون) هو ابو العباس وقيل ابو جعفر عبدالله بن هارون الرشيد وأمه مراجل امولد واولاده محمد الاصغر وعبدالله وعلي والحسن واسماعيل والفضل وموسى وابراهيم ويعقوب والحسين وسليمان وجعفر واسحاق واحمد وهارون وعيسى وعدة بنات (المعتصم بالله) هو أبو اسحاق محمد بن هارون الرشيد وكان قوياً يقال انه كان يحمل الف رطل ويمشي بها خطوات في ما ذكر وكان أمياً لا يكتب وهو المثمن من اثني عشر : هو الثامن من ولد العباس والثامن من ولد الخلفاء وولي سنة ثماني عشرة ومايتين وكانت خلافته ثماني سنين وثمانية اشهر وتوفي وله ثمان واربعون سنة وولد في شعبان وهو الشهر الثامن من السنة وخلف ثمانية ذكور وثماني بنات وغزا ثماني غزوات وخلف ثمانية آلاف دينار ومثلها دراهم واولاده ثمانية ذكور وثماني بنات منهم هارون الواثق وجعفر المتوكل ومحمد أبو المستعين وهو الذي امتحن احمد بن حنبل في خلق القرآن فامتنع ان يقول ذلك فضربه عدة سياط (الواثق بالله) أبو جعفر هارون بن المعتصم بن الرشيد أمه قراطيس أم ولد واولاده محمد المهتدي وعبدالله واحمد وابراهيم وعائشة (جعفر المتوكل على الله) وهو ابو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد وامه تركية اسمها شجاع واولادهمحمد المنتصر وقيل المستنصر وكان احدب والمعتز وابراهيم والمؤيد واحمد المعتمد على الله وطلحة الموفق واسماعيل وجماعة (محمد المنتصر) هو ابو جعفر محمد بن جعفر المتوكل وأمه رومية تسمى حبشية وأولاده اربعة ذكور (المستعين بالله) هو احمد بن محمد بن المعتصم بالله بن هارون الرشيد وامه مخارق ام ولد واولاده تسعة ذكور (المعتز بالله) هو ابو عبدالله محمد وقيل هو الزبير بن جعفر المتوكل وامه فتحية واولاده عبدالله بن المعتز الشاعر (المهتدي بالله) هو ابو عبداللهمحمد بن

هرون الواثق ويقال له ابو جعفر وامه رومية اسمها قرب واولاده خمسة عشر ذكراً (المعتمد على الله) هو ابو العباس احمد وقيل ابو جعفر المتوكل وامه فينان أم ولد واولاده عبد العزيز وجعفر ومحمد واسحاق (المعتضد بالله) وهو ابو العباس احمد بن طلحة الموفق ابن جعفر المتوكل وامه ضرار ام ولد واولاده المكتفي والمقتدر بالله والقاهر وهارون واحدى عشرة بنتاً (المكتفي) هو ابو محمد علي بن المعتضد بالله وأمه خاضع أم ولد واولاده المكتفي بالله وثمانية ذكور (المقتدر بالله) هو ابو الفضل جعفر ابن المعتضد بالله وامه شعب أم ولد واولاده الراضي والمتقي واسحاق وعبد القادر والمطيع وعبد الواحد وعباس وهارون وعلي واسحاق وعيسى وموسى وابو العباس (القاهر بالله) هو ابو المنصور بن المعتضد بالله وامه قبول ام ولد واولاده الفضل وعبد الصمد وابو القاسم عبد العزيز وهو ولي عهده (الراضي بالله) هو ابو العباس محمد بن المقتدر بالله جعفر بن المعتضد بالله امه ظلوم أم ولد اولاده ابو جعفر احمد والفضل وعبدالله (المقتفي بالله) هو ابو اسحاق بن المقتدر بالله جعفر بن المعتصم بالله وامه خلوب (المستكفي بالله) هو ابو القاسم عبدالله بن المكتفي بالله بن المعتضد وامه غضي (المطيع بالله) هو أبو القاسم وقيل ابو العباس الفضل بن المقتدر بالله بن المعتضد وامه مشعلة واولاده ابو بكر الطائع وعبد العزيز وجعفر (الطائع لله) هو ابو بكر عبد الكريم بن الفضل المطيع ابن المقتدر بالله بن بن المعتضد بالله وامه ام ولد (القادر بالله) هو ابو العباس احمد بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وامه ثمين واولاده ابو جعفر عبدالله ولي عهده (القائم بأمر الله) هو ابو جعفر عبدالله بن احمد (القادر بالله) بن اسحاق بن المقتدر بالله بن المعتضد بالله وامه بدر الدجى ام ولد واولاده ابو العباس محمد ذخيرة الدين وابو القاسم عبدالله وهو وولي عهده (المقتدي بالله) هو ابو القاسم عبدالله بن محمد ابن عبدالله القائم بأمر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله

المعتضد بالله (المستظهر بالله) هو ابو العباس احمد بن ابي عبدالله المقتدي بالله بن القائم بأمر الله بن القادر بالله بن اسحاق بن المقتدر بالله ابن المعتضد بالله واولاده ابو منصور الفضل المسترشد بالله وابو عبدالله محمد المقتفي لامر الله (المسترشد بالله) هو ابو منصور الفضل بن ابي العباس احمد المستظهر بالله (الراشد بالله) هو ابو جعفر بن المسترشد بالله (المقتفي لامر الله) هو ابو عبدالله بن احمد المستظهر بالله واولاده منهم يوسف ولي عهده (المستنجد بالله) هو المظفر يوسف بن المقتفي لامر الله ابن المستظهر بالله (المستضيء بنور الله) ابو محمد الحسن بن المستنجد بالله تمت اخبار بني العباس رضي الله عنه من لدن قيام ابي العباس السفاح الى عام سبع وستين وخمسمائة (احمد الناصر لدين الله) ابن المستضيء بنور الله خطب له بجامع الاسكندرية مستهل صفر سنة ست وسبعين وخمسمائة وخلافته سبع واربعون سنة تمام الدولة العباسية من غير بلغة الظرفاء (الظاهر بالله) ابو نصر محمد بويع له في سنة ثلاث وعشرين وستمائة ومات في السنة المذكورة ثم بعده الامام ابو جعفر (المستنصر بالله) اول خلافته سنة اربع وعشرين وستمائة وتوفي سنة اربعين وستمائة وولي بعده ولده الامام ابو محمد عبدالله (المستعصم بالله) في السنة المذكورة وهو المنصور آخر خلفاء بني العباس وهو الذي خرج عليه التتر وقتلوه واخذوا بغداد وذلك في صفر سنة خمسين وستمائة قال في الاقنوم ذكر الدولة العباسية :

في عام (قاب) منهم قد وليا ... سفاحهم وفي (لز) توفيا

وبعده المنصور مات في (خنق) ... وبعده المهدي الى ابنه (طق)

من شره ادريس كان هاربا ... بنفسه لما توقى المغربا

ثم ابنه موسى ومات في (عق) ... وبعده هارون الرشيد بقي

لعام (قضج) فابنه الامين ... اخوه قد خلفه المأمون

ل (نضج) ومات عام (خيره) ... وبعده معتصم ل (كزره)

وبعده الواثق مات في (رلب) … فالمتوكل ل (رمز) وذهب

وبعده ومات فيها المنتصر … فالمستعين بعد في (رنب) قبر

وبعده المعتز (نهر) المهتدي … بعد للمعتمد

وقبل موته بدا القرامطة … بسنة على امور ساقطة

معتضد (حرب) وبعد المكتفي … لعام خمسة وسبعين خفي

وبعده الغالب (رمض) ورجع … من بعده المقتدر الذي خلع

وعام (سين) ثانيا قد خلعا … ثم اخوه القادر الامر دعا

فلم يجب ثم اتوا للمقتدر … به بالانقياد منه يعتذر

وعاد للخلافة المقتدر … ثالثته لعكس معاد القاهر

وسنة ونصفها قد وليا … وفي (لط) في سجنه توفيا

وبعده الراضي وفي (كط) قضا … والمتقي في (لج) ملكه انقضا

وبعده وخلع المكتفي … سنة (لد) وفي (لج) توفي

ثم المطيع نفسه قد خلعا … مملكا سنة (جص) الطائعا

ولده فعل ابيه في (اسف) … فعل ثم في (ضح) اردى التلف

وسلم الامر الى القادر في … سنة كتب اجل العمر وفي

وبعده القائم اربعينا … ملك مع خمس من السنينا

ومات في (جر) و (نفر) للمقتدي … مستظهر (ثيب) وللمسترشد

(كط) وعام (ثلب) للراشد … والمقتفي (ند) وللمستنجد

(خوص) وبعده المستضي … وبعده الناصر في (كنج) فع

وكان مبدا التتار اولا … العري في ايامه ساء الملا

وبعده في تسعة من اشهر … خان الممات بعد ملك الظاهر

وضم لمنصور هو المنتصر … معتصم (نه) احمد المنتصر

فقد للستين ثم الحاكم … اول من ملك مصر منهم

ومات في احدى وسبعماية … ثم ابنه ابو الربيع ما فتي

لعام (دل) ثم مات عام (ذام) … ثم ابنه الحاكم نحو (يد) عام

ومات في (زتر)و(صج) المعتضد   للمتوكل (يو) خلـــع عهـــد

والملـــك في اولاده لصلبـــه   في خمســـة وذاك مختص بـــه

وبعده المعتصم الـــذي خلـــع   عشرون يوما ملكه لكن رجـــع

والمتوكـــل اعيـــد ثانيـــا   وعام (ذبد) بعـــد ذاك خليـــا

والمتوكـــل اعيـد ثالثـــه   ومات في (حظ) وكان وارثـــه

المستعين احـــد البنينـــا   له ومـــات في (لج) سنينـــا

معتضد في (مد)و (نه)مستكفي   وحمزة (نط) و (ما) توفـــي

ثم اخـــوه بعده المستنجـــد   وهو الاخير اذ رمـــاه الامـــد

انتهى بحمد الله تعالى وحسن عونه الجميل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم على يد كاتبه العبد الذليل المقر بالقصور وعدم التحصيـــل محمد بن أحمـــد بن أبي القاسم التواني غفر الله لـــه ولوالديه بمنـــه وكرمه آمين .

وكان الفراغ من كتابة هذا الكتاب الجليل بعد مغرب ليلة الجمعة رابع ذي الحجة من سنة ثلاث وتسعين بعد المايتين والالف من هجرة من لـــه العز والشرف .

أعيد طبعه على نفقة الزوايا السنوسية بالأذن عظمة
الملك السيد محمد ادريس المهدي السنوسي
[illegible]
١٣٨٧ هـ = ١٩٦٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة بليغة في تقريظ الكتاب

الحمد لله الذي خص أئمة المسلمين بكونهم مـن قريش ما أمكن الى ذلك سبيـل وان تعذر ذلك اعتبر كونهم من بني اسمعيل والا فبحسب الامكان والصلاة والسلام على نبينا وسيدنا محمد أشرف بني عدنان وعلى آله وأصحابه المجاهدين في الله حق جهاده القويم ، المستمسكين بمنهاج الشرع الواضح المستقيم . اما بعد . فقد أطلعت على كتاب الدرر السنية في أخبار السلالة الادريسية، تأليف الأمام المحدث الكبير ، صاحب الصيت العظيم الشهير ، السيد محمد بن علي السنوسي ، من اصطفاه الله بفتحه القدوسي . فاذا هو كتاب جميل نفيس ، اشتمل على خلاصة أخبار أئمة أبناء مولانا الامام السيد ادريس . وهو السيـد ادريس ، ابن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ، وابن فاطمة البتول بنت رسـول الله صلى الله عليه وسلـم ورضي عنها وعن جميع ذريتها الطاهرة ، ذات المزايا العظيمة الظاهرة .

واشتمل هذا الكتاب ايضا على زبدة نافعة من اخبار من ملك المغرب من سائر الاشراف وغيرهم ، وعلى اول ما فتح من المغرب في خلافة عثمان ابن عفان رضي الله عنه . وأول ذلك اول فتح افريقية في خلافة عثمان على يد عبدالله بن سعد بن ابي سرح أخي أمير المؤمنين عثمان بن عفان

من الرضاعة رضي الله عنهما ، ثم ذكر فتوح عقبة بن نافع وغيره بعد ذلك على نوع الايجاز والاختصار النافع ، ثم اشبع الكلام على دولة الادارسة وفروعهم في البلاد المغربية وما جددوه من الدين فيها وذكر سبب موت السيد ادريس الاكبر ، وسبب موت نجله ادريس الازهر ، باني مدينة فاس .

وقد اجاد في ذلك كله وافاد وأبان مسائل تاريخيةينشرح بتتبع انواعها الفؤاد ثم جعل لكتابه هذا خاتمة مختصرة ذكر فيها الخلفاء الاربعة ثم خامسهم سيدنا الحسن السبط بن علي رضي الله عنهما ، ثم ذكر فيها خلفاء بني امية جميعا نثرا ونظما ، ثم اتبعهم بخلفاء بني العباس كذلك نثرا ونظما .

وبالجملة فهو كتاب تاريخ وكتاب علم نافع جمعه امام بحر علم تتفجر من صدره ينابيع الحكم والعلوم ومن اعتكف على مصنفاته نال منها كل ما يشتهيه العاقل من جميع ما يروم . نفعنا الله ببركاته وبمؤلفاته ، وجعلنا من خواص من انتفع بعلمه واجتنى أطيب ثمراته ، وبالله تعالى التوفيق ، وهو الهادي الى سواء الطريق .

قاله بلسانهوقيده ببنانه خادم نشر العلم بالحرمين الشريفين وبالازهر المعمور ، محمد حبيب الله بن الشيخ سيدي عبدالله بن مايابي ، الجكني نسبا ، الشنقيطي اقليما ، المدني مهاجرا ، أعاده الله لها على المراد ، بجاه سيدنا محمد خير العباد ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الى يوم التناد . انسلاخ شعبان سنة ١٣٤٩ هـ .

فهرست

الصفحة

الصفحة

تصويب الخطأ

في كتاب: الدرر السنية في اخبار السلالة الادريسية

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
١٠	٢	بهيضه	يهيضه
٣٢	١٧	المسلمين	من المسلمين
٤٣	٣	ذكر	ذكرا
٤٣	١٩	ولله	والله
٤٣	٢٠	آخر	آخرا
٤٨	٢٣	قال	قالوا
٥٧	١٥	الحسنين	الحسنيين
٥٩	٥	دينه	ودينه
٦٨	١٦	القائلون	القاتلون
٦٨	١٦	حسبنا	حسينا
٦٩	٩	مسيره	في مسيره
٧٠	١٩	تذهبين	تذهبن
٧١	٢٠	بسطت	بطست
٧١	٢١	امرودا	مرودا
٧٢	٢٤	على علي	على
٧٧	٦	علينا	عليه
٨٣	٤	ناحية	ناحيته
٨٣	٢١	في	فيه
٨٧	١٢	ويبرزن	يروه ويبرزنه
٨٧	١٢	ويراهن	يراهن
١١٢	٥	وهو	هو
١١٢	١٤	العالم	العلم
١٢١	١٣	رد ربجه	روى رمحه
١٣٩	١٦	بن ادريس	بن ادريس بن ادريس
١٥٨	٨	أربع وستين	اربع سنين
١٦٤	٢٤	وهو وولي عمدة	وهو ولي عمدة

كان الفراغ من طبعه وتصحيحه، شهر شوال ١٣٨٧هـ – يناير ١٩٦٨ م

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٠	٢	[illegible]	[illegible]
٢٢	١٧	[illegible]	[illegible]
٤٣	٢	[illegible]	[illegible]
٤٣	١٩	[illegible]	[illegible]
٤٣	٢٠	[illegible]	[illegible]
٤٨	٢٢	[illegible]	[illegible]
٥٧	١٥	[illegible]	[illegible]
٥٦	٥	[illegible]	[illegible]
٣٨	١٣	[illegible]	[illegible]
٣٨	١٣	[illegible]	[illegible]
٣٩	٩	[illegible]	[illegible]
٧٠	١٩	[illegible]	[illegible]
٧١	٢٠	[illegible]	[illegible]
٧١	١٢	[illegible]	[illegible]
٧٢	٢٤	[illegible]	[illegible]
٧٧	٣	[illegible]	[illegible]
٨٣	٤	[illegible]	[illegible]
٨٣	١٢	[illegible]	[illegible]
٨٧	٢١	[illegible]	[illegible]
٨٧	١٧	[illegible]	[illegible]
١١٢	٥	[illegible]	[illegible]
١١٢	١٤	[illegible]	[illegible]
١٢١	١٢	[illegible]	[illegible]
١٣٦	١٣	[illegible]	[illegible]
١٥٨	٨	[illegible]	[illegible]
١٢١	٢٤	[illegible]	[illegible]